# الاتجاهات النحوية والصرفية للطوسي

## في كتاب التبيان في تفسير القرآن

الأستاذ الدكتور

**حميد النجدي**

# الاتجاهات النحوية والصرفية للطوسي

## في كتاب التبيان في تفسير القرآن

الأستاذ الدكتور
حميد النجدي

دار ميتا بوك للطباعة والنشر

الطبعة الأولى: 2023

• رقم الإيداع: 2023-17457
• الترقيم الدولي: I.S.B.N : 978-977-86838-2-0

• الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الدار، بل تعبر عن رأى المؤلف في المقام الأول.
• حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة، للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقميًا، أو إتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف.

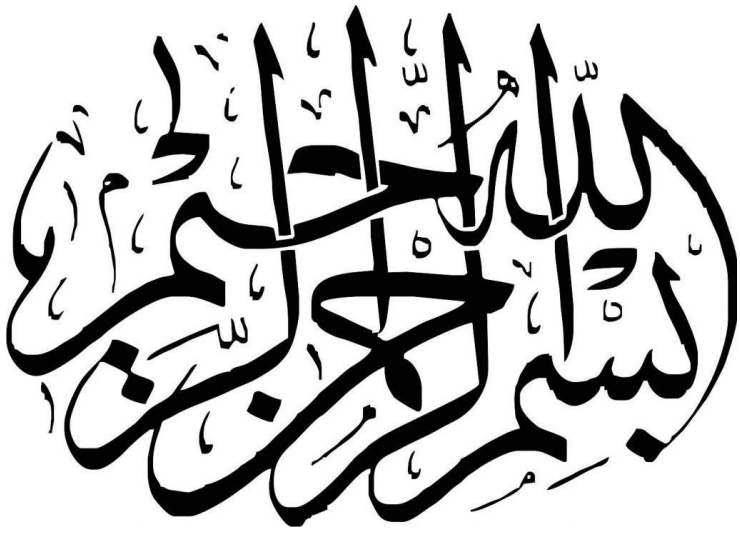
بسم الله الرحمن الرحيم

| فهرس الموضوعات | الصفحة |
| --- | --- |
| الفهرس | ١ |
| المقدمة | ٤ |
| كلمة شكر | ٨ |
| التمهيد | ٩ |
| الفصل الأول: الطوسي حياته وآثاره | ١٥ |
| ١- عصره | ١٦ |
| ٢- حياته | ٢٨ |
| ٣- ثقافته | ٣٢ |
| ٤- شيوخه وتلاميذه | ٣٦ |
| ٥- مؤلفاته وآثاره | ٤٤ |
| ٦- مصادر الطوسي في تفسيره | ٥٤ |
| ٧- وفاته | ٥٧ |
| الفصل الثاني: منهجية الطوسي في التأليف وأسلوبه | ٦٠ |
| ١-الدرس النحوي في القرن الخامس الهجري | ٦١ |
| أ- مشاهير النحاة | ٦١ |
| ب- المنهجية في التأليف | ٦٣ |
| ج- موقفهم من الشواهد | ٧٠ |
| ٢- منهجيته في التأليف | ٨٢ |
| اولاً: مقدمته | ٨٢ |
| ثانياً: منهجه في تناول السور والآيات | ٨٥ |
| ثالثاً: منهجيته في ايراد أقوال المفسرين واللغويين والنحاة | ٩٢ |
| ٣- أسلوبه من خلال تفسيره وتحليله | ٩٦ |
| الفصل الثالث: المسائل النحوية عند الطوسي ومذهبه | ٩٩ |
| -١- موقفه من الشواهد | ١٠٠ |

| | |
|---|---|
| ١- القرآن الكريم | ١٠٠ |
| ٢- الحديث الشريف | ١٠٦ |
| ٣- كلام العرب من شعر ونثر | ١١٥ |
| -٢- موقفه من مسائل الخلاف بي البصريين والكوفيين | ١٢٩ |
| -٣- مصطلحاته | ١٤٤ |
| -٤- ترجيحاته | ١٥١ |
| -٥- أثر العقيدة والفقه على النحو عند الطوسي | ١٥٧ |
| ١- الجانب العقيدي | ١٥٨ |
| ٢- الجانب الفقهي | ١٦١ |
| -٦- موقفه من أدلة الصناعة | ١٦٥ |
| ١- السماع | ١٦٥ |
| ٢- القياس | ١٧٠ |
| ٣- الاجماع | ١٧٤ |
| ٤- استصحاب الحال | ١٧٦ |
| موقفه من العامل | ١٧٨ |
| موقفه من العلل | ١٨١ |
| -٧- مذهبه النحوي | ١٨٦ |
| الفصل الرابع: الاتجاهات الصرفية | ١٩٠ |
| ١-الصرف | ١٩١ |
| ٢-الاشتقاق | ١٩٣ |
| ٣-ضروب الاشتقاق | ١٩٦ |
| ١- الاشتقاق الصغير | ١٩٦ |
| ٢- الاشتقاق الكبير | ١٩٨ |
| ٣- الاشتقاق الأكبر | ١٩٩ |
| ٤- الاشتقاق الكبار | ٢٠٠ |
| ٤- الاشتقاق من المصدر أو الفعل | ٢٠٢ |

| | |
|---|---|
| ٥-المجرد والمزيد | ٢٠٤ |
| ٦-اشتقاق الأسماء | ٢٠٦ |
| ١- المصدر | ٢٠٧ |
| ٢- اسم المصدر | ٢١٣ |
| ٣- اسم المرة واسم الهيئة | ٢١٤ |
| ٤- اسما الزمان والمكان | ٢١٥ |
| ٥- اسم الآلة | ٢١٨ |
| ٦- اسم الفاعل والصفة المشبهة | ٢١٩ |
| ٧- اسم المفعول | ٢٢٢ |
| ٨- المصدر الميمي | ٢٢٥ |
| ٩- اسم التفضيل | ٢٢٦ |
| ١٠-أفعل التعجب | ٢٢٨ |
| ٧-جمع التكسير | ٢٢٩ |
| جمع الجمع | ٢٣٥ |
| ٨-التصغير | ٢٣٨ |
| ٩-الامالة | ٢٤١ |
| ١٠-الابدال | ٢٤٤ |
| الاعلال | ٢٤٥ |
| ١١-الادغام | ٢٤٩ |
| ١٢-أثر الفقه على الجانب الصرفي عند الطوسي | ٢٥١ |
| الخاتمة | ٢٥٥ |
| المصادر | ٢٦٢ |
| Conclusion | A |

# مقدمة

القرآن الكريم العامل الأساسي والأول في الحفاظ على اللغة العربية من الضياع والتميع والاندثار، حيث اسهم خلال عدة قرون مضت وخاصة في العهود المظلمة التي امتدت قرونا من التاريخ، وما زال يسهم بالقيام بهذا الدور الفعّال في الحفاظ على هذه اللغة المقدّمة التي شرّفها الله تعالى باختتام وحيه الكريم بها. وبسبب هذا الشرف الذي تكللت به اللغة العربية، ولكونها لغة الرسول الأكرم (ص)، ولغة التشريع الإسلامي ولكونها اللغة التي يحتاجها ملايين المسلمين في أداء عباداتهم ومناسكهم. كل ذلك عمل على أن تحظى هذه اللغة على مرّ القرون باهتمام الباحثين والدارسين الذين اندفعوا بكل اخلاص لتدارسها وإرساء قواعدها. وأنفقوا من وقتهم وطاقاتهم الشيء الكثير.

لقد امتد نشاط واهتمام الباحثين والدارسين لجميع فروع اللغة العربية فوسعها بحثا وجمعا وتأليفا وتحقيقا. وقد بلغ اهتمامهم بالنحو القمة من بين تلك الفروع، يدفعهم في ذلك أمران: الأول: دفع اللحن في تلاوة القرآن الكريم من قبل الناس وبعض القراء. وهذا الدافع يُعد العامل الأول في المحاولات الأولى لتقعيد النحو كما ورد في الروايات المحفوظة بهذا الشأن.

والأمر الثاني الذي دفعهم لهذا الاهتمام هو لأن علم النحو يعتبر الركيزة الأساسية في النطق باللغة العربية.

لذلك تعدّدت نشاطات علماء النحو في التأليف والتحقيق والشروح وكتب الشواهد وكتب معاني الأدوات وأحكامها واستعمالاتها. والاشتقاق وضروبه وأنواع المشتقات، حتى أضحت المكتبة النحوية تضم عددا من الكتب يضاهي ما تضمه مكتبات العلوم الأخرى ويفوق كثيرا منها.

وكان للمفسرين حظ في هذا النشاط النحوي الصرفي وذلك من خلال مؤلفاتهم بالتفسير أثناء اعرابهم للآيات القرآنية. بل ان المفسرين أجمع، عدّوا من شروط المفسر الأساسية اطلاعه الكامل على اللغة العربية.

ولعلّ هذا الشرط هو السبب الذي جعل بعض كتب معاني القران التي أُلفت سابقا يطغى عليها الجانب النحوي واللغوي، مما جعلها تشتهر ككتب للنحو وليس للتفسير ككتاب معاني القران للفراء وكتاب معاني القران للأخفش ومعاني القران للزجاج.

ومن الواضح أن هذه الصفة التي اشتهرت بها تلك الكتب لم تكن في عهد تأليفها وإنما وصفت تلك الكتب بتلك الصفة في عهود متأخرة وذلك عند بدء التخصص وانفصال بعض العلوم عن بعضها الآخر في الدراسة نتيجة لنمو وتطور تلك العلوم.

وممن أسهم في النشاط النحوي من المفسرين في القرن الخامس الهجري أبو جعفر الطوسي من خلال كتابه "التبيان" في تفسير القرآن. ويقع هذا الكتاب في عشرين جزءا ضُمَّت أخيرا بعشرة مجلدات، احتوت على ما يقارب من "٥٦٠٠" صفحة. وقد احتوى هذا الكتاب على مادة نحوية ليست باليسيرة. فقد أعرب الطوسي معظم الآيات الكريمة ووجه أغلب القراءات القرآنية المتواتر منها والشاذ واحتج لها. وناقش قسطا كبيرا من أقوال النحاة مرجحا ومفندا، وقد يلتزم جانب الصمت أحيانا تاركا الخيار بالترجيح للقارئ.

كما قام بتلخيص وتهذيب الكثير من أقوال أبي علي الفارسي والزجاج والرمّاني، وشرح بعض الأقوال النحوية التي تحتاج الى إيضاح. ولم يكتف الطوسي بعرض رأي واحد أو رأيين للمسألة النحوية، بل قد يتجاوز ذلك الى خمسة آراء. إضافة إلى اعتنائه بالقراءات وبالجانب اللغوي، حيث يقلّب الكلمة على مختلف وجوهها، في الوقت الذي لم يهمل وزنها الصرفي واشتقاقها وأصول الكلمات والدلالة لكل ما يحتاج لذلك. كل هذا يعرضه بأسلوب يندر فيه الإطناب وبنقل دقيق عن كبار النحويين واللغويين، خاصة وأن أغلب من نقل عنهم إما من معاصريه أو قريبي العهد بعصره.

أما سبب اختيار الطوسي موضوعا للبحث فهو الكشف عن جهود الطوسي النحوية والصرفية من خلال كتابه "التبيان" ومعرفة اتجاهاته في النحو والصرف من خلال ما عرضه فيه من مادة نحوية، لا أبالغ اذا وصفتها بأنها غزيرة.

لم يكن هذا البحث أول بحث عن الطوسي بل سبقه بحثان أولهما رسالة ماجستير بعنوان "الشيخ الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن" دراسة تاريخية عن الطوسي وكتبه قُدِّمت سنة ١٩٧٤م الى جامعة بغداد– كلية الآداب– قسم التاريخ للباحث حسن عيسى الحكيم، تناول الباحث فيها حياة الطوسي ومنهجه في التفسير ومؤلفات الطوسي.

وأما البحث الثاني فهو رسالة دكتوراه بعنوان "منهج الطوسي في التفسير" قُدّمت من قبل الباحث كاصد الزيدي الى جامعة القاهرة كلية الآداب سنة ١٩٧٦م. تناول الباحث فيها كتب التفسير عند الشيعة الامامية وغيرهم ومقارنة منهج الطوسي في التفسير بغيره من المناهج ومصادر الطوسي في تفسيره التبيان والأمور البلاغية التي نالت عناية الطوسي في التبيان.

وتخصص هذا البحث بدراسة نشاط الطوسي في النحو والصرف واتجاهاته فيهما.

يشتمل هذا البحث على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة، تناول التمهيد العلاقة بين علمي التفسير والنحو. وتطور هذه العلاقة ونموها.

وتناول الفصل الأول عصر الطوسي من الناحية السياسية والاجتماعية والعلمية، وتناول مفصلا حياة الطوسي في طوس وبغداد والنجف الأشرف وتنقلاته بين هذه المدن وأسبابها وصحّح البحث نسبة الطوسي منذ نشأته للمذهب الامامي. وتناول الفصل مؤلفات الطوسي وآثاره وثقافته وشيوخه وتلاميذه ووثّق البحث صحة نسبة بعض مؤلفات الطوسي اليه وخاصة تفسير التبيان. واختُتِم الفصل بترجيح تاريخ وفاة الطوسي سنة ٤٦٠هـ بأدلة علمية.

وتعرض الفصل الثاني الى منهجية الطوسي في التأليف وأسلوبه وابتدأ الفصل بالحديث عن الدرس النحوي في القرن الخامس الهجري فتناول مشاهير النحاة وفصّل الحديث عن ثلاثة من معاصري الطوسي وهم ابن برهان ت ٤٥٦هـ وابن بابشاد ٤٦٩هـ والخطيب التبريزي ت ٥٠٢هـ فتعرّض لمنهجيتهم في التأليف وموقفهم من الشواهد من خلال كتبهم ومؤلفاتهم. ثم تناول البحث منهج الطوسي في التاليف فحلّل مقدمته ثم طريقته

في تناول السور والآيات ومنهجيته في إيراد أقوال المفسرين واللغويين والنحاة واختتم الفصل بالحديث عن أسلوب الطوسي من خلال تفسيره وتعليله.

واختص الفصل الثالث بالمسائل النحوية عند الطوسي ومذهبه فتبين موقف الطوسي من الشواهد ومن مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ومزجه باستعمال المصطلحات من مصطلحات المدرستين. ثم موقفه من ادلة صناعة الاعراب وأخذه بالسماع والقياس واستصحاب الحال والتعليل ومزجه بين أدلة المذهبين في ترجيحاته واستدلاله. واختتم الفصل بترجيح المذهب النحوي للطوسي وأنه ليس ببصري ولا كوفياً وانما هو بغدادي.

وتناول الفصل الرابع الاتجاهات الصرفية للطوسي وذكرت فيه حديثا عن الصرف والاشتقاق بأنواعه وعرضتُ فيه الخلاف بين أصل المشتقات ورجّحت فيه أن الفعل هو الأصل. وتعرضتُ للكلام عن المجرد والمزيد ثم كلاما مفصلا عن اشتقاق الأسماء تناولت فيه المصدر واسمه واسم المرة واسم الهيئة واسمي الزمان والمكان واسم الآلة واسم الفاعل والصفة المشبهة وبيّنتُ أنهما اسمان لمعنى واحد مع بيان سبب التفريق ثم ذكرت اسم المفعول والمصدر الميمي واسم التفضيل وأفعل التعجب. وعرضت خلال كل ذلك ما عثرت عليه من آراء للطوسي في تلك المسائل وكذلك في الموضوعات التالية التي عرضتها في هذا الفصل وهي: جمع التكسير، التصغير، الامالة، الابدال، الاعلال. وختمت الفصل بالكلام عن الادغام وآراء الطوسي فيه.

وتناولت الخاتمة نتائج البحث مع تحليل لتلك النتائج ومحاولة للربط بينهما في جميع فصول الرسالة والخروج بنتيجة تحدد اتجاه الطوسي ومذهبه النحوي.

وبعد فهذه الرسالة محاولة متواضعة لمعالجة جانب من جوانب الطوسي العلمية وللتعرف على نشاطات المفسرين النحوية في كتبهم في التفسير ومقدار ما أسهمت كتب التفسير في هذا المجال.

وختاما أسأله تعالى أن يأخذ بيدي لما فيه الصواب. وان يكلل هذا الجهد المتواضع بالنجاح لخدمة لغة كتابه الكريم.

# شكر

أشكر الله تبارك وتعالى على ما مكنني من انجاز هذا البحث وأحمده على جيع نعمائه التي لا تعد ولا تحصى حمدا كثيرا لا انقطاع له.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الدكتور أحمد علم الدين الجندي، الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، والذي خصص لي الكثير من وقته وجهده، ووسعني بكرمه وحسن خلقه النابع من الإسلام العظيم.

وأتقدم بالشكر الجزيل أيضا لأستاذي الدكتور محمد بدوي المختون الذي تفضل بالإشراف أولا على هذه الرسالة الا أنَّ ظروفه لم تسمح له بمواصلة الاشراف.

كما وأتقدم بجزيل الشكر للسادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقراءة هذه الرسالة لإبداء الملاحظات والآراء عليها اتماما للفائدة.

وأقدم شكري لكل من ساعد على اعداد هذا البحث بجهودهم من اعارة كتب وطبع وغير ذلك، وأخص بالذكر أخي الأكبر الدكتور جواد عبد جواد النجدي وزوجتي الفاضلة على ما أبدياه لي من جهد متواصل في سبيل إنجاح هذا البحث.

وأسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يوفق الجميع لخدمة العلم وأن يأخذ بأيديهم للخير والصلاح انه سميع مجيب.

القاهرة في: ٢١ شهر رمضان المبارك ١٤٠٠ هجرية

الموافق ١٩٨٠/٨/٣ م.

# بسم الله الرحمن الرحيم

## التمهيد

من الخصائص الجوهرية لكل لغة حية قابليتها للتطور والابتكار، وقدرتها على استيعاب مفردات اللغات الاخرى، واستيعاب ما استجد من المخترعات والمكتشفات، وما ظهر من معان جديدة في الفكر الانساني، وما لحق بكل ذلك من ألوان الحضارة المتغيرة. ولغتنا الحبيبة المثال الأمثل للغات الحية. وقيمتها لا تتحدد بما تتمتع به من ميزات وصفات اللغات الحية فحسب، بل ان سر قيمتها يتمثل في كونها اللغة الوحيدة في العالم التي أنزل بها خاتم كتب الله تعالى. وبها جاءت السنة المطهرة فهي لغة رسول الله -ﷺ-. ولهذين السببين فالمسلمون أجمع يحاولون التعرف على هذه اللغة وتدارسها وخاصة علماء الاسلام، وأشد العلماء حاجة للتعمق في دراسة اللغة العربية هو المفسر للقران الكريم. فمن شروط المفسر أن يكون ملما الماما كافيا باللغة العربية لكونها لغة النص القرآني.

ومن هنا نشأت العلاقة بين علمي التفسير والنحو، بل ان المحاولات الأولى للنحاة انما كانت لحفظ اللسان من الخطأ في تلاوة القران الكريم.

ومن العوامل الهامة التي أدت الى نمو وتطور علم النحو ونضجه ضمن دائرة العلاقة بينه وبين التفسير، هي: حاجة علماء المسلمين المتزايدة في علوم الشريعة واللغة لحفظ هذا النص القرآني، وإبعاد الناس من اللحن فيه، واستنباط الأحكام الشرعية منه ومن السنة الشريفة.

ومحاولة أبي الأسود الدؤلي في تحريكه لأواخر الكلمات في القرآن الكريم [١]. ومحاولة نصر بن عاصم في تنقيط المصحف[٢]. لَم تستهدفا إلا ابعاد الناس من الخطأ في تلاوة المصحف الشريف.

---

١- المحكم في نقط المصاحف- ٠٢.

٢- التصحيف والتحريف- لأبي أحمد العسكري تحقيق- عبد العزيز أحمد.

وتتابعت تلك المحاولات وتزايدت، وتبارى علماء المسلمين في التأليف في معاني القرآن الكريم هدفهم في ذلك تفسيره، فظهرت كتب قيمة في هذا الحقل، منها كتاب معاني القرآن لأبي زكريا الفراء ومعاني القرآن للأخفش، ومعاني القرآن للزجاج. وكان هؤلاء المفسرون يتناولون تفسير الآيات التي تحتاج الى تفسير في نظرهم هم، ولم يتناولوا جميع آيات القرآن الكريم. وهدفهم من هذه المؤلفات لم يكن النحو، وانما استهدفوا الكشف عن معاني النص القرآني وتقريبه لأذهان المسلمين.

الا أن شدة العلاقة بين التفسير والنحو أبرزت كتبهم في مجال علم النحو واعطتها قيمة علمية في هذا الفن. ويبدو من العناوين التي تحملها هذه الكتب انها كانت تستهدف التفسير ليس غير، وأن الأبحاث اللغوية والنحوية في تلك الكتب كانت تأتي عرضا، نظرا للحاجة اليها، لكونها وسيلة لتقريب معاني الآيات الكريمة.

من هنا تتبين بشكل أوضح العلاقة بين علمي التفسير والنحو وقد أشار الزجاج الى هذه العلاقة بقوله: " إنما تذكر مع الإعراب المعنى والتفسير، لأن كتاب الله ينبغي ان يتبين، ألا ترى ان الله يقول: " أفلا يتدبرون القرآن "[1] فحضنا على التدبر والنظر، ولكن لا ينبغي لأحد أن يتكلم إلا على مذهب اللغة ".[2]

وهناك عامل اخر مهم وجوهري يربط بين علمي التفسير والنحو وهو توقف كل من تقدير معنى الآية الكريمة وإعرابها على الآخر، وأن أي خطأ في تقدير الاعراب يستلزم خطأ في المعنى. وهذا ما حدث فعلا، ودفع أبا الأسود الدؤلي للتفكير في تحريك أواخر الكلمات في القرآن الكريم عندما سمع قارئا يقرأ قوله تعالى: " أن الله بريء من المشركين ورسوله "[3] بكسر اللام في "رسوله" فقال ما ظننت أمر الناس يصل الى هذا.

وحاجة الفقيه الى النحو لا تقل عن حاجة المفسر اليه بل ان الفقيه إذا لم يكن ملما الماما كافيا باللغة العربية وقواعدها لم يكن مؤهلا للإفتاء واستنباط الأحكام الفقهية. ويروى أن هارون العباسي كتب الى أبي يوسف يسأله عن حكم الطلاق في البيتين التاليين:

---

١- سورة النساء- ٨٢.

٢- معتني القرآن واعرابه- ١/ ١٦١،١٦٢. لأبي اسحاق الزجاج - شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، بيروت ١٩٧٢م.

٣- سورة البقرة - ٣.

فإن ترفقي يا هندُ فالرفقُ أيمن وإن تخرقي يا هندُ فالخرقُ أشأم

فأنتِ طلاقٌ، والطلاقُ عزيمةٌ ثلاث، ومن يخرقُ أعقُّ وأظلمُ

فقال: " ماذا يلزمه إذا رفع الثلاث وإذا نصبها؟ " .

قال أبو يوسف: فقلت: " هذه مسألة نحوية فقهية ولا آمن الخطأ إذا قلت فيها برأي، فأتيت الكسائي وهو في فرشه فسألته فقال: " إن رفع ثلاثا طلّقت واحدة، لأنه قال: أنت طالق ثم أخبر أن الطلاق التام ثلاث، وإن نصبها طلّقت ثلاثا، لأن معناه أنت طالق ثلاثا وما بينهما جملة معترضة "[١].

وهذه الرواية تشير بوضوح الى قوة العلاقة بين الفقه واستنباط الأحكام فيه وبين الاطلاع الواسع على علم النحو.

ولا شك أن كثيرا من المصطلحات التي يستعملها النحوي هي نفسها عند الأصولي والمتكلم والمنطقي، فالقياس في النحو يشبه القياس في أصول الفقه وعلم الكلام والمنطق وكذلك الكلام في الاستصحاب والتعليل.

وبطلان الاجتهاد أمام النص في أصول الفقه يقابله ذلك في أصول النحو، يقول ابن جنى: " إذا ادّاك القياس الى شيء ما ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه ". ويعلق السيوطي على كلام ابن جنى فيقول: " وهذا يشبه في أصول الفقه نقض الاجتهاد إذا بان النص بخلافه "[٢].

ويظهر السيوطي الشبه بين عجز الفقيه وبين عجز النحوي في تعليل الأحكام بقوله: " إذا عجز الفقيه عن تعليل الحكم قال: " هذا تعبّدي " وإذا عجز النحوي عنه قال: " مسموع "[٣].

ولم يتوقف الأمر في تغيير الاعراب على تغيير المعنى فحسب بل شمل بالضرورة ما استنبط من الأحكام العقائدية فضلا عن الأحكام الفقهية المتعلقة بتلك الآية، لذلك تحاول كل فرقة من المسلمين تأويل معنى الآية

---

١- المغني لابن هشام- ٥٠/١ المطبعة الأزهرية سنة ١٩٢٨. وانظر أبو علي الفارسي - ٢٥.

٢- الاقتراح للسيوطي- ٨٦ ، مطبعة دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن ١٣٤٩.

٣- الاقتراح للسيوطي - ٤٧.

او ما يستنبط منها من أمور عقيدية وفقهية، بتقدير اعراب يتفق مع ما تذهب اليه، او توجه القراءة القرآنية توجيها يتفق او لا يتعارض مع مذهبها.

وقد أشار الطوسي في مقدمته للتبيان الى هذه الناحية اثناء عرضه لما يشتمل عليه تفسيره من موضوعات فقال بعد أن عدد موضوعات كالقراءة والمعاني والاعراب: " وذكر ما يختص أصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه على صحة مذاهبهم في أصول الديانات وفروعها "[١] .

لقد عرفت كتب معاني القرآن للفراء والأخفش والزجاج بأنها كتب نحوية أكثر من كونها كتبا في تفسير القرآن علما أن دافعهم للتأليف هو معاني القرآن. ومع ذلك فإنه لا يمكن اعتبار شدة العلاقة بين علمي النحو، والتفسير هو سبب ظهور هذه الكتب وبروزها في علم النحو. بل لعله هناك سبب آخر أدى الى هذه الظاهرة، وهو نضج التفكير النحوي لدى هؤلاء العلماء الثلاثة ومن شابههم، حتى أن ذلك عُدّ من المؤاخذات على تفاسيرهم، فانتقدها بعض العلماء، بأنها كانت تهتم بالإعراب والتصريف وتترك جانب المعاني، وقد أشار الطوسي الى ذلك بقوله: " فأن الزجاج والفراء وما أشبههما من النحويين، أفرغوا وسعهم فيما يتعلق بالإعراب والتصريف والمفضل بن سلمه وغيره، استكثروا من علم اللغة واشتقاق الالفاظ.. "[٢] الا أن العلاقة بين النحو والعلوم الاخرى قد تخطت ما ينبغي ان لا تتخطاه ونتج عن ذلك أن طغت هذه الاصول المنطقية كوسائل لحفظ اللغة على الهدف الذي من أجله وضعت تلك الأصول في النحو وهو اللغة عينها فأصبح التشكيك والطعن يوجه لبعض المسموع من اللغة نتيجة لمخالفته لتلك الأصول والأقيسة – التي وضعت لخدمة ذلك المسموع وتقعيده– وهذه نتيجة خطيرة أدت – من جملة ما أدت اليه – الى انفصال معاني الالفاظ عن مبانيها وهي بمثابة نزع الروح من الجسد ، " من أجل هذا انحرف النحو العربي عن وظيفته ، وتنكب منهج الحياة

---

١– التبيان– ١/٢. أبو جعفر الطوسي محمد بن الحسن. الطبعة الثانية، النجف الأشرف – ١٩٥٧–١٩٦٣م.

٢– التبيان– ١/١.

سبيل (المعاني) حتى أتسمت الدراسات النحوية بسمة الاتجاه الى المباني ولم يكن قصدها الى (المعنى) إلا في المنزلة الثانية من عنايتهم "[١].

إن الدراسات النحوية المجردة عن روح المعاني تبدو جامدة هامدة لا حراك فيها، ولكنها حين تمتزج بالدراسات القرآنية والأدبية تدب فيها الحياة وتبدو عندئذ متحركة يتلذذ الدارس لها وكذلك القارئ والمؤلف فيها.

وينبغي أن لا ننسى أن النحو وسيلة لتقريب المعاني وحفظها وليس غاية بذاته.

إن النقد الموجه من الطوسي للمفسرين الذين أفرغوا وسعهم فيما يتعلق بالإعراب والتصريف، لا يعني أن جميع من ألف في تفسير القرآن خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين قد أكثروا في الجانب اللغوي والنحوي بل يوجد هناك بعض من المفسرين قد استوعب جميع فنون القرآن الكريم كأبي جعفر محمد ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ إلا أن من المؤاخذات على تفسيره أنه أطال فيه. وقد أشار الطوسي الى ذلك في اثناء نقده لمنهج من تقدمه من المفسرين بقوله: "فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الأمة، بين مطيل في جميع معانيه واستيعاب ما قيل فيه من فنونه – كالطبري وغيره – . . . "[٢].

وفي أواخر القرن الرابع الهجري وخلال القرن الخامس الهجري وما بعده، أخذت كتب التفسير تتسم بسمات تميزها عن غيرها، حيث بدأ فيها التخصص في فن التفسير أكثر نتيجة للتطور الحاصل في شتى العلوم فانفصلت كتب اللغة عن بعضها، فكتب للغة وكتب للنحو وكتب للتفسير وكتب للفقه وأُخرى للعقائد. ومع ذلك فان علاقة التفسير بالنحو أخذت بالتزايد أكثر فأكثر، وكأنه كلما كان عصر المفسر بعيدا عن عصر الاحتجاج وخاصة عصر صدر الإسلام، ازداد المختصون بشؤون التفسير تعمقا في أُمور اللغة والنحو، والسر في ذلك – في هذه العلاقة الطردية – هو أنه كلما ابتعد المفسرون عن عصر السليقة اللغوية السليمة كلما

---

١– نحو القلوب الصغير – للإمام عبد الكريم القشيري– تحقيق– د. أحمد علم الدين الجندي –الدار العربية للكتاب – ليبيا تونس – ١٣٩٧هـ – ١٩٩٧م.

٢– التبيان– ١/١.

ازداد تفشي اللحن في الكلام فيعقبه ازدياد الحاجة في التدقيق لمعرفة سليم اللغة من غيره، مما يؤدي الى ازدياد حاجة المفسر للتعمق في دراسة علم النحو واللغة.

وأخذت كتب التفسير في القرن الخامس الهجري وما بعده تتخذ شكل الموسوعات التي تضم عدة مجلدات في مختلف الفنون المتعلقة بالبحوث القرآنية.

ولهذه العلاقة العلمية القوية بين علمي التفسير والنحو أو بين علماء التفسير وعلماء النحو، وشدة حاجة المفسر للنحو وتزايدها وللتوسع الذي حصل في الموسوعات القرآنية بمختلف علوم القرآن، وحرص المسلمين على الكشف عن مراد الله تعالى من الآية الكريمة، وما يتعلق بها من الاحكام، كل هذه الأمور والعوامل أدت الى إنتاج مادة نحوية قيمة في أغلب كتب التفسير تصلح أن تكون موضوعات للبحث للتعرف على نشاطات هؤلاء المفسرين في ميدان النحو وما أغنوا به المكتبة والذهنية النحوية ببحوث قيمة لا يستهان بها.

وتفسير التبيان للشيخ أبي جعفر الطوسي من جملة هذه المؤلفات التي أسهمت مساهمة قيمة في الدراسات النحوية، بما يحويه كتاب التبيان في تفسير القرآن من مادة نحوية ليست يسيرة أهلته أن يكون موضوعا للبحث والدراسة.

# الفصل الأول

## الطوسي: حياته وآثاره

١- عصره

٢- حياته

٣- ثقافته

٤- شيوخه وتلاميذه

٥- مؤلفاته وآثاره

٦- مصادره في تفسيره

٧- وفاته.

# الطوسي: حياته وآثاره

## ١-عصره:

### ١- الحالة السياسية:

#### أ- الحالة السياسية (٣٨٥هـ - ٤٤٧هـ)

عاصر الطوسي منذ بداية نشأته البويهيين ، وكان نفوذهم يمتد على جميع الأقاليم التي تنقل فيها الطوسي طيلة حياته (خراسان والعراق). وكانت عاصمتهم وقتذاك بغداد، حيث انتقل اليهما الطوسي من مسقط رأسه (طوس)[١] سنة ٤٠٨هـ وهو ابن ثلاث وعشرين سنة[٢] .

كان الخليفة العباسي الرمزي في هذه الفترة، هو القادر بالله الذي تولى الخلافة سنة (٣٨١)هـ ، واستمرت خلافته لمدة (٤١) سنة ، حيث تولى الخلافة بعده ، ابنه عبد الله أبو جعفر القائم بأمر الله ، الذي استمر حكمه حتى وفاته سنة (٤٥٠) هـ. أما والده فقد توفى سنة (٤٢٢) هـ وعمره (٨٧) سنة [٣].

وذكر الذهبي انه قد " حلف القادر وبهاء الدولة كل منهما لصاحبه بالوفاء وقلده مما وراء بابه مما تقام فيه الدعوة "[٤].

عايش الطوسي أثناء حكم البويهيين اثنين من خلفاء العباسيين ،هما: القادر بالله وولده القائم بأمر الله. وهذا الأخير هو الذي جعل –كرسي الكلام والافادة – للطوسي اعترافا بعظمته ونبوغه وكبر شخصيته وتقدمه

---

١– طوس من كبريات مدن مقاطعة خراسان في إيران وأشهرها وأقدمها ، ولفظها بالفارسية (توس) وتشتهر هذه المدينة بجمال الطبيعة وبالأحجار الكريمة وبالآثار الإسلامية ويتبعها ما يزيد عن ألف قرية "دائرة المعارف الإسلامية ": ٣٥٨/٥ ، مطبعة الشعب بالقاهرة.

وانظر ص ٢٢ من هذه الرسالة.

٢– د. حسن ابراهيم حسن – تاريخ الإسلام السياسي: ١٠٦/٣ ، القاهرة سنة ١٩٦٩م.

٣– السيوطي– جلال الدين ، تاريخ الخلفاء ص ٣٨٢ – ٣٨٥ ، دار التراث – بيروت سنة ١٩٦٩م.

٤– المصدر السابق–٣٨٠.

على من سواه ، وكان لهذا الكرسي يومذاك عظمة وقدرة فوق الوصف. إذ لم يسمحوا به إلا لمن برز في علومه وتفوق على أقرانه[١].

كان أبرز حكام البويهيين في عصر الطوسي أربعة ، هم: صمصام الدولة (٣٧٢ – ٣٨٨هـ) وبهاء الدولة (٣٨٨ – ٤١٥هـ) وعماد الدولة أبو كاليجار (٤١٥ – ٤٤٠هـ) وأبي نصر فيروز الملك الرحيم ابن أبي كاليجار (٤٤٠ – ٤٤٧هـ).

في عام ٣٨٠هـ قامت حرب بين صمصام الدولة وأخيه بهاء الدولة انتصر فيها صمصام الدولة على مقربة من شيراز. وعقد الصلح بينهما على أن تكون لصمصام الدولة ، بلاد فارس وأرجان، ولبهاء الدولة خوزستان والعراق[٢]. ولا شك أن عدم الاستقرار السياسي لأي منطقة ربما يؤدي الى اضطراب الحركة العلمية والثقافية وعرقلة مسيرتها التطورية. بعد ذلك استولى على الأهواز سنة ٣٨٥هـ –سنة ميلاد أبي جعفر الطوسي –واستولى على البصرة سنة ٣٨٦هـ. وفي عام ٣٨٨هـ تم اغتيال صمصام الدولة نتيجة للصراع السياسي، واستولى على الحكم اخوه بهاء الدولة ، الذي استمر حكمه حتى سنة ٤٠٣هـ ، فخلفه ابنه سلطان الدولة، الذي حدث بينه وبين أخيه شرف الدولة نزاع كاد يؤدي بنفوذ سلطان الدولة ، لولا أن انتهى بصلح بينهما، على أن يكون العراق لشرف الدولة ، وفارس وكرمان لسلطان الدولة الذي توفي عام ٤١٥هـ، فخلفه عماد الدولة أبو كاليجار ، الذي أمتد نفوذه الى جنوب العراق ، وتمكن أخيرا من الاستيلاء على العراق إضافة الى بلاد فارس سنة ٤٣٥هـ، واستمر نفوذه عليهما حتى مات سنة ٤٤٠هـ وهو في طريقه لإخماد ثورة نائبه بكرمان، فخلفه أبو نصر فيروز الملك الرحيم بن أبي كاليجار ٤٤٠–٤٤٧هـ، الذي زال في عهده سلطان البويهيين على أيدي السلاجقة[٣].

---

١– الطهراني اغا بزرك– حياة الطوسي ص د – النجف الاشرف: ١٩٥٧م.

٢– د. حسن ابراهيم حسن– تاريخ الإسلام السياسي ، ١٠٦/٣.

٣– د. حسن ابراهيم حسن– تاريخ الاسلام السياسي ١٠٧/٣.

كان النزاع مستمرا على السلطة، حتى بين الأخوة ، وهذه الظاهرة تختلف تماما عن حالة الوفاق التي كانت بين الحكام البويهيين في بداية قيام دولتهم سنة ٣٣٤هـ، فكان عماد الدولة على فارس وأخوه ركن الدولة على الري وهمذان واصبهان ، وكان معز الدولة على بغداد، ويذكر أن معز الدولة كان " يحب أخاه عماد الدولة ويحترمه ويكاتبه بالعبودية ويقبل الأرض بين يديه إذا اجتمعا مع عظم سلطانه لكونه أكبر سنا"[١].

ومما يدل على متانة علاقتهم ، أن عماد الدولة لما أحس بالموت أرسل الى أخيه ركن الدولة يطلب ابنه عضد الدولة ليوليه عهده بفارس لأنه لم يكن له ولد ذكر[٢]. وهذا التآلف والاستقرار السياسي له أثر كبير على استقرار البلاد في شتى نواحيها ، لذا فلدى تتبع الحركة العلمية والثقافية ، وإنشاء المكتبات ودور العلم، يلاحظ أن رواج هذه الأمور في بداية عهد البويهيين ، أكثر منه في نهايته.

كان وجود الخليفة العباسي مجرد رمز للخلافة ، وليس بهذه أي نفوذ بل هو مقهور خائف، ويصف المسعودي الخلفاء العباسيين في هذا العهد فيقول:" كانوا كالمولى عليهم، لا أمر ينفذ لهم ..... قد قنعوا باسم الخلافة ورضوا بالسلامة "[٣] .

وهناك ظاهرة واضحة في سياسة البويهيين ، وهي أن أساس الاختيار للوزارة كان يعتمد على أمرين ، هما القدرة الادارية ، والقدرة البلاغية فكان الوزراء فحول أدب ، وكانت لهم مجالس تموج بالعلماء والأدباء.

وقد بزغ في عهدهم في سماء العلم والأدب نجوم من العلماء والأدباء والفلاسفة أمثال: الصاحب بن عباد ، وزير فخر الدولة ومؤيد الدولة ، ذكر السيوطي فقال " الصاحب بن عباد ، وهو وزير مؤيد الدولة وهو أول من سمي بالصاحب من الوزراء "[٤]. وكان على طريقة استاذه ابن العميد في كرمه وإغداقه على الأدباء

---

١- أبو المحاسن- النجوم الزاهرة ٣/٣٠٠ ، ابن تغرى بردى القاهرة ١٣٧٥هـ.

٢- د. حسن ابراهيم حسن- تاريخ الاسلام السياسي ٣/١٠٤.

٣- المسعودي- التنبيه والاشراف: ٤٠٠.

٤- السيوطي- تاريخ الخلفاء ص ٢٨٤. دار التراث ، بيروت ١٩٦٩م.

، واجتمع له من الشعراء ، أبو الحسن السلامي والبديهي ، وأبو سعيد الرستمي ، وأبو حسن الجوهري ، وابن القاشاني وغيرهم[١].

ومن الوزراء البارزين ، أبو نصر سابور بن أردشير ، وزير بهاء الدولة ابن عضد الدولة ، ذكر ابن خلكان " سابور " فقال:" كان من أكابر الوزراء وأماثل الرؤساء ، جمعت فيه الكفاية والدراية ، وكان بابه محط الشعراء ". ولد بشيراز سنة ٣٣٦هـ وتوفي سنة ٤١٦هـ [٢]. وقد أسس هذا الوزير دارا كبيرة للعلم والكتب ، احتوت على كتب هامة ، في شتى العلوم وكان عدد كتبها، أكثر من عشرة آلاف كتاب[٣]. وذكر ابن الأثير " سابور" فقال:" سابور معرب " شاه بور" كان من وزراء الشيعة للملك الشيعي بهاء الدولة وكان من اهل العلم والفضل والأدب وكانت دار علمه محط الشعراء والأدباء "[٤].

### ب- الحالة السياسية (٤٤٧-٤٦٠هـ)

زال سلطان البويهيين في عهد الملك الرحيم بن ابي كاليجار، الذي كانت مدة حكمه ابتداء من ٤٤٠هـ، حيث ورث السلطان عن ابيه تركة مثقلة بالمتاعب والاخطار في الداخل والخارج، ففي الداخل كان الملك عبد العزيز بن جلال الدولة يطمع في السلطة ويحارب الملك الرحيم في البصرة، وفي الخارج ازداد نشاط السلاجقة وتفاقم خطرهم، وقويت اطماعهم في الاستيلاء على فارس والعراق.

يشجعهم على ذلك، ضعف بني بويه في أواخر أيامهم. واستعانة العباسيين بمنافسيهم من السلاجقة، مما مكنهم اخيرا في الاستيلاء على املاك بني بويه في فارس والعراق، وكانت لمناوأة ابي الحارث البساسيري، للخليفة العباسي المطيع أهمية كبيرة في التعجيل بسقوط البويهيين[٥].

---

١- أحمد أمين- ظهر الاسلام ٢٥٣/١ بيروت ١٩٦٩م.

٢- ابن خلكان- وفيات الأعيان ١٩٩/١ ط١ تحقيق محي الدين عبد الحميد ٩٤٨.

٣- ياقوت الحموي- معجم البلدان ٣٤٢/٢-القاهرة ١٩٠٦م.

٤- ابن الأثير- الكامل ٣/١. القاهرة ١٢٩٠هـ.

٥- د. حسن ابراهيم حسن- تاريخ الاسلام السياسي ١٠٩/٣.

دخل طغرلبك السلجوقي بغداد في رمضان سنة ٤٤٧هـ، بعد استئذان الخليفة العباسي القائم وتعاهده معه. وبعد فترة وجيزة من دخوله بغداد واجه كثيرا من الاضطرابات التي أثارها الجنود الأتراك في دار الخلافة. والقلاقل التي سادت الموصل وديار بكر وسنجار.

استمر حكم طغرلبك حتى وفاته سنة ٤٥٥هـ بعد ان حكم ثمان سنين[١] فتولى الوزير الكندري دفنه، وأجلس سليمان بن داوود أخا طغرلبك على العرش ومعه وزيره ، نظام الملك، الا أن أخاه ألب أرسلان ثار عليه وهزمه وحل محله[٢]. وأدت هذه المحاولة الى قتل الوزير الكندري الذي وزر للسلطان طغرلبك طيلة حكمه ، وكان الوزير الكندري فصيحا بالعربية شاعرا[٣].

واستمر حكم ألب أرسلان حتى وفاته سنة ٤٦٥هـ وخلفه ابنه ملكشاه. وكان من أعماله أن أخضع "ختلان" و "هراه" و "صفانيان" في الشمال الشرقي من خراسان ،بعد ان شق عليه اصحابها عصا الطاعة، ورد البيزنطيين في آسيا الصغرى على أعقابهم بعد أن فتح كثيرا من قلاعهم ، وغنم غنائم كثيرة من أهالي هذه البلاد، وقد اشترك معه ولده ملكشاه والوزير نظام الملك في هذه الحروب[٤]. وقمع الثورة التي قامت في فارس وكرمان وفي سنة ٤٥٧هـ بدأ ببناء المدرسة النظامية ببغداد.

في هذه الفترة، من عهد السلاجقة، ازدادت الحالة سوءا على الصعيد الرسمي والشعبي، فمن الناحية الرسمية أخذ السلاجقة يشجعون الثغرات المذهبية بين المسلمين، فحدثت فتن بين الإمامية، والسلفية مرات عديدة، كما أنهم أودوا بدخولهم بغداد بدار العلم ، المكتبة الضخمة التي انشأها سابور بن أردشير، فأحرقت

---

١- نفس المصدر- ١٩/٤

٢- ابن خلكان- وفيات الاعيان ١٦٠/٤.

٣- ابن الأثير- الكامل ١٢/١٠.

٤- ابن الأثير- الكامل ٢٧/١٠.

سنة ٣٥١هـ[١]. ونهبت العوام كتبها، فأزالهم الملك، وجلس يختار منها لنفسه، قال ابن الأثير:" فنسب ذلك الى سوء سيرته وسوء اختياره "[٢].

وكان المتصيدون بالماء العكر لا يتورعون عن إثارة الغوغاء والعيارين ويتخذونهم وسيلة لتحقيق مآربهم، وقد ذاق مرارة هذا كله أبو جعفر الطوسي ، فأحرقت كتبه مرارا امام الناس ، في رحبة جامع النصر ببغداد[٣]. وأحرقت داره التي في الكرخ[٤]. وأخذ كرسي الكلام الذي كان يجلس عليه للمناظرة [٥].

ذكر ابن كثير في حوادث سنة ٤٤٩هـ قال:" .... وفيها كثر العيارون ببغداد ، وأخذوا الاموال جهارا، وكبسوا الدور ليلا ، وكبست دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة ، وأحرقت كتبه ودفاتره ومآثره "[٦].

ونتيجة لاضطراب الأمن في عهد السلاجقة، اضطر الخليفة العباسي أن يضع حراسة شديدة على قصره خوفا من اللصوص والعيارين[٧].

وكان من أبرز الوزراء في عهد السلاجقة، الوزير نظام الملك " حسن الطوسي". كان عالما جوادا حليما، كثير العفو، طويل الصمت، وكان مجلسه حافلا بالفقهاء، وأئمة المسلمين وأهل الخير والصلاح، وقد اشتهر ببناء المدارس وخصص لها النفقات العظيمة، وأملى الحديث ببغداد ونيسابور وغيرها من مدن خراسان، توفي سنة ٤٨٥هـ بعد أن تقلد الوزارة لألب أرسلان وملكشاه نحوا من ثلاثين سنة[٨].

---

١- ابن الجوزي- المنتظم ٨/٢٢ الهند ١٣٥٨هـ.

٢- ابن الأثير- الكامل في التاريخ ٨٧/١٠.

٣- ابن حجر- ليان الميزان ١٣٥/٥. ط١ -حيدر آباد الدكن سنة ١٣٣١هـ.

٤- ابن كثير- البداية والنهاية ٩٧/١٢ - القاهرة ١٩٥٥م.

٥- ابن الجوزي- المنتظم ٧٩/٨.

٦- ابن كثير- البداية والنهاية ٧١/١٢.

٧- نفس المصدر- ٩٧/١٢

العيارون – فئة من المقاتلين كانت تنتهز فرصة ضعف السلطة فتخرج لتنهب الدور والأسواق وتخل بالأمن والنظام.

٨- د. حسن ابراهيم حسن- تاريخ الاسلام السياسي ٣١/٤.

من أبرز الظواهر في هذه الفترة، كثرة التنازع على السلطة، وكثرة الاغتيالات وكان الخلفاء العباسيون يعيشون من اقطاعات مقررة يديرها عمال على رأسهم الوزير وكاتب الانشاء[١].

ولم يكن لهؤلاء الخلفاء شيء من السلطة ، سوى ذكر اسمهم في الخطبة ونقشه على السكة ، وكانوا يقضون أوقاتهم في بناء القصور وترميمها[٢].

**٢ـ الحالة العلمية والثقافية:**

***أـ خلال الفترة (٣٨٥ـ٤٤٧)***

اتسم عصر البويهيين بنسبة كبيرة من الحرية الفكرية على الصعيد الرسمي، إذ لم يكن هناك حجر عقيدي على مختلف المدارس الاسلامية ، وبشتى مذاهبها ، وبضمنها الامامية، وكانت المناظرات العلمية في مختلف المسائل العقيدية تجرى علنا، حتى مسائل الامامة، كانت تناقش علنا. ساعد على ذلك ميل البويهيين المعروف للإمامية، ورغبتهم الشديدة في تشجيع اهل العلم والأدب من مختلف المذاهب.

تأسست في هذه الفترة،المكتبات الضخمة، وخصصت دور للعلم والكلام والمناظرة[٣]. ومن مظاهر الاهتمام بالعلم والأدب، تلك المكتبة التي أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير، وزير بهاء الدولة البويهي، وكانت من دور العلم المهمة ببغداد في محلة بين السورين بنيت سنة ٣٨١هـ على غرار " بيت الحكمة " الذي بناه هارون العباسي[٤]. ونقل اليها هذا الوزير مختلف المؤلفات وجلائل الآثار من تأليف اهل الهند والصين والروم[٥].

---

١– البنداري– زبدة الفكر ص ١٩٤.

٢– د. حسن ابراهيم حسن– تاريخ الاسلام السياسي ١٧/٤.

٣– المامقاني– تنقيح المقال في أحوال الرجال ص ١٠٥ النجف ١٣٥٠هـ.

٤– الطهراني– حياة الطوسي ص: هـ.

٥– المقريزي– خطط الشام ١٨٥/٦. مطبعة النيل بمصر ١٣٢٦هـ

ويدل هذا على وجود حركة واسعة النطاق للترجمة، ذكر ياقوت الحموي هذه المكتبة فقال " وبها كانت خزانة الكتب، التي اوقفها الوزير أبو نصر سابور وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة[١] ولم يكن في الدنيا أحسن كتبا منها كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحررة"[٢].

وذكرها ابن الأثير في تاريخه فقال "كان من جملتها مائة مصحف بخط ابن مقلة"[٣] وذكرها ابن الجوزي فقال "كان فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد من أمهات الكتب"[٤]. ومن المكتبات المهمة مكتبة الصاحب اسماعيل بن عباد[٥].

وكانت مكتبة الطوسي الشخصية مكتبة مهمة في هذه الفترة، حيث كان فيها كتب هامة بخطوط أكابر العلماء، وقد أحرقت كتب هذه المكتبة مرارا أمام الناس ومرة عندما أحرقت داره في الكرخ[٦].

نشطت الحركة العلمية في عهد البويهيين نشاطا كبيرا، وأنجبت علماء وأدباء وفلاسفة لم يشهد لهم التاريخ مثيلا، وتركوا لنا تراثا ضخما في شتى العلوم. وهناك عوامل عدة ساعدت على نشاط الحركة العلمية: منها ميل الحكام البويهيين للعلم والأدب، وتشجيع العلماء والأدباء، وبناء دور العلم. ومنها الجدل الشديد والمناظرات الكلامية بين أقطاب المذاهب الاسلامية المختلفة– خاصة بين الامامية والأشعرية والمعتزلة– فبرز على الساحة العلمية، متكلمون وعلماء وفقهاء من كل فرقة من هذه المذاهب. ومن العوامل التي ساعدت على ذلك، أن الحكام البويهيين أنفسهم ووزراءهم كانوا من العلماء والنحويين والأدباء. ومن جملة من برز في هذه

---

١– ولد عضد الدولة سنة(٣٦١هـ) وتوفي سنة (٤٠٣هـ) وهو ابن ركن الدولة " حسن " بن بويه ، الذي نال عنده أبو علي الفارسي –النحوي– مكانة عظيمة. وكان عضد الدولة يفخر انه غلامه ، ولما ألف له كتاب " الإيضاح " استصغره ، فأردفه مغيظا بكتاب " التكملة " فقال " غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو " ،
ابن خلكان – وفيات الاعيان ١٩٨/١–١٩٩.

٢– الحموي– معجم البلدان/ ٣٤٢. دار بيروت سنة ١٣٧٦هـ.

٣– ابن الأثير– الكامل ٣/١٠.

٤– ابن الجوزي– المنتظم ٢٢/٨.

٥– الفخري– في الآداب السلطانية ص ٢٣٦.

٦– ابن حجر– لسان الميزان ١٣٥/٥، ابن كثير– البداية والنهاية، ١٧/١٢.

الفترة الزمنية على الساحة العلمية والأدبية، أبو حامد الأسفرائيني (ت سنة ٤٠٦هـ). كان يدرس في بغداد فيحضر اليه أكثر من ثلثمائة فقيه. والباقلاني صاحب التصانيف الكثيرة في علم الكلام، وقاضي القضاة عبد الجبار، الذي كان أشعريا ثم تحول الى الاعتزال، وانتهت اليه رياسة المعتزلة، حتى صار شيخها وعالمها غير مدافع، استمر في التدريس بالري حتى وافاه الأجل سنة ٤١٦هـ [١].

وممن نبغ من كبار فقهاء الحنفية في العراق أبو الحسين أحمد القدوري –توفى سنة ٤٢٨هـ– وكان يناظر الاسفرائيني الفقيه الشافعي[٢]. ومن أكابر فقهاء الشافعية أبو الحسن الماوردي علي بن محمد بن حبيب البصري صاحب كتاب "الحاوي" وهو من أهم الكتب في الفقه الشافعي وله كتاب "أدب الدنيا والدين" توفي ببغداد سنة ٤٥٠هـ. وممن نبغ في الفقه وعلم الكلام والأدب واللغة الشريف المرتضى علي بن الطاهر –توفي سنة ٤٣٦هـ، وكان اماما في علم الكلام والأدب والشعر، وكان نقيب الطالبين في بغداد[٣]. آلت اليه رياسة الامامية، بعد وفاة الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد المعروف بابن المعلم، فقيه الشيعة وأستاذهم ورئيسهم[٤]. وكان له مجلس في الفقه وعلم الكلام وغيرهما يحضره أكابر أهل العلم، وكان معاصرا لعلمين من أعلام الكلام هما: أبو بكر الباقلاني الأشعري– المتقدم الذكر– والقاضي عبد الجبار المعتزلي، وكان بينه وبينهما مناظرات محفوظة[٥].

وممن اشتهر بالفلسفة والترجمة أبو علي بن زرعة النصراني–توفى سنة ٣٩٨هـ–، اختصر كتاب أرسطو في المعمور من الأرض[٦].

---

١– أحمد أمين– ظهر الاسلام ٢٢٢/١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٩م.

٢– نفس المصدر– ٢٢٤/١

٣– نفس المصدر– ٢٤١/١

٤– الطوسي– الفهرست ص ١٨٦ ط٢ المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٦١.

٥– الخوانساري– روضات الجنات ٢١٩/٦، إيران–قم: ١٣٩٠هـ.

٦– أحمد أمين– ظهر الاسلام ٢٣٢/١.

واشتهر من علماء اللغة والنحو، أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي –توفى سنة ٣٩٠هـ– له كتاب "المجمل" وله مسائل في اللغة وهو أستاذ بديع الزمان ومن رجالات ابن العميد[١]. واشتهر من علماء النحو الربعي أبو الحسن علي بن عيسى – توفى سنة ٤٢٠هـ–[٢] وعمر بن ثابت أبو القاسم الثمانيني النحوي الضرير – توفى سنة ٤٤٢– أخذ عنه ابن جني.

وممن برز في هذه الفترة في الفقه وأصوله وعلم الكلام وفنونه والحديث والتفسير وعلم الرجال والنحو واللغة أبو جعفر الطوسي حيث آلت اليه رياسة الامامية بعد أستاذه الشريف المرتضى علم الهدى وأصبح مرجعا للشيعة بدون منازع.

وبالجملة فان الحركة العلمية والأدبية اتسعت في هذه الفترة اتساعا كبيرا وفي هذه الأجواء العلمية تم التحصيل العلمي للطوسي.

### ب- خلال الفترة (٤٤٧-٤٦٠)

لقد أثر مجيء السلاجقة الى الحكم بعض التأثير على الحركة العلمية فحد من نشاطها الواسع أيام البويهيين، وذلك لاختلاف مذهب كل من البويهيين والسلاجقة، فأولئك شيعة، وهؤلاء سنة وأغلبهم من أهل الظاهر الذين يفتون بحرمة علم الكلام ودراسته. وهذا العلم كان له أهمية كبرى في شحذ التفكير آفاق على العقل في مختلف المسائل العقائدية، كما أنه يعمل على تنظيم التفكير بشكل منطقي وينبذ فكرة التقليد بالعقائد. في حين يرى الظاهرية الالتزام بظاهر النص القرآني أو الحديث النبوي الشريف.

ومع ذلك فقد نبغ فقهاء وعلماء كبار في مختلف العلوم ومن أبرز من اهتم بالعلم والعلماء وشجعهم في هذه الحقبة من الزمن، هو الوزير نظام الملك، الذي أسس ثلاث مدارس، واحدة في بغداد وتسمى بالنظامية وأخرى بنيسابور، وتسمى بالنظامية أيضا وثالثة في بغداد، وتسمى الحنفية[٣]. وكان هذا الوزير من رجال العلم البارزين من الحكام ومن أكبر المشجعين على نشر الثقافة بصورة عامة. ذكر عنه ابن الأثير، انه زار المدرسة

---

١– وفيات الأعيان– ٤٩/١.

٢– السيوطي– بغية الوعاة ١٨١/٢، الطبعة الأولى، مطبعة الحلبي – مصر ١٩٦٤م.

٣– د. حسن ابراهيم حسن– تاريخ الاسلام السياسي ٤٢٢/٤.

النظامية ببغداد وجلس في خزانة كتبها، وطالع بعض الكتب، وألقى على طلابها درسا في الحديث، وأملى عليهم جزءا آخر، كما أجرى الجرايات والمخصصات المالية على المدارس[١].

وهو الذي بنى المرصد وعين له جماعة من المنجمين على رأسهم عمر الخيام، وكان يجمع بداره الفقهاء والعلماء[٢]. وذكر ابن خلكان مجلسه بأنه كان عامرا بالفقهاء والعلماء، وكان يغدق الأموال على الصوفية[٣].

ونتيجة لهذه الاهتمامات من جانب الحكام بالعلم والعلماء وكثرة المدارس ودور العلم نبغ في هذه الفترة علماء في مختلف فنون العلم والأدب. فاشتهر بالتفسير في هذه الفترة أبو الحسن علي ابن احمد بن علي ابن الواحدي، الذين توفى سنة ٤٦٨هـ. وكان أشهر علماء عصره في النحو والتفسير، وقد اعتمد الغزالي على مؤلفاته كثيرا، ومن كتبه "أسباب نزول القرآن"[٤].

واشتهر من المعتزلة أبو يونس عبد السلام القزويش الذي توفى سنة ٤٨٣ هـ ، وقد فسر القرآن الكريم تفسيرا مطولا ، حتى ان تفسيره الفاتحة وحدها شغل سبع مجلدات[٥].

ومن أشهر العلماء المحدثين من السنة السلفية ، الشيخ عبد الله الانصاري (٣٩٦ – ٤٨١ هـ) ويعد من كبار الصوفية [٦].

وبرز من النحويين ابن برهان ، ابو القاسم عبد الواحد بن علي العكبري الذي توفي سنة ٤٥٦ هـ. "صاحب العربية واللغة والتواريخ وايام العرب .... وكان اول امره منجما فصار نحويا وكان حنبليا فصار حنفيا،

---

١- ابن الأثير- الكامل ٥٨/١٠.

٢- تاريخ الاسلام السياسي- ٤٢٥/٤.

٣- وفيات الأعيان- ٢٩٦/١.

٤- تاريخ الاسلام السياسي- ٤٤٥/٤.

٥- المصدر السابق- ٤٤٣/٤.

٦- نفس المصدر- ٤٦١/٤.

ولما ورد الوزير عبد الدين الى بغداد، استحضره فأعجبه كلامه فعرض عليه مالا فلم يقبله "[1]. واشتهر في الفقه واصوله والتفسير والعربية وعلم الكلام والحديث، الطوسي ابو جعفر محمد بن الحسن حيث زادت شهرته.

١- السيوطي- بغية الوعاة ١٢٠/٢

**٢ـ حياته:**

ولد الطوسي في شهر رمضان من عام ٣٨٥ هـ في مدينة طوس، واسمه محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، ويكنى بابي جعفر واتفق المترجمون له على هذا الاسم واللقب والكنية وعلى زمان ومكان الميلاد ولم يخالف في ذلك أحد. وقد ذكر الطهراني ثمانية وسبعون مصدرا ممن ترجم الطوسي[١].

لقب الطوسي بهذا اللقب نسبة لمدينة طوس ، وهي من كبريات المدن في خراسان وأشهرها وأقدمها، ولفظها بالفارسية " توس"[٢] وتشتهر هذه المدينة بجمال الطبيعة وبالأحجار الكريمة، ويتبعها ما يزيد على ألف قرية[٣].

فتحت هذه المدينة في عهد عثمان بن عفان ، وقد عرفت بالآثار الاسلامية ففيها " قبر الامام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام " وفيها كذلك قبر هارون العباسي[٤].

قضى الطوسي نشأته الاولى في هذه المدينة والتي يقول عنها الطهراني "كانت ولا تزال من مراكز العلم ومعاهد الثقافة ، لان فيها قبر الامام علي الرضا (عليه السلام) ثامن أئمة الشيعة الاثنا عشرية "[٥].

تلقى الطوسي هناك اوليات العلوم النقلية والعقلية، التي تلزم من هو في سنه. الا ان مناهل العلم هناك، لم تعد ما تطمح اليه نفسه من طلب العلم. فرحل الى بغداد حاضرة العالم الاسلامي وقتذاك، حيث المكتبات الكبيرة ، ودور العلم ، وحيث المدارس التي تغص بالعلماء وطلبة العلم من كل مكان، فاستقر هناك – في بغداد – سنة ٤٠٨ هـ[٦]. واخذ ينهل من الدروس التي يلقيها العلماء من مختلف المذاهب الاسلامية ، وكان

---

١– الطهراني – حياة الطوسي ص أ

٢– دائرة المعترف الإسلامية– ٣٥٨/٥، والحلي– الرجال ص ١٤٨.

٣– القمي– الكنى والالقاب ٣٥٦/٢و مطبعة العرفان – صيدا ١٣٥٨هـ.

٤– الحموي– معجم البلدان ٤٩/٤، دائرة المعارف الاسلامية ٣٦٢/٥.

٥– الطهراني– حياة الطوسي ص ب.

٦– الاعلام: الزركلي ٨٨٤/٣، طبعة بيروت سنة ١٩٦٩م.

دائم الحضور لدروس الشيخ المفيد ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المعروف بابن المعلم ، فقيه الشيعة واستاذهم ورئيسهم. وكان هذا الشيخ الجليل متضلعا في علم الكلام ، اضافة الى اطلاعه الواسع في علوم الشريعة الاسلامية ، وكانت له مناظرات في علم الكلام تجرى بينه وبين علماء كبار في عصره ، منهم قاضي القضاة عبد الجبار المعتزلي وابو بكر الباقلاني الاشعري.

وكان للمفيد مجلس في علوم الشريعة وعلم الكلام ، يحضره كثير من طلبة العلم [١]، توفي المفيد سنة ٤١٣ هـ فآلت رياسة الامامية الى الشريف المرتضى ،علي بن الحسين الموسوي ، شقيق الشريف الرضي نقيب الطالبيين [٢]. فانتقل الطوسي تحت منبره، وكان اماما في الفقه والتفسير وعلم الكلام واللغة والادب[٣].

وقد اهتم الشريف المرتضى اهتماما كبيرا بالطوسي وبالغ في توجيهه وتلقينه واهتم له أكثر من سائر تلاميذه ، وعين له شهريا أثني عشر دينارا وبقي ملازما له طيلة ثلاث وعشرين سنة. وعندما توفي الشريف المرتضى سنة ٤٣٦ هـ ، استقل الطوسي بالإمامة وظهر على منصة الزعامة واصبح امام الشيعة واصبحت داره في الكرخ مأوى الأمة ومقصد الوفاد، يأتونها لحل المشاكل وايضاح المسائل ، وقد تقاطر اليه العلماء والفضلاء ، للتلمذة عليه والحضور تحت منبره، وبلغ عدد تلاميذه من مجتهدي الشيعة ثلاثمائة ومن غيرهم من الطوائف الاسلامية عددا كبيرا [٤]. ولشهرته وجلالة قدره ، جعل له الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، كرسي الكلام والافادة ، وقد كان لهذا الكرسي يومذاك عظمة وقدرا فوق الوصف ، اذ لم يسمحوا به الا لمن برز في علوم عصره وتفوق على اقرانه[٥] .

لقد حدثت في هذه الفترة بعض الفتن بين السنة والشيعة الامامية ، في نهاية حكم البويهيين وبداية حكم السلاجقة ، وكان النزاع العقيدي بينهم يتخذ اشكالا من العنف يؤثر على مجرى الحياة الاعتيادية ، وقد اثرت

---

١- العاملي- أمل الأمل- ٢/٣٠٤- ط١- النجف- سنة ١٣٨٥هـ، وروضات الجنات- ٦/٢١١.

٢- السيوطي- بغية الوعاة- ٢/٢٦٢.

٣- أحمد أمين- ظهر الإسلام- ١/٢٤١.

٤- الطهراني- حياة الطوسي ص د. والعاملي- الكشكول- ٢٦٩.

٥- المصدر السابق- حياة الطوسي ص د.

هذه المنازعات على استقرار الطوسي في بغداد ، " وأدت في النهاية الى مغادرتها الى النجف الاشرف حيث مرقد الامام علي بن ابي طالب –عليه السلام–." وكانت فترات العنف تتخللها احيانا فترات من الوفاق، وذلك عندما يكون هناك عدو مشترك فتذوب الخصومات بين المتنازعين.

ففي سنة ٤٤٢ هـ عين ابن النسوي واليا على شرطة بغداد وكان قاسيا فاتكا ، فتم الاتفاق بين السنة والشيعة الامامية ، انه متى تمت توليته ذلك المنصب ، فانهم ينزحون من البلد ، وتم الصلح بين الفريقين المتنازعين لهذا الحدث[١]. وصلى الشيعة في مساجد اهل السنة ، ومضى الجميع لزيارة مشهد الامام موسى الكاظم والامام محمد الجواد في مقابر قريش وتحابوا وتوادوا[٢]. واعتبر وفاقهم هذا من العجائب ، لانهم تصالحوا على امر يسير ، ما كان يظن انهم يتصالحون بسببه[٣]. وعاد الخصام مجددا في عام ٤٤٣هـ[٤] ازدادت الحالة سوءا، وازداد النزاع بين السلفية والامامية ، وصادف القحط والجدب في كثير من البلدان الاسلامية ، واكل الناس الميتة، وبلغ سعر الرمانة الواحدة دينارا[٥]. وكثر الغوغاء والعيارون ونهبت الاموال جهارا وكبست الدور ليلا، واحرقت الدور، واضطرب الامن اضطرابا جعل الخليفة العباسي يضع حراسة مشددة على قصره خوف اللصوص والعيارين ، الذين اذا امتنع عليهم موضع او لم ينالوا منه بغيتهم من السرقة احرقوه [٦].

---

١– ابن تغري بردي– النجوم الزاهرة– ٤٩/٥.

٢– الحنبلي– شذرات الذهب– ٢٦٨/٣.

٣– ابن تغري بردي– النجوم الزاهرة– ٤٩/٥.

٤– الحنبلي– شذرات الذهب– ٢٦٨/٣– القاهرة– سنة ١٣٥١هـ.

٥– ابن تغري بردي– النجوم الزاهرة– ٩٥/٢.

٦– ابن كثير– البداية والنهاية– ٩٧/١٢– الطبعة الأولى– القاهرة سنة ١٣٤٧هـ.

لقد اثرت هذه المظاهر المضطربة ، والعداء المذهبي على ابي جعفر الطوسي وذاق مرارة ذلك حيث احرقت كتبه وداره[١]. واخذ كرسي الكلام الذي كان يتخذه للمناظرة[٢]. وكبست داره واحرقت كتبه ودفاتره[٣]. كما احرقت كتب ودار الشريف المرتضى من قبله[٤].

عاش الطوسي في هذه الأجواء المضطربة. إلا أنها لم تقف أمام طموحاته عائقا مانعا من طلب العلم والاستزادة منه، وهو في هذه الأجواء كان يواصل البحث والتدريس والتأليف، ونشر ما يؤلف وإيصاله الى أقصى ما يمكنه من أهل العلم والعوام.

الا أن الطوسي رغم كل هذه الهمة في نفسه العالية الطموحة ذات العزيمة القوية، ورغم تستره فترة من الزمان، وخوفه على نفسه في بغداد وجد نفسه مضطرا الى مغادرتها سنة ٤٤٨هـ إثر الفتنة التي حدثت بين السلفيين والامامية، فنزح الى النجف الأشرف منهيا بذلك رحلته الى بغداد التي دامت أربعين سنة[٥].

وما أن استقر به المقام في النجف الأشرف، وإذا بالحياة العلمية تعم هذه المدينة المقدسة، وإذا بها تصبح محط رجال طلبة العلم من مختلف المذاهب الاسلامية وخاصة مذهب الامامية. فأصبحت تدريجيا من المراكز العلمية المرموقة في العالم الاسلامي، ويعد الطهراني وغيره من كبار علماء الامامية ان" الطوسي أول من جعل النجف مركزا علميا"[٦].

---

١- ابن حجر- لسان الميزان- ١٣٥/٥. وابن كثير- البداية والنهاية- ٩٧/١٢.

٢- ابن الجوزي- المنتظم- ١٧٩/٨.

٣- ابن كثير- البداية والنهاية- ٧١/١٢.

٤- ابن الجوزي- المنتظم- ٢٢/٨.

٥- دائرة معارف البستاني ٢٤٠/٤.

٦- الطهراني: الذريعة الى تصانيف الشيعة ١٤/٢.

### ٣ـ ثقافته:

للطوسي مصادر متعددة في ثقافته، فهو لم يقتصر على مورد واحد في توسعة آفاق عقليته الموهوبة المرنة، المتطلعة الى آفاق العلم ومذاهبه المتنافسة والمتصارعة، ففي بداية نشأته في" طوس" أخذ الدروس الأولية التي تلزم من هو في سنه ومرحلة عمره العقلي. وقد اختلف في تلك البدايات الأولية في المذهب الفقهي للطوسي. وهل كان اماميا؟ أم شافعيا؟ ليتعرف الباحث على مصادر ثقافته الأولى.

ذكر تاج الدين السبكي بأن الطوسي" كان ينتمي الى مذهب الشافعي"[١]

وتابع السبكي السيوطي وتلميذه الداودي [٢]. ولم يذكر السبكي دليلا على ذلك، بل أرسل هذه العبارة ارسال المسلمات مكتفيا بذلك. وعند مناقشة هذا الرأي للسبكي ومن تابعه، يتضح أن الطوسي لم يكن أصلا منتميا الى المذهب الشافعي، وذلك لأمور منها: أن الطوسي عند هجرته من طوس الى بغداد، لم يلتحق في تحصيله الدراسي بحلقة دراسية في بادئ أمره، بغير حلقة المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، وهو امامي، حيث لازمه الطوسي خمس سنوات ابتداء من نزوله بغداد سنة ٤٠٨هـ وحتى وفاة المفيد سنة ٤١٣هـ ولم يذكر أحد ممن ترجم للطوسي انه التحق بحلقة دراسية في بادئ أمره غير حلقة المفيد.

ومنها أن الطوسي نفسه عندما ترجم لنفسه، لم يذكر ما يشير الى انه كان شافعيا ثم تشيع، وهذه مؤلفاته أكبر شاهد على ذلك. ومن المستبعد ان يترجم الطوسي للرجال ويذكر هذه الأمور بتراجمهم ويهمل هو ذكر نفسه في ترجمته لنفسه!

ومما يدلل على ذلك أيضا أن مؤلفاته بأجمعها وفق المنهج الامامي غير أن الطوسي لاتساع ثقافته يذكر في تصانيفه آراء غير الامامية مقارنا إياها بآراء الامامية. وهذا يدل على اطلاعه على تلك المذاهب، لا على اتباعه لها. وأخيرا فأن الطوسي أصبح مجتهدا مطلقا وليس مقلدا لمذهب من المذاهب.

إذن فمصادر ثقافة الطوسي الأولى هي من المصادر الامامية. ولم يقتصر الطوسي، بطائفة معينة من الشيوخ بل فتح أبواب ذهنيته ينهل من مختلف المذاهب، فضلا عن مذهب الامامية. فمن شيوخه من الامامية

---

[١] - السبكي: طبقات الشافعية ١٢٧/٤. الطبعة الأولى– مصر، سنة١٩٣٨م.

[٢] - السيوطي: طبقات المفسرين ١٢٧/٢. طبعة ليدن ١٨٣٩م.

المفيد والشريف المرتضى وغيرهم مما سيأتي ذكرهم ان شاء الله. ومن الجمهور أبو الطيب الطبري الذي ذكر عنه الطوسي في التبيان بأنه امام الشافعية في عصره[١]. ومنهم أبو الحسن بن محمد بن موسى الأهوازي المعروف بابن الصلت[٢]. وكثير غير هؤلاء من الفريقين، سيأتي الكلام عنهم ان شاء الله.

فالمصدر الأول المهم لثقافة الطوسي هم شيوخه، والمصدر الثاني من مصادر ثقافته هو المكتبات التي كانت منتشرة في بغداد في ذلك العصر. وما تغص به هذه المكتبات من تصانيف ومؤلفات وآثار في مختلف العلوم وخاصة علوم الشريعة وعلوم العربية[٣].

وكانت لمكتبة الشريف المرتضى أهمية كبيرة في ثقافة الطوسي حيث انها كانت في متناول يده، وكان المرتضى يهتم به أكثر من بقية تلامذته. كانت مكتبة المرتضى تحوي ثمانين ألف كتاب سوى ما أهدى منها الى الرؤساء لذا يلقب أحيانا بالثمانيني[٤].

وتعتبر المكتبة التي أسسها سابور بن أردشير من مصادر الثقافة المهمة بالنسبة للطوسي.

ومؤلفات الطوسي وتصانيفه هي التي تقودنا الى مصادر ثقافته والنقولات التي فيها تشير الى منابع تلك الثقافة." فالطوسي ينقل في كتبه عن مختلف المفسرين والمحدثين وخاصة محدثي الامامية نقلا عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين يعتبرون ثاني مصدر لثقافة الطوسي بعد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة".

وفي الفقه تدل مؤلفات الطوسي على مصادر ثقافته، فكتبه الفقهية لم تقتصر على ذكر آراء الامامية في الفقه بل تجاوزتها الى ذكر آراء علماء الجمهور الفقهية. ولم يقتصر ذلك على الفقه وحده، بل يلاحظ عليه ذلك في علم الكلام والتفسير والحديث وعلوم اللغة العربية. فكتاب الطوسي" المبسوط في الفقه"[٥] الذي يشتمل

---

١- الطوسي: التبيان: ٢٧٢/٥.

٢- الطوسي: الفهرست: ص٣٣.

٣- ابن الجوزي: المنتظم: ٢٢/٢.

٤- الطهراني: حياة الطوسي: ص س.

٥- التبيان: ١٣٧/٣.

على ثمانين بابا في جميع فروع الفقه خير دليل على سعة ثقافته في الفقه واطلاعه على مختلف المذاهب الاسلامية. وفي علم الكلام له مناقشات كثيرة مع الجبائي والبلخي[١] والرماني[٢].

وكتاباه" الاستبصار فيما اختلف من الاخبار" و" تهذيب الاحكام" في الحديث اثنان مما يعوّل عليهما من المصادر الأربعة في استنباط الأحكام الشرعية عند الامامية، حيث يبلغ عدد أحاديث الاستبصار خمسة آلاف حديث.

أما في التفسير فنقوله في " التبيان " برهان بيّن على سعة اطلاعه، وعلى اتجاهه الايجابي في النظر بمختلف المذاهب الاسلامية والمدارس الفكرية، وعدم الاقتصار على آراء فرقة معينة. لذا فقد تحلق حوله طلبة العلم من مختلف المذاهب يغرفون من بحر علمه. ولعل ذلك كان أحد الأسباب في رواية الطوسي من غير الامامية. وقد ذهب الأستاذ أبو زهرة الى هذا الرأي فذكر كثرة الأخذ عن الطوسي من طلبة العلم غير الامامية وخاصة في علم الكلام حيث كان له كرسي الكلام يحضره الناس من كل حدب وصوب" ويتلقى عنه فيه كل طلاب المسلمين من غير انحياز طائفي"[٣] ويرى أيضا" ان الطوسي بشخصيته أول من حاول التقريب الفكري والنفسي بين طائفة الاثنا عشرية وجمهور المسلمين"[٤].

وأغلب مؤلفات الطوسي مشحونة بمصادر متنوعة لعلماء من الشيعة والسنة والمعتزلة وهذا هو الذي جعل مؤلفاته موسوعية، ومما جعل الأستاذ أبو زهرة يعده عالما بالأصول على المنهاجين الامامي والسني[٥].

ولثقافة الطوسي الواسعة في مختلف المذاهب ولدراساته المتنوعة يلاحظ أنه أخذ، بالتفسير بالمأثور عند أهل السنة. وهذا ثابت في تفسيره التبيان وغيره من مؤلفاته. الا أن بعضهم وصفه بأبعد من ذلك في وصفه انه سلك في أصول الفقه مسلكا يخالف فيه الامامية وهو الأخذ بالقياس الشرعي.

---

١- التبيان: ١٢٩/٤، ٢٧٣.

٢- التبيان: ٤/ ٢٧٤

٣- أبو زهرة- الامام الصادق- صفحة ٤٥٢. دار الثقافة العربية- القاهرة. لم تذكر سنة الطبع.

٤- المصدر السابق: ص٤٥٣.

٥- نفس المصدر: ص٢٦٠.

حيث ان الامامية لا يجيزون الأخذ بالقياس الشرعي غير المنصوص على علته. وهذا الوصف للطوسي يتناقض مع منهجه بل له ردود في تفسيره التبيان على من جوز الأخذ بالقياس، حيث ذكر في تفسيره لقوله تعالى: "فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم "[1]

قال:" وليس في الآية دليل على العمل بالقياس لان الرجوع الى ذوي عدل في تقويم الجزاء مثل الرجوع الى المقومين في في قيم المتلفات ولا تعلق لذلك بالقياس[2].

وتبدو ثقافته اللغوية والنحوية جلية في " التبيان " حيث ينقل عن مختلف علماء النحو واللغة والقراءات وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

---

١- سورة المائدة: ٩٥.

٢- التبيان: ٢٨/٤.

### ٤ـ شيوخه وتلاميذه:

#### *أ ـ شيوخه:*

للطوسي شيوخ كثيرون من كبار علماء الامامية ومن كبار علماء الجمهور، أخذ عنهم مختلف فنون العلم والمعرفة، على تفاوت في أزمنتهم، ولم يذكر الطوسي ولا غيره شيئا عن شيوخه في مدينة" طوس"، وكل ما عرف من شيوخه فهم أساتذته الذين تلقى عنهم في بغداد، طيلة وجوده بها، الذي امتد إحدى وأربعين سنة.

وأشهر شيوخ الطوسي، وأول من تلقى عنه من الامامية هو: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب ب "المفيد" تلقى عنه الكثير من طلبة العلم من مختلف المذاهب، ولازمه الطوسي خمس سنوات ابتداء من سنة ٤٠٨هـ وحتى وفاته سنة ٤١٣هـ وقد ثبّت الطوسي تلقيه عنه عندما ترجم له في كتابه " الفهرست" بقوله:" سمعنا منه هذه الكتب كلها أو بعضها قراءة عليه، وبعضها يقرأ عليه غير مرة وهو يسمع"[١] ووصفه بأنه مقدم بالعلم وصناعة الكلام، وأنه فقيه متقدم، حسن الخاطر دقيق الفطنة، حاضر الجواب، له مؤلفات كثيرة. وذكره الطوسي في كتابه " الاستبصار" وروى عنه الكثير من الأخبار[٢].

ومن أهم شيوخ الطوسي من الامامية: أبو القاسم، على بن الحسين الموسوي، الشريف المرتضى المتوفي سنة ٤٣٦هـ[٣]. ويلقب بالطاهر[٤]. وهو الذي آلت اليه رياسة الامامية بعد وفاة المفيد. ذكره الطوسي في " الفهرست" فقال:" علم الهدى، الاجل المرتضى رضي الله عنه، برع في علوم كثيرة، مجمع في فضله، مقدم في العلوم، مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك"[٥].

---

١- الطوسي: الفهرست ص ١٨٦.

٢- الطوسي: الاستبصار ٩/١، ١٢، ١٣.

٣- السيوطي: بغية الوعاة ١٦٢/٢.

٤- ابن خلكان: وفيات الاعيان ٣٩٩/١.

٥- الطوسي: الفهرست ص ١٢٥ وبغية الوعاة للسيوطي ١٦٢/٢.

وذكره ابن خلكان فقال:" وله الكتاب الذي سماه" الغرر والدرر" وهي مجالس أملاها تشتمل على فنون من معاني الأدب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك، وهو كتاب ممتع يدل على فضل كثير، وتوسع في الاطلاع على العلوم"[١].

وذكره ابن بسام الأندلسي في أواخر كتاب "الذخيرة" فقال:" كان هذا الشريف إمام أئمة العراق، في الاختلاف والاتفاق، اليه فزع علماؤها وعنه أخذ عظماؤها، صاحب مدارسها، وجماع شاردها، وانسها ممن سارت أخباره، وعرفت له أشماره وحمدت في ذات الله، مآثره وآثاره الى تواليفه في الدين وتصانيفه في أحكام المسلمين مما يشهد انه فرع تلك الأصول ومن أهل ذلك البيت الجليل "[٢].

لازم الطوسي الشريف المرتضى، أطول مدة لازمها من شيوخه وبلغت ثلاثا وعشرين سنة[٣]. وقد اهتم الشريف المرتضى بالطوسي اهتماما بالغا، وجعل له دارا في الكرخ.

وتعتبر هذه المدة التي قضاها تحت منبر الشريف المرتضى مهمة جدا في تعمقه في مختلف فنون العلم، واطلاعه الواسع على علوم الشريعة، وقد ذكر الطوسي تتلمذه عليه فقال بعد أن عد كتبه:" قرأت هذه الكتب اكثرها عليه، وسمعت سائرها يقرأ عليه دفعات كثيرة "[٤]. وقد تأثر الطوسي تأثراً كبيراً بأستاذه المرتضى وخاصة في علم التفسير حيث تبدو بعض مميزات منهجية الشريف المرتضى ظاهرة في منهجية الطوسي وقد ذكر في البيان بعض آرائه[٥].

ومن شيوخه المشهورين الذين أكثر السماع والرواية عنهم في الأمالي والاستبصار، أبو عبد الله، احمد عبد الواحد البزار المعروف بابن عبدون وابن الحاشر[٦]

---

١- ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣٩٩/٣.

٢- المصدر السابق ٣١٣/٣.

٣- الصدر: تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام: ص ٣٣٩. بغداد سنة ١٣٧٠هـ.

٤- الطوس – الفهرست ص ١٢٦

٥- الطوس – التبيان ١٤٩/٤٥٢،٩/٣٩٨،٥/٢

٦- الطهراني: حياة الطوس –صفحة از.

ذكره الطوسي فوصفه بأنه كثير السماع والرواية، ثم اشار الى انه أجاز له بجميع ما رواه[١].. وأخبره بكتب واخبار بعض الأمامية سماعا واجازه[٢]. توفى هذا الشيخ سنة ٤٢٣هـ [٣].

هؤلاء الثلاثة أشهر شيوخه من الامامية، وهناك آخرون من شيوخه من الامامية أيضا منهم: أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن الغضائري المتوفى سنة ٤١١ هـ، وأبو الحسين علي بن أحمد بن محمد بن أبي جيد المتوفى بعد سنة ٤٠٨ هـ. وأبو عباس أحمد بن علي النجاشي صاحب كتاب " الرجال". وأبو علي الحسن بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن اشناس المعروف بابن الحماص البزاز المتوفى سنة ٤٣٩هـ. والقاضي أبو القاسم علي التنوخي ابن القاضي أبي علي المحسن ابن القاضي أبي القاسم علي بن محمد ابن أبي الفهم داوود بن ابراهيم بن تميم القحطاني من تلامذته السيد مرتضى وأصحابه. ذكره صاحب "معجم الأدباء" بأنه مقبول الشفاعة في شبابه وان الخطيب البغدادي سمع منه[٤]. وهناك شيوخ غيرهم من الأمامية ذكرهم الطوسي في أماليه وروى عنهم.

وأشهر شيوخ الطوسي من الجمهور، أبو الطيب الطبري، وصفه الطوسي بأنه إمام الشافعية في عصره[٥]. أخذ عنه الفقه والحديث، إذ روى عنه في أماليه طرفاً من الأخبار[٦]. وتحدث عن رأيه في بعض مسائل الأخبار الفقه في تفسيره التبيان [٧].

---

١- الطوسي: الرجال ص ٤٥٠ تحقق محمد بحر العلوم ط ١ – النجف الاشرف ١٩٦١ م.

٢- الطوس: الفهرست ص ١٢٩

٣- الطهراني: حياة الطوس از

٤- الحموي معجم الادباء ١١٠/٤-١٢٤ مطبعة الحلبي مصر ١٩٣٨ م.

٥- التبيان: ٢٧٢/٥.

٦- الطوسي – الأمالي: ٢/١

٧- الطوسي: التبيان ٢٧٢/٥.

ومنهم أبو الحسن بن محمد بن موسى الأهوازي المعروف بابن الصلت الذي توفى سنة ٤٠٩هـ. ذكره الطوسي في الفهرست [١] والرجال [٢] ، مثبتا روايته عنه.

ومنهم أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار الذي توفى سنة ٤١٤هـ[٣] وهو ممن روى وسمع عنهم الطوسي وأثبت ذلك في أماليه بقوله:" "قوي" علي ابن أبي الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار وأنا أسمع"[٤]. كما أثبت روايته عنه في موضع آخر من الأمالي قال:" أخبرني الحفار "[٥].

وللطوسي شيوخ آخرون من الجمهور. أخذ عنهم الطوسي وروى عنهم في أماليه، منهم أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس الحافظ المتوفي سنة ٤١١هـ. ذكر انه أخذ عنه املاء في مسجد الرصافة في بغداد سنة ٤١١هـ[٦].

ومنهم أبو محمد الحسن الفحام السامري[٧]. وأبو علي بن شاذان المتكلم نص عليه الطوسي في كتابه "الرجال" انه من الجمهور[٨].

هؤلاء بعض شيوخه من الامامية والجمهور وهناك آخرون أقل تأثيرا عليه من هؤلاء. ويعتبر هؤلاء اهم مصادر الثقافة لأبي جعفر الطوسي.

***ب- تلاميذه:***

كانت مجالس الطوسي وحلقاته الدراسية عامرة بعدد كبير من طلبة العلم والعلماء، فتخرج عليه كثير من حملة العلم، وعدد كبير من المجتهدين، والذين تصدوا من بعد للفتيا والتدريس والرواية والتأليف، وذكر ان عدد

---

١- الطوسي: الفهرست ص٩٧و٣٣

٢- الطوسي: الرجال ص ٤٤٢.

٣- الطهراني: حياة الطوسي صفحة أي -.

٤- الطوس: الأمالي ٣٨٥/١-.

٥- الطوس - الأمالي ٢/١-.

٦- الطوس - الأمالي ٣١٢/١-٣١٣-.

٧- نفس المصدر ٢٩٢/١-

٨- الطوسي - الرجال ص ٤٦٥.

تلامذته من الامامية، بلغ ثلاثة مائة ومن الجمهور عدد كبير[١].وقد عد الطهراني منهم " من مشاهيرهم " أربعة وثلاثين تلميذا.[٢]

وكانت لهؤلاء العلماء الذين تخرجوا على يده، حلقات دراسية في مختلف علوم ذلك العصر، ولهم تصانيف قيمة، وقد رووا عن الطوسي الكثير. وأشهر تلاميذ الطوسي ولده، أبو علي الحسن بن محمد الطوسي، الذي توفى سنة ٥١٥ هـ، والذي آلت اليه المرجعية بعد أبيه في الفتيا والتدريس، وأخذ ينشر ما تلقاه من علم أبيه وغيره على تلاميذه، ويعبر عنه تارة، بأبي علي الطوسي، وأخرى بالمفيد الثاني. ذكره العلامة النوري فقال: " .... الفقيه الجليل الذي تنتهي أكثر اجازات الأصحاب اليه أبو علي الحسن ابن شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوس العالم الكامل المحدث النبيل"[٣]. وذكره ابن حجر العقلائي فقال:"الحسن بن محمد بن الحسن بن علي الطوسي ... سمع من والده وأبي الطيب الطبري والخلال والتنوخي، ثم صار فقيه الشيعة وامامهم بمشهد علي رضي الله عنه، وسمع منه أبو الفضل بن عطاف، هبة الله السقفي، ومحمد بن محمد النسفي وهو في نفسه صدوق .... وكان متدينا "[٤].

ولصدقه وتقواه وورعه كان موضع عناية علماء الجمهور فضلا عن علماء الامامية لذا فقد روى عنه الفريقان. وكان يحضر الدرس معه عند أبيه الشيخ عبد الجبار بن عبد الله بن علي الرازي، والشيخ أبي محمد الحسن بن الحسين ابن بابويه القمي، والشيخ أبي عبد الله محمد بن هبة الله الوراق الطرابلسي، وهؤلاء كانوا يسمعون قراءته كتاب "التبيان"على والده. "وهو الذي روى عن والده كتاب " الأمالي" وأملاها على طلبته سنة ٥٠٩ هـ في مشهد الامام علي –عليه السلام– بالنجف الأشرف "[٥]، فحفظ هذا الأثر الهام من آثار والده، وأشار الى ذلك راوي الأمالي قائلا " حدثني الشيخ السعيد أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله بمشهد

---

١– الطهراني: حياة الطوسي ص هـ، والخوانساري روضات الجنات ٢١٩/٦.

٢– الطهراني: حياة الطوسي: ص ار.

٣– الميرزا حسين النوري – مستدرك الوسائل ٤٩٧/٣.

٤– ابن حجر: لسان الميزان ٢٥٠/٢–.

٥– الطهراني: حياة الطوسي صفحة – أق –.

مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: حدثنا الشيخ السعيد الوالد أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي رحمه الله [١].

كما جاءت عن طريقه أصح رواية لتفسير التبيان الذي قرأه على أبيه سنة ٤٥٥ هـ فأجازه به مع تلميذين آخرين وقد قرر ذلك الطوسي في ظهر احدى نسخ تفسير التبيان[٢].

ومن تلاميذ الطوسي المشهورين، أبو الصلاح تقي الدين بن النجم الحلبي، ذكره الطوسي في كتابه "الرجال" ووثّقه وأشار الى قراءته عليه وعلى الشريف المرتضى [٣]. واعتبر الخوانساري هذا التوثيق دلالة على جلالة الرجل وعلو قدره في العلم والدين، وذكر بأنه كان من مشاهير فقهاء حلب، ووكيلا للطوسي في بلاد الشام[٤].

ولأبي الصلاح الحلبي مؤلفات عديدة منها "تقريب المعارف "[٥] و "البداية في الفقه "وله شرح لكتاب " الذخيرة في أصول الفقه للمرتضى "[٦].

ومن تلاميذه الحسن بن الحسين بن بابويه القمي المعروف ب "مسكا" نشأ في أسرة علم ودين. أثبت العاملي تلمذته على الطوسي، وانه قرأ عليه جميع تصانيفه، وانه أجازه في رواية التبيان[٧]. وله مؤلفات عديدة منها "العبادات" و"الأعمال الصالحة" "وسير الأنبياء والأئمة[٨]".

ومن تلاميذه أيضا أبو عبد الله محمد بن هبه الله الوراق الطرابلسي له مصنفات كثيرة ذكرها ابن شهر اشوب منها " الفرج" و"الواسطة بين النفي والاثبات" و"مالا يسع المكلف اهماله" و"عمل يوم وليله" و"الزهرة في

---

١- الطوس: الأمالي ٣١/١.

٢- العاملي: محسن الامين: اعيان الشيعة ١٩٧/٢١ مطبعة الاتقان دمشق سنة ١٩٦٤ م.

٣- الطوس – الرجال ص ٤٥٧.

٤- الخوانساري – روضات الجنات: ٢١٢/٢ – ١١٣.

٥- العاملي – امل الامل ٤٦/٢..

٦- ابن شهر اشوب: معالم العلماء ٢٩.

٧- العاملي: أعيان الشيعة ١٩٧/٢١.

٨- العاملي: أمل الأمل ٦٤/٢.

احكام الحج والعمرة" و"الأنوار" و"الأصول والفصول" و"المسائل العيداوية"[١]. وذكر له العاملي مصنفات أخرى منها "الزهد" و"النبات"[٢].

ويعتبر الورّاق من تلاميذ الطوسي البارزين، ومحل ثقته ولثقته به أجازه في رواية "التبيان" قرأ على الطوسي جميع تصانيفه [٣].

ومن تلاميذ الطوسي، أبو الخير بركة بن محمد بن بركة الاسدي، وكان متضلعا بالفقه دينا مترجم له ابن حجر بهذا الاسم ، وعدد من مصنفاته ثلاثة وهي "حقائق الايمان في الأصول " و " الحجج في الامامة " و " عمل الأديان والأبدان "[٤].

ومن تلاميذ الطوسي اللامعين المشهورين بالتأليف والرواية، أبو بكر أحمد بن الحسين النيسابوري، نزيل الري ، قرأ على المرتضى والرضى والطوسي ، كان عدلا ثقة جليلا. عدّ العاملي محسن الأمين من مؤلفاته "الأمالي في الأخبار " ويقع بأربعة مجلدات و " عيون الأحاديث " و "الروضة في الفقه " و "السنن " و " المفتاح في الأصول" و"المناسك" [٥].

ومن تلاميذ الطوسي المشهورين ، محمد الدين الحسين بن المظفر الحمداني نزيل قزوين ، تتلمذ على يد الطوسي مدة ثلاثين سنة. قرأ عليه جميع تصانيفه. وصف بأنه ثقة وجه كبير، له مؤلفات منها "هتك أستار الباطنية " و " نصرة الحق " و " لؤلؤة التفكير في المواعظ والزواجر"[٦].

---

١- ابن شهر اشوب: معالم العلماء ص ١٣٤.

٢- العاملي: أمل الأمل ٣١٣/٢.

٣- العاملي: أعيان الشيعة ١٩٧/٢١.

٤- ابن حجر: لسان الميزان ٩/٢.

٥- العاملي محسن الأمين: أعيان الشيعة ٥٧/٨ مطبعة ابن زيدون دمشق- سنة ١٩٣٨.

٦- العاملي- أمل الأمل ١٠٣/٢.

ومن تلاميذ الطوسي، أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي" عالم فاضل متكلم فقيه محدث فقيه جليل القدر"[١].

له مصنفات عديدة في مختلف العلوم: منها" الامامة" و"الاستبصار في النص على الأئمة الأطهار" و"الابانة عن المماثلة في الاستدلال بين طريق النبوة والامامة" و"الكر والفر في الامامة" و"كنز الفوائد ومعدن الجواهر" و"رياض الخواطر" و"أخبار الاحاد" و"المنهاج في معرفة مناسك الحج" و"شرح جمل العلم" للمرتضى و"الاستطراف في ذكر ما ورد في الفقه من الانصاف"[٢].

وهناك مجموعات أخرى من تلاميذه، رووا وسمعوا عنه ولهم مصنفات قيمة في مختلف العلوم، ذكروا في تراجم الرجال، وهم من الامامية والجمهور من أهل الفضل والتدين، نشروا العلم وتحلّق حولهم طلبته يقتبسون من خزائن علومهم. ومن هؤلاء الشيخ موفق الدين الفقيه الثقة الحسين بن الفتح الواعظ الجرجاني، والسيد عماد الدين أبوالصمصام وأبو الوضاح ذو الفقار بن محمد بن معبد الحسيني المروزي، وأبو محمد الحسن بن عبد العزيز بن العزيز بن الحسن الجبهاني وغيرهم ممن ذكرهم الطهراني عند ترجمته للطوسي[٣].

وذكر مثل هؤلاء التلاميذ يدل دلالة واضحة على عظم مكانة الطوسي العلمية وعلو قدره ولهذا لقبّ الطوسي ب" شيخ الطائفة" ويقصد بذلك شيخ الطائفة الامامية الجعفرية الاثنا عشرية. قال الطهراني" فمن سبر تأريخ الامامية ومعاجمهم وأمعن النظر في مؤلفات الشيخ العلمية المتنوعة، علم انه اكبر علماء الدين، وشيخ كافة مجتهدي المسلمين والقدوة لجميع المؤسسين وفي الطليعة من فقهاء الاثني عشرية فقد أسس طريقة الاجتهاد المطلق في الفقه وأصوله، وانتهى اليه أمر الاستنباط على طريقة الجعفرية المثلى، وقد اشتهر بالشيخ فهو المراد به اذا اطلق في كلمات الاصحاب من عصره الى عصر ... أبي ذر زمانه الشيخ مرتضى الأنصاري المتوفي سنة ١٢٨١هـ"[٤].

---

١- نفس المصدر ٦٤/٢.

٢- العاملي- أمل الأمل ٢٨٧/٢.

٣- الطهراني- حياة الطوسي صفحة أل.

٤- المصدر السابق ص: ح.

### ٥ـ مؤلفاته وآثاره:

للطوسي مؤلفات عديدة في شتى العلوم والموضوعات، فقد ألفّ في الفقه وأصوله، والعقائد وعلم الكلام، والتفسير والحديث والتراجم والسير والعبادات والأدعية، وغير ذلك، وقد عدّ الطهراني في كتابه الذريعة سبعة وأربعين مؤلفا من تأليف الطوسي وفصّل عنها القول[١].

وترجم إسماعيل باشا البغدادي في كتابه" هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين" للطوسي وعدّ أربعين مؤلفا من مؤلفاته ورسائله[٢].

ومؤلفات الطوسي تربو على الخمسين مؤلفا أغلبها مطبوع، وقليل منها مازال مخطوطا، وبعضها مفقود، وها هي أهمها مرتبة على حروف الهجاء:

#### ١ . اختيار الرجال:

هناك كتاب لأبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي المتوفّى سنة ٣٦٩هـ، واسم الكتاب" معرفة الناقلين" وكان كثير الأغلاط، لذلك عمد الطوسي الى تهذيبه منها، وبدا باملائه على تلاميذه سنة ٤٥٦هـ بمشهد الامام علي– عليه السلام– وسماه" اختيار الرجال"[٣].

#### ٢ . الاستبصار فيما اختلف من الأخبار:

يعتمد فقهاء الامامية الاثنا عشرية في استنباط الأحكام الشرعية على كتب أربعة في الحديث عن الرسول–صلى الله عليه وآله وسلم– وعن الأئمة الإثنى عشر من أهل بيته–عليهم السلام–. وكتاب الاستبصار أحد هذه الكتب الأربعة. وللطوسي كتاب آخر منها وهو " التهذيب" سأذكره بعد قليل ان شاء الله. والاستبصار يحتوي على ثلاثة أجزاء، جزءان في العبادات، والثالث في بقية أبواب الفقه من عقود وايقاعات وأحكام وحدود وديات ...الخ وقد حصر الطوسي في آخر الاستبصار مجموع أحاديثه فيه بـ " ٥٥١١" حديثا وقال:" حصرتها لئلا تقع فيها زيادة أو نقصان". وأول طبعة لهذا الكتاب في لكنهو" الهند" سنة ١٣٠٧هـ، ثم تتابعت طبعاته والنسخة الأصلية للكتاب

---

١– الطهراني: الذريعة الى تصانيف الشيعة ١٢٥/١–١٣٥، ١٨٢/٨– ١٨٨ مطبعة الغري –النجف ١٣٥٥هـ.

٢– اسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين ١٧٢/٢ استنبول ١٩٥١م.

٣ – الطهراني: الذريعة ٣٦٥/١– ٣٦٦ الطبعة الأولى/بمسبئ سنة ١٣١٧هـ كما طبع في مطبعة الآداب– النجف– ومطبعة جامعة مشهد بدون تاريخ.

موجودة بخط الطوسي في احدى المكتبات في النجف الأشرف[١]، ويوجد على كتاب الاستبصار ثمانية عشر شرحا وتعليقا.[٢]

### ٣. أصول العقائد:

ذكره الطوسي في" الفهرست" عند ترجمته لنفسه فقال" وكتاب في الأصول كبير خرج منه الكلام في التوحيد وبعده الكلام في العدل".[٣]

### ٤. الاقتصاد الهادي الى طريق الرشاد:

وهو مختصر العبادات والعقائد(مخطوط).[٤]

### ٥. الأمالي:

ويسمى أيضا" المجالس في الأخبار" لأنه أملاه مرتبا في عدة مجالس. رواه عنه ابنه أبو علي الحسن الطوسي وأملاه على تلامذته سنة ٥٠٩هـ وهو مطبوع.[٥]

### ٦. الايجاز:

في الفرائض وفيه مواجز من كتاب" النهاية".[٦]

### ٧. التبيان في تفسير القرآن:

وهو ميدان البحث لهذه الرسالة ويعتبر التبيان من كتب الطوسي المهمة، نهج فيه الطوسي نهجا فريدا في نوعه مغايرا فيه لمن سبقه من مفسري الامامية، حيث جمع فيه مختلف أبواب علوم القرآن والتفسير، كالمعاني والقراءات وأسباب النزول والاعراب واللغة والاعجاز. واضافة الى تلك المباحث فانه يعرض آراء في

---

١- الطهراني- حياة الطوسي: ص: هـ. والطبعة الثانية في طهران ١٣١٧هـ والطبعة الثالثة في النجف- مطبعة النجف الأشرف، سنة١٣٧٥- ١٣٧٦هـ.

٢- الطهراني: الذريعة ١٤/٢- ١٦.

٣- الطهراني: حياة الطوسي صفحة ص. لم أعثر عليه بفهارس المخطوطات العربية والأجنبية.

٤- الطهراني: الذريعة ٢٦٩/٢. نسخة منه في مكتبة الامام الحكيم بالنجف برقم ١٠٨٤.

٥- نفس المصدر ٣٠٩/٢ط١ في طهران ١٣١٣هـ والثانية في النجف.

٦- نفس المصدر ٤٨٦/٢. لم أعثر عليه بفهارس المخطوطات.

علم الكلام والعقائد لها علاقة بتفسير الآية، ويعرض آراء فقهية وأحكام الآيات. فجاء هذا التفسير سفرا جامعا لكل علوم القرآن.

يقع الكتاب في عشرين جزءا[١]. وقد دمج النسّاخ هذه الأجزاء بعضها ببعض، فتفاوت عدد المجلدات الأجزاء ذاتها، فعدّها بعضهم خطأ عشرة أجزاء. والاسم الصحيح لهذا التفسير هو" التبيان في تفسير القرآن" وقد نص على هذا الاسم أستاذ الطوسي أبو العباس أحمد بن علي النجاشي[٢]. ونص عليه أيضا محمد بن علي بن شهر اشوب المتوفّى سنة ٥٨٨هـ في كتابه معالم العلماء.[٣]

ونقل بعضهم تسمية الكتاب بـ " التبيان الجامع لعلوم القرآن".

وممن سماه بهذا الاسم، عباس القمي[٤]، وخير الدين الزركلي[٥]، ويوسف الياس سركيس. هؤلاء وغيرهم سموه خطأ بهذا الاسم ويبدو أنهم لاحظوا أن السيد مهدي بحر العلوم في كتابه" الفوائد الرجالية" ذكر هذا النص" اما التفسير فله فيه كتاب التبيان الجامع لعلوم القرآن، وهو كتاب جليل كبير عديم النظير في التفاسير، وشيخنا الطبرسي امام التفسير في كتبه اليه يزدلف، ومن بحره يغترف وفي صدر كتابه الكبير بذلك يعترف".

واحتمل احتمالين لذكره بهذا اللفظ: اما أنه أراد كتاب" التبيان" ثم وصفه بأنه" الجامع لعلوم القرآن". فذكر كلمة" التبيان" اكتفاء بها عن بقية اسم الكتاب لشهرته بذلك. فتوهم من ذكرتهم أعلاه بأنه سماه بذلك فتابعوه على هذه التسمية نقلا عنه. أو أنه فعلا سماه كذلك خطأ فتابعه هؤلاء على خطئه في التسمية. والصحيح ما

---

١- الصفدي: الوافي بالوفيات ٣٤٩/٢.

٢- رجال النجاشي ص٢٨٨.

٣- ابن شهر اشوب: معالم العلماء ص ١١٤.

٤- عباس القمي: الكنى والألقاب ٣٥٧/٢.

٥- الزركلي: الاعلام ٣١٥/٦.

ذكره معاصر الطوسي استاذه النجاشي. وممن ذكر هذا التفسير السبكي[١] والصفدي[٢] وابن حجر العسقلاني[٣] وابن تغري بردي[٤] وجلال الدين السيوطي[٥] ووصفه الصفدي وابن تغري بردي بأنه تفسير كبير.

وهناك من ترجم للطوسي وذكر كتابه هذا الخطأ باسم تفسير الطبرسي" مجمع البيان في تفسير القرآن"[٦]. وسماه آخر" البيان الجامع"[٧].

وقد ذكر الطهراني أجزاء الكتاب ومخطوطاته وتواريخها وأماكنها مفصلا في كتابه" الريعة في تصانيف الشيعة"[٨].

ثم طبع الكتاب طبعتين الأولى في إيران ما بين سنتي ١٣٦٠-١٩٦٥هـ.

وكانت تلك الطبعة كثيرة الأغلاط المطبعية والاملائية ثم طبع ثانية في النجف الأشرف ما بين سنتي ١٩٥٧-١٩٦٣م في عشرة مجلدات، بتحقيق أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب القصير، وكانت طبعة جيدة قليلة الأغلاط المطبعية التي يندر أن يخلو منها كتاب. وقد اعتمدت هذه الطبعة الأخيرة- في هذا البحث- لدقتها وقلة أخطائها.

لقد ذكر " التبيان" إمام مفسري الشيعة الطبرسي معترفا بأنه اعتمده في تفسيره واقتدى به فقال:" إنه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق ويلوح عليه رواء الصدق، وقد تضمن من المعاني الأسرار البديعة،

---

١- ابن حجر- لسان الميزان٥/١٣٥.

٢- السيوطي: طبقات المفسرين ص ٢٩.

٣- السبكي- طبقات الشافعية.

٤- الصفدي: الوافي بالوفيات ٢/٣٤٩.

٥- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٥/٨٢.

٦- كشف الظنون ٢/٣٨٥.

٧- دائرة معرف البستاني ٤/٢٤٠.

٨- الطهراني: الذريعة ٣/٣٢٨-٣٣١.

واحتضن من الألفاظ اللغة الوسيعة، ولم يقنع بتدوينها دون تبيينها ولا بتنسيقها دون تحقيقها، وهو القدوة أستضيئ بأنواره وأطأ مواقع آثاره"[١].

### ٨. تلخيص الشافي:

ألّف الشريف المرتضى كتاب" الشافي" في الامامة، لنقض الامامة من كتاب" المغني" للقاضي عبد الجبار المعتزلي، ولخّص الطوسي كتاب" الشافي". ولهذا الكتاب طبعتان الأولى في طهران والثانية في النجف الأشرف.[٢]

### ٩. تمهيد الأصول:

ألّف الشريف المرتضى كتاب" جمل العلم والعمل" في أصول العقائد. وشرح الطوسي هذا الكتاب وسماه بهذا الاسم.[٣]

### ١٠. تهذيب الاحكام:

وهو أحد الكتب الأربعة المعوّل عليها في الحديث عند الشيعة الامامية حتى اليوم، ويتضمن" التهذيب" ثلاثمائة وثلاث وتسعون بابا وعدد أحاديثه" ١٣٥٩٠" حديثا وطبعته الأولى سنة ١٣١٧هـ في مجلدين كبيرين، قال الطهراني" وقد خرج من قلمه الشريف تمام كتاب الطهارة الى كتاب الصلاة بعنوان الشرح على "المقنعة" تأليف أستاذه الشيخ المفيد.... وذلك في حياة أستاذه".[٤]

وألف الطوسي هذا الكتاب قبل كتاب الاستبصار.

---

١- الطهراني: حياة الطوسي صفحة ق.

٢- سنة ١٣٠١هـ. والطبعة الثانية في النجف/ مطبعة الآداب- ١٣٨٣هـ. (طبع حجر) الطبعة الأولى- إيران-.

٣- ذكره الطهراني- حياة الطوسي صفحة ق. ولم أعثر عليه في فهارس المخطوطات العربية والأجنبية ولا في المكتبات التي فتشتها.

٤- الطهراني: حياة الطوسي صفحة ت.

### ١١. الجمل والعقود[١]:

وهو في العبادات، ألفّه بطلب من قاضي الشام، عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج قاضي طرابلس المتوفي سنة ٤٨١هـ كما صرّح في أوّله بقوله" فأني مجيب الى ما سأل الشيخ الفاضل أطال الله بقاه".[٢]

### ١٢. الخلاف في الاحكام:

ويسمى أيضا" مسائل الخلاف" رتبه على ترتيب كتب الفقه وذكر أنه ألفه قبل" التهذيب" و" الاستبصار" وذكر في هذا الكتاب جميع من خالفهم من فقهاء المذاهب الاسلامية الأخرى، وذكر مذهب كل من خالف على التعيين وبيان الصحيح منه، وما ينبغي أن يعتقد. ويقع الكتاب في مجلدين كبيرين.[٣]

### ١٣. رياضة العقول:

وهو في علم الكلام شرح في كتابه" مقدمة في المدخل الى علم الكلام" وهو مخطوط.[٤]

### ١٤. العدة:

وفيه نهج منهجا رائعا فريدا من نوعه، عرض فيه أصول الدين وأصول الفقه. ألفه في حياة أستاذه الشريف المرتضى، وله طبعتان.[٥]

### ١٥. الغيبة:

وهو في علم الكلام، عرض فيه الأدلة العقلية والنقلية على وجوب وجود الامام وعصمته وبيان (الغيبة) في عقيدة الامامية للأمام الثاني عشر محمد المهدي بن الحسن العسكري المنتظر عجل الله فرجه، وله طبعتان.[٦]

---

١- الكتاب مخطوط- نسخة منه في مكتبة الامام الحكيم العامة برقم١٢٧١.

٢- الطهراني: حياة الطوسي صفحة ث.

٣- طبع في طهران سنة ١٣٧٠هـ.

٤- الطهراني: حياة الطوسي صفحة خ.

٥- الطهراني: الذريعة ١٤٨/٦ طبع أولا في" بمبي" سنة ١٣١٢هـ والطبعة الثانية في طهران سنة ١٣١٤هـ.

٦- الطبعة الأولى في إيران- تبريز- سنة ١٣٢٤هـ (طبع حجر). والطبعة الثانية في النجف-مطبعة النعمان ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

### ١٦. فهرست كتب الشيعة:

ذكر فيه كتب الشيعة وأسماء المؤلفين، ومن صنف للشيعة وليس منهم، كل هؤلاء مرتبون على حروف المعجم، وبيّن انه لم يرتبهم حسب أزمانهم. ويذكر الطوسي في هذا الكتاب اسم المؤلف ثم يتناوله بالنقد توثيقا وتضعيفا.

ويعد"الفهرست" من أوثق كتب الرجال عند الشيعة الامامية حيث اعتمده جميع علمائهم حتى الوقت الحاضر. وعليه شروحات منها شرح الشيخ سليمان الماحوزي المتوفى سنة ١١٢١هـ وسماه" معراج الكمال الى معرفة الرجال".

وللفهرست ذيول وتتمات منها" فهرست الشيخ منتجب الدين" المتوفى بعد سنة ٥٨٥هـ وذكر فيه المصنفين بعد عصر الطوسي لغاية عصره وهو مطبوع. ومن التتمات أيضا" معالم العلماء" لرشيد الدين محمد بن علي بن شهر اشوب المتوفى سنة ٥٨٨هـ وقد زاد فيه ثلاثمائة مصنف على ما ذكره الطوسي.

كما لخّص" الفهرست" نجم الدين جعفر بن الحسن الهذلي المشهور بالمحقق الحلبي والمتوفى سنة ٦٧٦هـ. لخصه بتجريده عن ذكر الكتب والأسانيد مقتصرا على ذكر أسماء المصنفين.[١]

ويعد كتاب" الفهرست" من آثار الطوسي القيمة، وصفه الأستاذ محمد أبو زهرة بأنه" سد فراغا في ذلك المذهب ما كان يمكن لغير الطوسي ان يسده"[٢]. اعتمد الطوسي فيه على الفهارس السابقة له كفهرست ابن النديم[٣]. ومحمد بن علي بن بابويه القمي.[٤]

وللفهرست ثلاث طبعات، الأولى في"ليدن" والثانية في" كلكتا" بالهند سنة ١٢٧١هـ وتحت إشراف المستشرق أ. شبر نحو والمولى عبد الحق، والثالثة في النجف الأشرف سنة ١٣٨٠هـ حققه محمد صادق بحر العلوم وكانت أفضل الطبعات.

---

١- الطهراني- حياة الطوسي صفحات: ذ ض ظ.

٢- أبو زهرة- الامام الصادق: صفحة ٤٥٨.

٣- الطوسي: الفهرست: ص ٩٤، ٩٥، ١٢٩، ١٥٥.

٤- نفس المصدر صفحة ٩٧.

لقد ذكر هذا الكتاب في أغلب من ترجم للطوسي، ولم يختلف في تسميته أو نسبه اليه أحد، وممن ذكره اسماعيل باشا البغدادي[١]، وخير الدين الزركلي[٢] موضحا موضوعه بقوله" الفهرست في طبقات الرجال وتراجمهم"[٣]. ويحتوي الفهرست على ما يزيد على تسعمائة اسم من أسماء مصنفي الامامية.

### ١٧. المبسوط:

وهو كتاب فقهي، من أجل كتب الطوسي في الفقه، ويشتمل على جميع أبواب الفقه يقع في ثمانين جزءا، طبع في إيران سنة ١٢٧٠هـ، ذكره خير الدين الزركلي الا انه عدّ أجزاءه واحدا وثمانين جزءا[٤]. وذكره الطهراني بأنه يقع في سبعين كتابا[٥]. وصف الطوسي هذا الكتاب في كتابه" الفهرست" بأنه" لم يصنف مثله" [*].

### ١٨. مختصر المصباح في عمل السنة:

وهو كتاب في الأدعية يورد فيه نماذج من الأدعية التي كان يدعو بها رسول الله-ﷺ- وأهل بيته، وهو مختصر لكتابه الموسوم"مصباح المتهجد" ويسمى هذا المختصر أيضا" المصباح الصغير" وهو مخطوط[*].

### ١٩. مسألة في العمل بخبر الواحد وبيان حجيته:

وهو كتاب يبحث في أصول الفقه في حدود مسألة خبر الواحد ذكره الطهراني في الذريعة.[٦]

### ٢٠. المسائل الألياسية:

وهي مائة مسألة في مختلف الفنون ذكرها الطوسي في الفهرست[٧].

---

١- اسماعيل باشا البغدادي- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ١٧٢/٢.

٢- خير الدين الزركلي- الاعلام ٨٨٣/٣.

٣- خير الدين الزركلي: الاعلام ٨٨٤/٣.

٤- نفس المصدر ٨٨٤/٣.

٥- الطهراني- حياة الطوسي صفحة ظ.

*- الطبعة الأولى في طهران: ١٢٧٠ (طبع حجر) والثانية في المطبعة الحيدرية طهران ١٣٨٧هـ.

*- نسخة منه في مكتبة الامام الحكيم العامة في النجف الأشرف تحت رقم ١٣٦٤.

٦- الطهراني: الذريعة: ٢٧٠/٦. لم أعثر عليه في فهارس المخطوطات العربية والأجنبية.

٧- الطهراني: الذريعة: ٢١٤/٥. لم أعثر عليه في فهارس المخطوطات العربية والأجنبية.

### ٢١. المسائل الحائرية:

وهي ما يقارب من ثلاثمائة مسألة فقهية ذكرها الطوسي في الفهرست[١].

### ٢٢. المسائل الدمشقية:

وهي اثنتا عشرة مسألة في تقسيم القرآن وصفها الطوسي في الفهرست بأنه" لم يعمل مثلها"[٢] ولم أعثر عليها في فهارس المخطوطات العربية والأجنبية ولا في المكتبات التي رأيتها.

### ٢٣. المسائل الرازية:

وهي مسائل في علم الكلام وعددها خمس عشرة مسألة، وردت من الري الى الشريف المرتضى فأجاب عنها، كما أجاب عنها الطوسي وذكرها في الفهرست[٣].

### ٢٤. مصباح المتهجد في أعمال السنة:

وهو من أجل كتب الامامية في الادعية له مختصرات وذيول منها" تتمات المصباح" لابن طاووس ويقع في عشرة مجلدات، و"منهاج الصلاح في مختصر المصباح" طبع في طهران سنة ١٣٣٨هـ.

### ٢٥. المفصح في الامامة:

وهو بحث في علم الكلام يستعرض فيه الطوسي الادلة على وجوب النص على الامام، ووجوب كونه أفضل الامة، وانه القمة في تطبيق مبادئ الاسلام وأحكامه. وهو كتاب كبير مخطوط، ويعتبر من الآثار الهامة للطوسي. [٤]

### ٢٦. مقتل الحسين عليه السلام:

ذكره الطوسي في الفهرست وذكره الطهراني في الذريعة.[٥]

### ٢٧. مقدمة في المدخل الى علم الكلام:

ذكرها الطوسي في الفهرست، ووصفها بقوله" لم يعمل مثلها".[٦]

---

١- المصدر السابق-٥/٢١٨.

٢- المصدر السابق- ٥/٢٢٠.

٣- المصدر السابق- ٥/٢٢١.

٤- الطهراني- حياة الطوسي- صفحة أ ج- نسخة منه في مكتبة أمير المؤمنين النجف برقم ١٤٢٢.

٥- المصدر السابق - صفحة- أ د. لم أعثر على هذا الكتاب في فهارس المخطوطات العربية والأجنبية.

٦- المصدر السابق والصفحة. توجد نسخة منها عليها خد الطوسي في مكتبة السيد محمد المشكاة في النجف.

### ٢٨ . مناسك الحج في مجرد العمل:

ذكره الطوسي في الفهرست والطهراني في الذريعة.[١]

### ٢٩ . النهاية في مجرد الفقه:

وهو من الكتب الجليلة في الفقه، ومحل اهتمام وعناية فقهاء الامامية وهو محل" بحثهم، وتدريسهم فيه، وشروحهم عليه، وكانوا يخصونه بالرواية والاجازه وله شروح متعددة".[٢]

### ٣٠ . هداية المسترشد وبصيرة المتعبد:

وهو في الادعية ذكره الشيخ الطوسي في الفهرست.[٣]

هذه تقريبا أهم كتب الطوسي، وله كتب أخرى تربو الى خمسين كتابا، وقد نسبت دائرة المعارف الاسلامية كتابي" الجوشن الكبير" و" الجوشن الصغير"[٤]. وهذان اسمان لدعائين مأثورين مرويين عن زين العابدين علي بن الحسين عن النبي-صلى الله عليه وآله وسلم-. كما في كتاب (المصباح) لابراهيم بن علي العاملي المتوفّى سنة ٩٠٠هـ.

ونسب اليه خير الدين الزركلي[٥]، كتاب" معالم العلماء" وهذا من كتب محمد بن علي بن شهر اشوب المتوفي سنة ٥٨٨هـ.

كما نسب اليه اسماعيل باشا البغدادي كتاب" منتهى السؤول في شرح الفصول".[٦]

وهناك من نسب اليه كتبا بأسماء مقاربة لاسماء كتبه.

---

١- المصدر السابق- أ هـ.

٢- المصدر السابق صفحة أ و- والطهراني- الذريعة ١٤٣/٤. طبع في طهران سنة ١٢٧٦هـ.

٣- المصدر السابق- حياة الطوسي- صفحة أ و.

٤- دائرة المعارف الاسلامية- ٣٧٧/١٥.

٥- خير الدين الزركلي- الاعلام- ٣١٥/٦.

٦- البغدادي اسماعيل باشا- هدية العارفين- ٧٢/٢.

### ٦ـ مصادر الطوسي في تفسيره:

جمع الطوسي في تفسيره مختلف أبواب علوم القرآن كالتفسير والمعاني والقراءات وأسباب النزول والاعراب واللغة. ويعرض الطوسي في أثناء هذه المباحث آراء في علم الكلام والعقائد والفقه. فجاء تفسيره سفرا حاويا لمختلف علوم القرآن.

والكتب والمصادر التي اعتمدها الطوسي في تفسيره هي:

***أ- كتب معاني القرآن:***

١. كتاب معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠١هـ[١] نقل الطوسي عنه كثيرا من النصوص المتعلقة بالتفسير والقراءات واللغة والنحو. ونقله عنه قد يتفق مع لفظ الفراء وأحيانا يطابقه بالمعنى[٢].

٢. كتاب معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعده المجاشهي الملقب بالأخفش الأوسط المتوفى سنة ٢١٠هـ[٣] وكتابه مخطوط[٤]. أخذ عنه الطوسي التفسير والقراءات واللغة والنحو.[٥]

٣. مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفى سنة ٢١٠هـ[٦] ذكره الطوسي في التبيان صراحة فقال:" ذكر أبو عبيده في كتاب المجاز..."[٧] ونقله عنه يتفق معه باللفظ أحيانا وقد يكون بالمعنى فقط.[٨]

---

١- أبو الطيب – مراتب النحويين ص ١٤١. تحقيق أبي الفضل ابراهيم- ط٢- القاهرة- لم تذكر سنة الطبع.

٢- انظر التبين ٣٤٢/٤ وقارن بمعاني القرآن للفراء ٣٧٠/١. وكذا التبيان ١٨٣/٨ وقارن بمعاني القرآن ٣١٣/٢.

٣- الداودي- طبقات المفسرين- ١٨٦/١ تحقيق علي محمد عمر- ط١- القاهرة ١٩٧٢م.

٤- توجد من كتاب الاخفش نسخة مصورة بمكتبة المشهد بايران برقم(٢٢٠).

٥- انظر التبيان ١٨٨/٢ وقارن بمعاني القرآن للأخفش و٧٣ظ. وكذا التبيان ٥١/٥ ومعاني القرآن للأخفش و١٢٤ظ.

٦- الزبيدي- طبقات النحويين واللغويين ص٧٨.

٧- التبيان ٢٨٦/٨.

٨- انظر التبيان ٧٢/١ وقارن بمجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٢/١. وكذا التبيان ١٢٢/٧-١٢٣ وقارن بالمجاز ٧/٢-٨.

٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري الآملي المتوفّى سنة ٣١٠هـ[١]. وعدّ الطوسي الطبري في علماء الأمة الذين أطالوا في تفاسيرهم[٢]. نقل الطوسي عنه كثيرا من التفسير.[٣]

٥. جامع التأويل لمحكم التنزيل: لأبي مسلم محمد بن بحر الاصفهاني المتوفّى سنة ٣٢٢هـ [٤]. ذكر الطوسي أبا مسلم في مقدمة التبيان وأبان إعجابه بتفسيره وعدّه أصلح من سلك في التفسير مسلكا مقتصدا. أخذ عنه التفسير.[٥]

***ب- كتب الحديث:***

١. مسند الامام أحمد بن حنبل المتوفّى سنة ٢٤١هـ.[٦]

٢. صحيح البخاري المتوفّى سنة ٢٥٦هـ.[٧]

٣. صحيح مسلم المتوفّى سنة ٢٦١هـ.[٨]

٤. صحيح الترمذي المتوفّى سنة ٢٧١هـ.[٩]

٥. " الأمالي" لمحمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقب بالصدوق المتوفّى سنة ٣٨١هـ.[١٠]

٦. " الأمالي" لشيخه محمد بن محمد بن النعمان المفيد المتوفّى سنة ٤١٣هـ.[١١]

---

١- الداودي- طبقات المفسرين ١١٤/٢.

٢- التبيان- ١/١.

٣- انظر التبيان ١٧١/٥- وقارن بجامع البيان للطبري ١١٦/١٤-١١٧.

٤- الداودي- طبقات المفسرين ١٠٦/٢.

٥- التبيان ١٥٩/١، ٤٨/٧، ١٨٧/٨.

٦- أنظر التبيان ١٢٥/٣ وقارن بمسند الامام أحمد رقم ١٤٤٠ في ٢٥/٣.

٧- أنظر التبيان ٤٨٠/١ وقارن بصحيح البخاري- كتاب الايمان ١٦٠/١.

٨- أنظر التبيان ١٠٩/٣ وقارن بصحيح مسلم – كتاب الزكاة رقم ١٠٦ في ٧٢١/٢.

٩- أنظر التبيان ٣٠٩/١٠-٣١٠ وقارن بصحيح الترمذي أبواب صفة القيمة في ٢٥٨/٩.

١٠- أنطر التبيان ٤٧٤/٩ وقارن بالأمالي للصدوق ص ٤٦٩.

١١- التبيان: ٥٥٦/٣.

### ج- كتب السير:

١. أخذ عن كتاب السيرة النبوية لابن اسحاق وهو أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي المتوفّى سنة ١٥١هـ، الا أن كتابه لم يصل الا ما ضمنه عنه ابن هشام في كتابه السيرة النبوية[١]. والطوسي عند ما ينقل عنه يقول" قال ابن اسحاق" ونقل عنه نصوصا كثيرة.[٢]

٢. وأخذ عن كتاب المغازي للواقدي، وقد أشار الطوسي الى هذا الكتاب في التبيان فقال: " والحديث مشروح في كتاب الواقدي"[٣] ويقصد به محمد بن عمر المتوفّى سنة ٢٠٧هـ[٤]. أخذ عنه أسباب النزول نادرا.[٥]

### د- كتب القراءات:

١. كتاب" القراءات وعللها" لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي المتوفّى سنة ٣٧٠هـ[٦] [٧]، نقل عنه الطوسي كثيرا.[٨]

٢. الحجة في القراءات السبع: لأبي علي الحسين بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، النحوي المشهور المتوفّى سنة ٣٧٧هـ.[٩] وكتابه مخطوط [١٠]، وأغلب نقولات الطوسي عنه بلفظه.[١١]

---

١- ياقوت الحموي- معجم الأدباء ٥/١٨.

٢- أنظر التبيان ٣٢١/٢، ٣٢٦، ٩/٣.

٣- التبيان ٢٦١/٥.

٤- ابن حجر- تهذيب التهذيب ٣٦٦/٩.

٥- أنظر التبيان ٢٦١/٥ وقارن بالمغازي للواقدي ١٧٧/١.

٦- الداودي: طبقات المفسرين ١٤٨/١.

٧- منه نسخه مصورة بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية برقم ٥٢- قراءات في جزئين.

٨- أنظر التبيان ٣٤/٧-٣٥ وقارن ب القراءات وعللها لابن خالويه ٢٧٧/١- ٢٧٨.

٩- السيوطي- بغية الوعاة ٤٩٧/١.

١٠- منه نسخة مصورة عن مكتبة مراد ملا محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة برقم( ٢٤٠١٢).

١١- أنظر التبيان ٢٤/٦ وقارن بالحجة م٣ الورقة ٣١٨و.

### هـ- كتب اللغة والنحو:

١. كتاب العين: المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفّى سنة ١٧٠هـ[١]، ولم ينسبه الطوسي للخليل بل كان يقول: " قال صاحب العين" ونقوله اللغوية عنه كثيرة.[٢]

٢. الكتاب لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان المتوفّى سنة [٣] ١٨٠هـ، أخذ عنه النحو والصرف وبعض القراءات واستشهد بكثير من شواهده في عدة موضوعات.[٤]

٣. كتاب"الجمهرة في اللغة" لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي المتوفّى سنة ٣٢١هـ[٥] نقل عنه كثيرا من النصوص اللغوية.[٦]

**٧-وفاته:**

اتفق أغلب من ترجم للطوسي على تاريخ وفاته. فذكروا أنه توفى سنة ٤٦٠هـ. ومن هؤلاء ابن الأثير[٧] وابن الجوزي[٨] وتاج الدين السبكي[٩] وابن تغري بردي [١٠] وابن حجر العسقلاني[١١] والسيوطي[١٢] دونالدسن[١٣].

---

١- الزبيدي- طبقات النحويين واللغويين ص ٥١.

٢- أنظر التبيان ٨٦/٢ وقارن بالعين ٢٤٥/١ المخطوطة.

٣- الزبيدي- طبقات النحويين واللغويين ٧٢.

٤- أنظر التبيان ٤٤٨/٢ وقارن بالكتاب ٣١٠/١.

٥- الزبيدي- طبقات النحويين واللغويين ١٨٤.

٦- أنظر التبيان ٢٣٦/١ وقارن بالجمهرة ٣٤٥/١.

٧- الكامل في التاريخ.

٨- ابن الجوزي- المنتظم- ٢٥٢/٨.

٩- طبقات الشافعية ١٢٧/٤.

١٠- النجوم الزاهرة ٨٢/٥.

١١- لسان الميزان-١٣٥/٥.

١٢- طبقات المفسرين صفحة ٢٩.

١٣- عقيدة الشيعة٢٨٦.

وأدق من ترجم لوفاته الحلي، اذ ذكر أنه توفى ليلة الاثنين الثاني والعشرين من شهر محرم من تلك السنة.[١]

وهناك من خالف في هذا التاريخ من وفاته، فأعتبرها ابن شهر اشوب المازندراني في آخر محرم سنة ٤٥٨هـ [٢]، وذكر الصفدي أن وفاته كانت سنة ٤٥٨هـ [٣]، وذكر ابن حجر أن بعضهم أرخ لوفاته سنة ٤٦١هـ [٤]. الا أنه رجّح وفاته في سنة ٤٦٠هـ.

توفى الطوسي عن عمر ناهز الخامسة والسبعين سنة ٤٦٠هـ. وهذا ما أرجحه لتاريخ وفاته. بل الصحيح فيه، والذي يدل على صحة هذا التأريخ أمور، منها تواتر هذا التأريخ عند أغلب من ترجم الطوسي. والأمر الآخر أن الحلي المتوفّى سنة ٦٧٦هـ أدق من ترجم للطوسي من المتقدمين وقد قطع بتصحيحه لوفاته بهذا التأريخ، اضافة الى ترجيح ابن حجر العسقلاني لنفس التأريخ، ويضاف الى كل ذلك أن بعض من ترجم للطوسي ذكر أنه توفي عن عمر ناهز الخامسة والسبعون فاذا أضفنا هذه السنوات الى سنة الميلاد يصبح التأريخ ٤٦٠هـ وهو التأريخ المرجح والصحيح.

ذكر جميع من ترجم للطوسي، "أن وفاته كانت بالنجف الأشرف بمشهد الامام علي بن أبي طالب- عليه السلام-". ولم يخالف في ذلك الا تاج الدين السبكي، حيث ذكر أنها بالكوفة، وتابعه في القول، خير الدين الزركلي[٥] ورونالد سن[٦].

---

١- الحلي- الرجال-١٤٨.

٢- ابن شهر اشوب- معالم العلماء- ١١٤.

٣- الصفدي- الوافي بالوفيات- ٣٩٢/٢.

٤- ابن حجر- لسان الميزان- ١٣٥/٥.

٥- الزركلي- الاعلام- ٣١٥/٦.

٦- عقدة الشيعة- رونالدمن- ٢٨٥.

ولعل السبكي يقصد بالكوفة النجف الأشرف ضمنا لشدة تقارب مكانيهما مما خلط الامر عليه. الا أن هذا القصد- إذا صح منه- فانه يؤاخذ عليه، حيث أن لكل من النجف والكوفة خصائص ومميزات تنفرد بها عن غيرها تاريخيا وجغرافيا.

بعد وفاة الشيخ أبي جعفر الطوسي، غسله ودفنه بعض تلاميذه[1]. وكان دفنه في داره، التي أصبحت بعد ذلك مسجدا، وأصبح قبره مزارا، "وعرف مسجده الذي يقرب من مشهد الامام علي-عليه السلام- بمسجد الطوسي وسمي الباب الذي يؤدي من مشهد الامام علي-عليه السلام- الى ذلك المسجد بـ (باب الطوسي)"[2]. وأضحى هذا المسجد مدرسة علمية كبرى، يتحلّق فيه طلبة العلم حول المجتهدين ينهلون من علومهم الى يومنا هذا. وقد تخرج أكابر علماء الامامية من هذه المدرسة العلمية.

١- الخوانساري- روضات الجنات ٢١٧/٦.

٢- موسوعة العتبات المقدسة ٢١٤/١.

## الفصل الثاني

## "منهجية الطوسي في التأليف وأسلوبه"

١- الدرس النحوي في القرن الخامس الهجري.

أ- مشاهير النحاة.

ب- منهجيتهم في التأليف.

ج- موقفهم من الشواهد.

٢- منهجية الطوسي في التأليف:

أ- مقدمته.

ب- منهجه في تناول السور والآيات.

ج- منهجيته في ايراد أقوال المفسرين واللغويين والنحاة.

٣- أسلوبه من خلال تفسيره وتحليله.

# "منهجية الطوسي في التأليف وأسلوبه"

## ١. الدرس النحوي في القرن الخامس الهجري:

### *أ- مشاهير النحاة:*

لم تؤثر الحالة السياسية وتدهور الحياة الاجتماعية والاقتصادية تأثيرا كبيرا، على النشاط العلمي والعقلي لدى الناس في القرن الخامس الهجري وذلك لانتشار المدارس التي أسهمت الى حد كبير في ظهور كبار العلماء في مختلف فنون العلم والمعرفة. حيث أنشأ البويهيون والسلاجقة مدارس ومكتبات عديدة، ففي بغداد وحدها ما يقارب ثلاثين مدرسة[١]، أشهرها المدرسة النظامية نسبة الى الوزير نظام الملك.

وكان للمدرسة النظامية مكتبة ضمت ألوفا من الكتب. وهناك المكتبات الأخرى ودور العلم التي ساهمت مساهمة فعالة في النهضة العلمية والنشاط الفكري في هذا القرن. فنضجت الكثير من العلوم، ومن بينها علوم اللغة من نحو وصرف ومعان وبيان وعروض، وبرز من علماء اللغة مشاهير، أعطوا للدرس النحوي واللغوي خصائص ومميزات جديدة، في المنهج والمادة.

ومن أشهر هؤلاء العلماء:

١. أبو الحسن علي بن عيسى المشهور بالرماني المتوفّى ببغداد سنة ٤٢٠هـ [٢] كان من أكابر النحويين، أخذ عن السيرافي، ثم خرج الى شيراز فأخذ عن أبي علي الفارسي نحوا من عشرين سنة. فقال له أبو علي: ما بقي لك شيء تحتاج أن تسأل عنه. وكان أبو علي يقول له: لو سرت المشرق والمغرب لم تجد أنحى منك. عاد الى بغداد فلم يزل مقيما الى آخره عمره[٣].

سأل الخطيب التبريزي شيخه ابن برهان: كيف تركت الرماني وأخذت عن أصحابه مع ادراكك له؟ فقال: كان مجنونا، وأنا كما ترى، فما كنا نتفق [٤].

---

١- رحلة ابن جبير صفحة ٢٠٥- بيروت ١٩٥٩.

٢- بغية الوعاة: ١٨٢/٢.

٣- نزهة الألباب ٣٥٠.أنباه الرواه /٢٩٧.

٤- رحلة ابن جبير، صفحة ٢٠٥، بيروت ١٩٥٩.

٢. الثمانيني: هو أبو القاسم عمر بن ثابت الثمانيني النحوي الضرير. أخذ عن ابن جني، وكان خواص الناس يقرأون على ابن برهان، وعوامهم يقرأون على الثمانيني. شرح كتاب اللمع لشيخه ابن جني وشرح" التصريف الملوكي" له أيضا توفّى سنة ٤٣٢هـ[١].

٣. ابن برهان: وهو أبو القاسم عبد الواحد بن علي العكبري، ويكنى ابن برهان، المتوفّى سنة ٤٥٦هـ [٢].

ولد في عكبرا[٣] ونسب اليها، انتقل الى بغداد في أواخ القرن الرابع الهجري، كان شرس الخلق[٤]، وكان يتكبر على أولاد الرؤساء الأغنياء[٥]. كان معتزلي المذهب[٦]. تتلمذ عليه الخطيب التبريزي ت٥٠٢هـ[٧].

٤. ابن بابشاذ: وهو طاهر بن أحمد بن بابشاذ، ولد بالعراق وتلقى تعليمه هناك ثم رحل مع أبيه الى مصر وبقي فيها حتى توفّى سنة ٤٦٩هـ[٨].

من شيوخه: علي بن عيسى الربعي[٩] وأبو نصر القاسم بن محمد بن مناسر الواسطي النحوي، ومن كتبه: المقدمة النحوية في النحو. وتسمى أيضا المقدمة المحسبة او المحتسب. وله أيضا شرح المقدمة النحوية وشرح كتاب الجمل للزجاجي[١٠].

---

١- بغية الوعاة ٢/٢٧١.

٢- بغية الوعاة:٢/١٢٠.

٣- عكبرا: قرية تبعد عن بغداد قديما عشرة فراسخ ولم يعد لهل ذكر الآن.

٤- أنباه الرواه:٢/١٣.

٥- فوات الوفيات:٢/٤١.

٦- بغية الوعاة:٢/٣٣٨. لسان الميزان ٤/٨٢.

٧- البغية ٢/٣٣٨

٨- الكامل في التأريخ:٨/١٢٣.

٩- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام صفحة ٥١.

١٠- البغية: ٢/٢٦٢.

٥. التبريزي: وهو أبو زكريا يحيى بن علي بن الخطيب الشيباني، المتوفّى ببغداد سنة ٥٠٢هـ[١]. أنهى العقد الأول والثاني من حياته في مدينة تبريز[٢] ثم رحل منها الى بغداد حيث أخذ عن ابن برهان ت ٤٥٦هـ وابن الدهان الحسن بن محمد بن علي بن رجاء، أحد أئمة النحاة ت سنة ٤٤٧هـ[٣]. ومن أخذ عنهم التبريزي ببغداد الشيخ ابي جعفر الطوسي– صاحب التبيان–[٤].

وأبرز من أثرى في سير الدرس النحوي وأقام أسسه في هذا القرن من هؤلاء العلماء ثلاثة هم:

ابن برهان، وابن بابشاد، والخطيب التبريزي

وهذه نبذه عن منهجية هؤلاء الثلاثة في التأليف، وموقفهم من الشواهد النحوية.

### ب- *المنهجية في التأليف:*

لقد تميزت المنهجية في التأليف في هذا القرن عن سابقه باتسامها بالتنظيم والتبويب والتنسيق. فبينما كان التأليف في القرن الرابع الهجري مختلطا في النحو وعلوم اللغة الأخرى مع بعضه ويفتقر الى التبويب، نضجت في هذا القرن ظاهرة التنظيم والتبويب.

وأخذت المؤلفات تتخذ شكل الموسوعات ذات الأجزاء المتعددة.

فلو تناولت كتاب" شرح اللمع لابن برهان العكبري" الذي يشرح فيه كتاب اللمع لابن جني. لوجدته أنه لم يبدأ كتابه بمقدمة وانما ابتدأ بتقسيم النحويين الى ثلاثة أقسام فقال:"النحويون جنس تحته ثلاثة أنواع مدنيون وكوفيون وبصريون، البصريون نوع تحته عدة أشخاص منهم سيبويه". ثم يبدأ بعد هذا الكلام مباشرة ببيان" الكلم" ثم" القول في الكلام" يورد في أثناء شرحه لذلك مسائل عديدة، يناقش فيها جوانب من الموضوع. ثم يعقب ذلك بعنوان جديد "المعرب والمبني" وهكذا يستمر بأبواب الكتاب مرتبة حسب ترتيب أبواب اللمع لابن جني الذي هو قريب في ترتيبه من ترتيب أبواب كتاب سيبويه.

---

١- معجم الأدباء:٢/٢٥.

٢- من كبريات المدن في ايران.

٣- انباه الرواه:١/٣٠٤.

٤- انظر شرح الخيارات المفضل للخطيب التبريزي تحقيق خر الدين قباوه صفحة ١٥، دمشق ١٩٧١.

يبدأ ابن برهان بأبواب النحو ثم يعقبها بأبواب الصرف. وتأخذ أبواب النحو عنده ثلثي الكتاب، وتحتل المادة الصرفية الثلث الأخير منه.

تناول ابن برهان كل باب في اللمع بالشرح والتعليق دون أن يقيّد نفسه بألفاظ ابن جني في كتابه، وقد سار على هذا النهج في كل أبواب الكتاب الا في باب النسب[١] وباب التصغير[٢].

ومن الجدير بالذكر أنه قد سقط من شرح اللمع باب النداء وباب الترخيم وبعض من بابي النداء والمعرفة والنكرة[٣].

أطنب ابن برهان في شرحه للمع اطنابا مملا وأوجز بعضها الآخر ايجازا مخلا، تقوده الاستطرادات اللغوية والتعليلية[٤]، ولا يورد ابن برهان التعريفات الحادة في شرحه بل يكتفي بذكر الخواص وقد يسهب في ذلك أحيانا[٥]. وأحيانا يعرف ما ليس من النحو كالمثل[٦].

أما طريقة ابن برهان في تناول فصول" اللمع" فانه لا يذكر المتن منفصلا عن الشرح وانما يمزج بين المتن والشرح. وهذه طريقته في جميع أبواب الكتاب عدا بابي النسب والتصغير فانه شرحهما بالقول بأن يورد نصّا من كلام ابن جني في" اللمع" ثم يوفيه شرحا مفصلا.: وهذا مثال لكيفية شرحه للمع يمزج متن اللمع بشرحه قال:

---

١- شرح اللمع لابن برهان العكبري: ٥٣٥-٥٦٦.

٢- شرح اللمع: ٥٦٧- ٦١٠.

٣- انظر شرح اللمع لابن برهان- رسالة ماجستير مقدمة من فائز فارس محمد لآداب القاهرة قسم اللغة العربية ورقمها بمكتبة الجامعة ١٢٦٣ بتاريخ ١٩٧٤ ص ٣٧.

٤- شرح اللمع: ٤٠٤- ٤٢٨، ٥٩٥-٦٠٠.

٥- شرح اللمع: ٢،٣، ٤.

٦- شرح اللمع: ٣٥٦.

"فاذا قلت" الضارب" أخلصته لواحد بعينه، وكذلك إذا قلت يضرب صلح للحال والاستقبال، على سبيل البدل، فاذا قلت" سيضرب" أو" سوف يضرب" خلص الفعل للاستقبال، فأزال الحرف شركته إزالة لام المعرفة شركة الاسم"[1].

أما كتاب" شرح المقدمة النحوية" أو" المحسبة" لطاهر بن أحمد بن بابشاد فانه في تبويبه وتنظيمه أجود من شرح ابن برهان للمع حيث ابتدأ كتابه بمقدمة بدأها بالبسملة وحمد الله والصلاة على الرسول وعلى آله، ثم بين الدافع لتأليفه الكتاب، وهو بناء على طلب تلميذه أبي القاسم عبد الرحمن بن ابي بكر بن أبي سعيد.

وبعد مقدمته بدأ بتعريف النحو لغة واصطلاحا، وذكر في آخر شرحه للتعريف سبب تقسيمه الكتاب على عشرة فصول معينة فقال:" وأما قولنا" وهي الاسم، والفعل، والحرف، والرفع، والنصب، والجر، والجزم، والعامل، والتابع، والخط" فانما رتبت هذا الترتيب لما تقدم من قوة الاسم، ومن توسط الفعل ومن تأخر الحرف...".

ثم يبين ابن بابشاد سبب بدئه بالاسم والفعل والحرف وأهمية كل واحد منها، فيقول:" وأما قولنا: اسم وفعل وحرف فان هذه العلامة هي الأصول الأولى التي لا يستغنى عن تقدمة معرفتها، لأنها أنفس الكلام، وما بعدها كلام على عوارضها الداخلة عليها ولذلك اتفقت كتب متقدّمي النحويين على البداية بها" ثم يبين سبب ذكره لبقية فصول الكتاب عقب ذكره لهذه الثلاثة فيقول:" ثم قدم الرفع على النصب لأنه من حركات العمد، ثم قدم الجر على الجزم لأن الجزم من اعراب ما هو مستحق للإعراب وهو الاسم، ثم قدم العامل على التابع لأن العامل لابد منه والتابع منه بد- لأن التابع يأتي محمولا على غيره، والعامل يأتي لأمر يحتاج اليه في نفسه- ، ثم قدم التابع على الخط لأن التابع لاحق بالمتبوع فلحق بما تقدمه ولم يبق الا جعل الخط عاشرا".

---

١- شرح اللمع: ١٧٢.

قسم بعد ذلك فصل الاسم الى ثلاثة أقسام الأسماء الظاهرة المعربة والاسماء المضمرة، والاسماء التي لا ظاهرة ولا مضمرة، ثم بين خواص الأسماء[١]. وقسم فصل الفعل الى حديث عن الماضي والحال وما ينصرف منها وما لا ينصرف، عقب ذلك ببيان خواص الأفعال[٢].

وقسم فصل الحروف الى الكلام عن الحروف العاملة ثم الحروف غير العاملة ثم الحروف التي تعمل على صفة ولا تعمل على أخرى[٣].

وفي فصل الرفع ذكر علامات الرفع، وجملة المرفوعات، والبناء على الضم[٤].

وذكر في فصل النصب علاماته وبين جملة المنصوبات، ثم أوضح البناء على اللغة[٥].

وفي فصل الجر فسّر معناه، وأوضح علاماته وجملة المجرورات، ثم بين المبني على الكسر[٦].

وفي فصل الجزم ذكر علاماته وجملة المجزومات والمبني على السكون[٧]. وفي الفصل الثامن وهو فصل العامل عرّف العامل وتكلم عن العامل المعنوي وصفاته. ثم أوضح العوامل اللفظية من الأفعال والحروف والاسماء العاملة [٨].

وتناول في الفصل التاسع التوابع وتكلم عن كل تابع منفردا فذكر التأكيد والنعت وعطف البيان والبدل والنسق[٩].

---

١- شرح المقدمة النحوية: ٩-١١٨.

٢- شرح المقدمة النحوية:١٢٢- ١٤٣.

٣- شرح المقدمة النحوية: ١٤٦- ٢١٢.

٤- شرح المقدمة النحوية: ٢١٢-٢٢١.

٥- شرح المقدمة النحوية: ٢٢٥-٢٦٦.

٦- شرح المقدمة النحوية: ٢٦٧-٢٧٧.

٧- شرح المقدمة النحوية: ٢٨١- ٢٨٤.

٨- شرح المقدمة النحوية: ٢٨٦- ٣٦٨.

٩- شرح المقدمة النحوية: ٣٧٨- ٤٠٢.

وفي الفصل الأخير تناول موضوع الخط، وقسمه عن طريقة كتابة المدود فالمقصور فالمهموز ثم القطع والوصف ثم الحذف والزيادة والبدل[١].

ومن خلال ملاحظة مادة كل فصل من هذه الفصول اتضح أن القسم الاكبر من كتاب ابن بابشاد تضمن الكلام عن الكلام واقسامه من اسم وفعل وحرف. يليه بالدرجة الثانية موضوع الاعراب متضمنا الرفع والنصب والجر والجزم، وأخيرا العوامل والتوابع والخط.

ويبدو على منهجية ابن بابشاد الميل الى العموم أكثر من ميله الى التفريعات والخصوصيات.

يبدأ ابن بابشاد شرحه في أول كل فصل أو مسألة بذكر عبارة المقدمة النحوية نصا فيقول: أما قولنا كذا... فكذا عبارة المقدمة بعد قوله" أما قولنا" ثم يتبع العبارة بالشرح والتعليق مناقشا ومستشهدا بشواهد تؤيد رأيه وتدعمه وموضحا ما أوجزه في مقدمته. مثال ذلك " قال أبو الحسن طاهر في فصل الاسم (المثنى من الاسماء)

(عبارة المقدمة) وأما قولنا: ومنها نوع رفعه بالألف ونصبه وجره بالياء المفتوح ما قبلها وهو كل اسم مثنى مثل الرجلين والمرأتين.

(عبارة الشرح) ... فان هذا النوع التاسع، والعلة في إعراب التشبيه بالحرف أن المثنى أكثر من الواحد، فجعل إعرابه بشيء أكثر من اعراب الواحد ولا أكثر من الحركة الا الحرف، والعلة في اختصار المرفوع بالألف دون الواو التي هي علامة الرفع أنهم لو أعربوا المثنى في الرفع بالواو لالتبس بالجمع ولو بقّوا الفتحة قبل الواو في التثنية كما بقّوا الضمة قبل الواو في الجمع لالتبس بجمع المقصور.... الخ"[٢].

ويستمر ابن بابشاد بشرحه على هذا المنهج.

---

١- شرح المقدمة النحوية: ٤٠٩- ٤٤٩.

٢- شرح المقدمة النحوية: صفحة ٥٠-٥١.

ويبدو أن سبب الاستطرادات والتفصيلات في شرحه هو جوابه تساؤلات تلميذه أثناء الشرح. مثال ذلك أنه فصّل الكلام في قراءة "أنَّ الله برئ من المشركين ورسولُهُ "[١] وأنهى المسألة بقوله" وانما وسع الكلام في هذه المسألة حسب ما سألت أيها الأخ وفقك الله"[٢].

أما كتاب " شرح اختيارات المفضل" للتبريزي فانه يبدا بمقدمة موجزه يذكر فيها بعض الملاحظات على شروح من سبقه وانها طويلة ومتشعبة وانها يذكر فيها ما لا حاجة به. قال:" فذكرت ان بعض الشروح قد طال لكثرة ما ذكر فيه من اللغة العربية، والاستشهادات عليها، ومع طوله فكثير من معاني الشعر غير معلوم منه، وبعض الشروح يذكر فيه في البيت ما لا يتعلق له به. وايراد ما لا يحتاج اليه البيت يطول به الكتاب" ثم ذكر في مقدمته الهدف من تأليفه فقال" والغرض من شرح هذه القصائد الايجاز والاقتصار على ما يعرف به ما في الشعر من الغريب والاعراب والمعاني، دون ما يتشعب من اللغة والاعراب، لئلا يشغل القارئ منه والناظر فيه عن الغرض المقصود".

فالتبريزي حدد قبل بدئه بالشرح منهجيته، وهذا يدلل على درجة من النضج في معرفة المنهجية وأثرها.

ومنهجية التبريزي في تناوله للأبيات الشعرية انه يذكر اسم الشاعر ويتوسع في نسبه وتصريف اسمه ويترجم له قليلا وأحيانا يطنب بشكل غريب في سبب التسمية او اللقب فعند ذكره لسبب تسمية" تأبط شرا" بهذا الاسم قال:" وتأبط شرا جملة من فعل وفاعل ومفعول... واختلف في سبب تلقيبه فقيل: أمه لقبته بذلك لأنها كانت كلما رأته مقبلا، وقد تردى بسيفه ترديه بعطافه، قالت: قد تأبط شرا، أي تحمل طائلة ووترا. وقيل: كان قد احتضن شيئا ثقيلا، فسئل: ما معك في حضنك؟ فرمى بثعبان عظيم، فقيل: قد تأبط شرا"[٣]

وبعد ايراده للترجمة يبدأ بذكر بيت واحد للشاعر، وترتيب أبياته نفس ترتيب أبيات" اختيارات المفضل".

---

١- التوبة:٢.

٢- شرح المقدمة النحوية: ورقة٣٤.

٣- شرح اختيارات المفضل للخطيب التبريزي جـ ا ص ٩٤، تحقيق: د. فخر الدين قباوه- دمشق ١٣٩١هـ -١٩٧١م.

وعند تناوله للبيت يبدأ بإعرابه وبيان أصول الكلمات فيه والدلالة والمعنى اللغوي واشتقاق الكلمات وهو في أثناء ذلك يتوسع في الشرح ويستشهد بالقراءات والشعر وبكلام العرب ويذكر اختلاف الروايات في البيت فعند شرحه لبيت "تأبط شرا":

يا عيدُ مالك من شوقٍ، وايراقِ  ومرِّ طيفٍ، على الأهوالِ، طرّاقِ

قال:" وروى بعضهم" يا عيد مالك" على الاضافة، ويكون "ما" بمعنى الذي ولك من صلته، كأنه قال: يا عيد الذي لك من شوق"[١] وبعد ذلك يورد المعنى وشاهدا قرآنيا فيقول:" والمراد: يا عيد شوقك، على وجه التعظيم، كما قرئ" يا بشرىَ هذا غلام"".

ويورد التبريزي في أثناء شروحه آراء كبار النحويين، كالخليل وسيبويه والفارسي، وابن السكيت وغيرهم، ويطغى عليه جانب النقل الا ان شخصيته النحوية لا تذوب بالنقول.

ومن نقولاته عن الخليل وسيبويه عند شرحه لبيت تأبط شرا:

لاشئ أسرع مني، ليس ذا عُذَرٍ

أو ذا جَناحٍ، بجنب الريد، خفّاقِ[٢]

قال:" والمعنى يجوز أن يزيد: عدوت عدوا زاد سرعتي فيه على سرعة عناق الخيل وسوابق الطير حتى تخلصت. فقد قال سيبويه: بعضهم يجمل" ليس" كـ "ما" و" لا" فلا يعيله في شيء، كأنه قال: لا شيء أسرع مني لا ذا عذر"[٣] ثم يعطي التبريزي رأيه في" اعراب الجملة ويبين العوامل فيها فيقول:" ويجوز أن يكون" ليس ذا عذر" مستثنى، فانتصب "شيء" بـ "لا" وارتفع" أسرع" على أنه خبره، وانتصب" ذا عذر" بقوله" ليس" واسمه مضمر فيه، كأنه قال: ليس ذلك الشيء الأسرع ذا عذر. وهو الوجه" وبعد اعطاء رأيه في اعراب الجملة يورد

---

١- شرح اختيارات المفضل ٩٥/١.

٢- شرح اختيارات المفضل ١١٢/١.

٣- شرح اختيارات المفضل ١/ ١١٣-١١٤.

رأي الخليل في جواز الوصف بليس فيقول:" ويجوز أن يكون موضع الجملة نصبا على ان تكون صفة ل "شيء" لأن الخليل جوز الوصف بـ " ليس" ..." [١].

وينفل التبريزي أحيانا آراء لبعض علماء التفسير لمعاني الآيات من خلال شرحه لأبيات زيادة للفائدة واتماما للمعنى. فمن ذلك نقله لرأي الفراء في معنى" البلاء" فيورد آية كريمة فيها هذه الكلمة ثم يعطي رأي الفراء في تفسيرها قال: و" البلاء": الأختبار والبلاء أيضا من البلوى، ومنه" وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم " [٢]. قال الفراء: يقول: فيما كان يصنع بكم فرعون من أصناف العذاب بلاء عظيم، من البلية. ويقال: نعم من ربكم عظيمة اذ أنجاكم منهم. قال: والبلاء قد يكون نعما وعذابا، ألا ترى أنك تقول: ان فلانا لحسن البلاء عندي، تريد: الانعام عليك..." [٣].

ولو أُخذ أي مُؤلَّف من مؤلفات علماء النحو واللغة في القرن الخامس الهجري لبدت عليه بوضوح ظاهرة الترتيب والتنظيم والتبويب ومنهجية الطوسي في التأليف باعتباره أحد مشاهير هذا القرن خير دليل على ذلك.

### ج- موقفهم من الشواهد:

يرجع النحاة في إثبات أحكامهم النحوية، وتعضيد حججهم الى الشواهد ويقصد بالشواهد ما استشهد به من القرآن الكريم والقراءات والحديث النبوي، وكلام العرب من شعر ونثر. حيث تعتبر هذه الشواهد المصدر الأول للنحو واللغة. وفيما يلي عرض لموقف ثلاثة من نحوي القرن الخامس الهجري من الشواهد، كنموذج لموقف نحاة هذا القرن من الشواهد.

وهؤلاء النحاة هم: ابن برهان، وابن بابشاد، والتبريزي.

وأبدأ بالكلام عن موقف ابن برهان من الشواهد. فموقفه من الشواهد القرآنية أنه استشهد بشرحه للمع ابن جني بما يزيد على (٧٥٠) آية لتشهد له ما يراه في النحو [*]. عارضا تلك الآيات على حذاق القراء. فتجده يأتي بالآية تلو الآية لتشهد له على ما يريد.

---

١- شرح اختيارات المفضل- للتبريزي ١١٢/١.

٢- آية ٦ من سورة ابراهيم.

٣- شرح اختيارات المفضل ٤٠١- ٤٠٢.

فهو يستشهد بخمسة آيات متتالية عند شرحه ل " إنّما" قال: " واعلم أن (ان) تدخل عليها (ما) فتكفها عن العمل، ويكون ذلك تكرارا للتوكيد قال الله:" إنّما اللهُ الهٌ واحدٌ" [١]. ويصح أن يليها الفعل، قال الله تعالى:" إنّما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيتِ" [٢].

وقد أفادت (انما) تقليل العدد، قال الله تعالى:" إنما يخشى اللهَ من عبادهِ العلماءُ" [٣] وقد تأولها قوم على ما المؤمنون الا الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم في قوله:" إنّما المؤمنونَ الذينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَت قُلوبُهُمْ" [٤]. واستدلوا بقول الفرزدق [٥]:

أنا الذائدُ الحامي الذمار وإنّما

يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي[٦]

وهذا قول ذكره أبو علي عن بعض البغداديين في قوله تعالى" قُل إنّما حَرّم ربي الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بَطَنَ"[٧] .....[٨]"

---

*- شرح اللمع لابن برهان العكبري ص ٥٩- رسالة ماجستير قدمها فائز فارس لآداب القاهرة قسم اللغة العربية برقم ١٢٦٣. سنة ١٩٧٤م.

١- النساء : ١٧١.

٢- الاحزاب: ٣٣.

٣- فاطر ٢٨.

٤- الانفال ٢.

٥- انظر ديوان الفرزدق: ٧١٢. -

٦- من شواهد ابن جني في المحتسب ٢/ ١٩٥. -

٧- الأعراف: ٣٣.

٨- شرح اللمع: و ٣٠ ظ.

أما موقف ابن برهان من الاستشهاد بالحديث الشريف فان الحديث الشريف لم يلقَ منه ظاهرة عند احتجاجه لقواعد النحو. فهو لم يستشهد بأي حديث للنحو، بل أورد بضعة أحاديث قدّمها في شرح اللمع لمعناها أو للغتها [١].

أما موقفه من الشواهد الشعرية فقد كان ابن برهان راوية أخباريا وفي كتابه شرح اللمع ما لا يقل عن" ٤٠٠" بيتا من الشعر الذي هو مجمع على الاستشهاد به عند النحاة. وقد ذكر بضعة أبيات وضمنت للتمثيل أو المعنى، وهو من شعر أبي تمام[٢] والمتنبي[٣] وبعض المولدين[٤]، وضمن كتابه شرح اللمع أكثر من ستين شطرا من الرجز يحتج به للقواعد النحوية.

ينشد غالبا بيت الشعر تاما ومنسوبا لقائله وكذا الرجز، وقد يكتفي بصدر بيت الشعر أو بعجزه دون الاشارة الى قائل [٥].

ومن أمثلة شواهده في موضوع" حاشا" قال:" و أما حاشا في القران فهي فعل، ووزنه" فاعل" لأنه لا يدخل حرف جر على حرف جر. واشتقاقه من (الحشا) وهي الناحية قال [٦]:

يقولُ الذي أمسى الى الحرزِ أهله

بأيَّ الحشا أمسى الخليط المباين[٧]

وأنشد أبو عبيدة:

---

١- شرح اللمع ١٠٢ و ١٤٤ و ٢٧١.

٢- شرح اللمع: ١٤١، ٣٤١.

٣- شرح اللمع: ٣٤٢.

٤- شرح اللمع: ١١٠.

٥- شرح اللمع: ٢٥٦، ٣٨٦، ٥٢٠.

٦- البيت من أبيات المعطل الهذلي وقد ينسب الى مالك بن خالد الهذلي. أنظر ديوان الهذلي ٣/٤٤٥.

٧- المخصص ١٦/ ٢٤ والصاحبي ١٥٣.

حاشى أبي وبان انَّ به ضِنّاً على الملحاةِ والشتمِ[١]

فهي ها هنا حرف جار" [٢].

واستشهد ببيتين من الشعر في موضوع (لام" لو" ولام" لولا") قال:" واختلفوا في اللام التي في جواب (لو) نحو" لو نشاءُ لجعلناهُ حُطاماً" [٣] واللام في جواب "لولا" نحو" ولَولا فضلُ الله عليكُم ورحمتُهُ لاتَّبعتُمُ الشيطانَ إلا قليلا" [٤]. فقيل زائدتان، بدليل سقوطهما من: " لو نشاءُ جَعَلناهُ أُجَاجاً"[٥] وقول عمرو بن معد يكرب [٦]:

فلو أنَّ قومي أنطقتني رماحُهم

نَطقتُ ولكنّ الرماحَ أجرَّتِ[٧]

وقول الثقفي [٨] في بيت الكتاب [٩]:

وكم موقفٍ لولاى طيحتَ كما هوى

بأجرامِهِ من هوّةِ النيقِ منهوي[١٠]

وقيل بل هما لاما القسم، وحذفا كما حذفت اللام في " قَد أفلَحَ مَن زكّاها" [١١]..." [١٢].

---

١- مجاز القرآن ٣١٠/١. والمحتسب ٣٤١/١ وقد ركب أبو عبيدة صدر بيت على عجز آخر من قصيدة الجماح. انظر القصيدة في المفضليات:٣٦٧.

٢- اللمع: ٦٠.

٣- الواقعة: ٦٥.

٤- النساء: ٨٣.

٥- الواقعة: ٧٠.

٦- ديوان عمرو بن معد يكرب صفحة ٤٥.

٧- ديوان الحماسة ١/ ٣٧، وأمالي المرتضى ٢/ ١٨٥، واصلاح المنطق ٢٥٧.

٨- هو يزيد بن الحكم.

٩- الكتاب لسيبويه ١/ ٣٨٨.

١٠- الخصائص / ٢٥٩، والمنصف ٧٢/١، وخزانة الأدب ١/ ٤٩٦.

١١- الشمس: ٩.

١٢- شرح اللمع و ٢٢٠.

ويلاحظ على ابن برهان في شواهده الإكثار من الاستشهاد بالقرآن الكريم كما ترى من هذه الأمثلة المتقدمة. وابن برهان يقدم السماع على القياس فيقول:" فان صحت الرواية عنهم فلا معنى لقياس يعارضها"[١].

وأنتقل الآن للكلام عن موقف ابن بابشاد من الشواهد. يكثر ابن بابشاد من الاستشهاد بالقرآن الكريم وبالقراءات القرآنية.

وموقفه من القراءات القرآنية لا يختلف عن موقف البصريين. وميله الى البصريين واضح. فهو يحتج بالقراءات إذا ما وافقت القياس وأصول البصريين، وإذا ما خالفت القراءة ذلك بدأ بالتأويل أو يشذذ القراءة.

ومن أمثلة ذلك رده على قراءة نافع" إنَّ صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي للهِ رب العالمين" بتسكين الياء من" محياي". فهو يرى أن الساكنين لا يلتقيان الا في الوقف ولذا يوجب تحريك الياء من مثل: فتايَ، و عصايَ، ومغزايَ.

لذلك يرد قراءة ابن نافع بقوله: "فأما قراءة من قرأ (ومحياي)، بإسكان الياء فانه غير مقيس عليها بل قراءة الجماعة أمضى وأشبه بالقياس" [٢].

ومن ذلك أنه يرى" إنَّ" بمعنى نعم في قراءة" إنَّ هذانِ لساحران" فلا يعتبر هذه القراءة دليلا على أن المبتدأ قد يبقى مرفوعا بعد دخول إنَّ [٣].

ويرى ان " أنَّ" المفتوحة المشددة لا يعطف على موضعها بالرفع، وعند توجيهه قراءة:" أنَّ الله بريء من المشركين ورسولُهُ" بفتح أن وضم اللام في كلمة رسوله، يقول:" فأما إيرادهم الآية في قوله عز وجل: أنَّ اللهَ بريء من المشركين ورسولُهُ فانه اذا حسن الظن بمن جوّزه فإنما هو محمول على الرواية بكسر ان ... وليس هناك داع يدعو الى الحمل على موضع" أنَّ" في الآية، لأن في الكلام مندوحة عنه، وهو العطف على المضمر

---

١- شرح اللمع ورقة ٤٠٩.

٢- شرح المقدمة النحوية لابن بابشاد الورقة ١١.

٣- شرح المقدمة النحوية: ورقة ٤٢.

في(بريء) ، لأنه قد سد طول الكلام بالجار والمجرور مسد التأكيد بقوله( من المشركين) ، وطول الكلام يسد كثيرا مسد التأكيد..." [١].

بلغ عدد الآيات الكريمة التي احتج بها ابن بالشاد " ١٦٢"آية. وقد يحتج بأربع آيات بموضع واحد. كما استشهد في آخر فصل الاسم حول " تنوين العوض" فذكر قوله تعالى:" إذا زلزلتِ الارضُ زلزالَها. وأخرجت الأرضُ أثقالَها. وقال الانسانُ مالَها. يومئِذٍ تحدث أخبارَها" [٢].

واستشهد كذلك على جواز الفصل بين أما وجوابها في فصل " الحروف" قال:" قال تعالى:" فأما إن كانَ مِنَ المقرَّبينَ فَرَوْحٌ وريحانٌ وجنَّة نعيمٍ"، وأمَّا إنّ كانَ من أصحابِ اليمينِ. فسلامٌ لكَ من أصحابِ اليمينِ" [٣]."

أما موقفه من الاستشهاد بالحديث الشريف فانه لم يستشهد الا بحديث واحد لم تثبت صحة نسبته الى رسول الله–ﷺ– وهو" ما من أيام أحب الى الله فيها الصوم منه في عشر ذي الحجة" حيث استشهد به على رفع (أفعل) للظاهر [٤].

وأورد حديثين أخرين لا لغرض الاستشهاد بهما بل ليبحث لهما عن تأويل يبطل استدلال مخالفيه على ما يذهب اليه. وهما قوله–ﷺ– " لتأخذوا مصافكم" فقد اعتبر ابن بابشاد دخول اللام على الفعل المراد به المخاطب شاذا. ورجّح أن أصله خذوا مصافكم، ولكنّه جاء على الأصل المتروك زيادة في تأكيد المخاطبة والمواجهة[٥].

والحديث الثاني: " ليس في الخضروات صدقه" في باب جمع المؤنث السالم. فذكر أن المؤنث الممدود مثل حمراء لا يجمع بالألف والتاء إذا كان صفة بل يجمع إذا كان اسما ثم رد الاستشهاد فقال: " فان قيل: فقد

---

١– المصدر السابق ورقة ٣٤.

٢– الزلزلة آية ١، ٢، ٣، ٤.

٣– الواقعة ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١.

٤– شرح المقدمة النحوية ورقة٨٠.

٥– شرح المقدمة النحوية ورقة ٣٨.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ليس في الخضروات صدقه –قيل: الخضروات هنا اسم للبقوليات، ولم يقصد بها قصد الصفة، وانما قصد به قصد الاسم فجرى مجرى طرفاء وطرفاوات" [١].

أما موقف ابن بابشاد من الاستشهاد بالشعر. فان استشهاده به كثيرا فقد استشهد باثنين وأربعين شاهدا منه وشواهده معروفة ومتداولة في كتب النحو، كما ان أصحاب هذه الشواهد، من شعراء عصور الاحتجاج فهم من شعراء الجاهلية والاسلام وعهد بني أمية، وليس بينهم شاعر مولد. ويلاحظ على ابن بابشاد أنه لا ينسب الأبيات الى أصحابها على عادة أكثر النحاة. ومن أمثلة شواهده:

استشهد بعجز بيت لعمرو بن قميئة على جواز الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالظرف قال:" ألا تراهم قد فصلوا بالظرف بين المضاف والمضاف اليه في مثل قولهم:

للهِ درُّ اليومَ مَنْ لامَهَا[٢]

فـ "من لامها" في موضع جر بالإضافة الى "در" وقد فصل بينهما "باليوم" [٣] واستشهد على مجيء "ان" الخفيفة زائدة ببيت فروة بن مسيك المرادي فذكر أنها تكون زائدة، "مثل قولك: ما إن زيد قائم، وكقول الشاعر:

وما إنْ طبُّنا جُبْنٌ ولكن  منايانا ودولة آخرينا[٤]

" أي ما طبنا" [٥]. واستشهد في فصل الحرف على أن "حتى" حرف زائد ببيت أبي مروان النحوي قال[٦]:

---

١- شرح المقدمة النحوية ورقة ٨.

٢- هذا عجز بيت لعمرو بن قميئة، وهو من شواهد سيبويه ٩١/١ والمبرد في المقتضب ٣٧٧/٤ وابن يعيش ٢٠/٣ والبيت في ديوان عمرو:

لما رأت"ساتيدما" استعبرت  لله در اليوم من لامها

وساتيدما: اسم جبل. انظر الخزانة ٢٤٧/٢.

٣- شرح المقدمة النحوية ورقة ٣٣.

٤- قائله فروه بن مسبك المردي أنظر سيرة ابن هشام ٢/ ٥٨٢ وهو من شواهد سيبويه ١/ ٤٧٥ والمغنى ١/ ٢٥.

٥- شرح المقدمة النحوية ورقة ٤١.

٦- شرح المقدمة النحوية ورقة ٧٠.

ألقى الصحيفة كي يخفف رحلَهُ  والزادَ حتى نعلَه ألقاها[١]"

أما موقفه من أقوال العرب وأمثالهم فقد استشهد بأربعة أقوال لهم وهي: استشهاده على أن "إيا" اسم مضمر، فذكر قولهم "إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيَا الشواب" واستشهد على اضمار ان الناصبة بعد الواو بقولهم: " لا تأكل السمك وتشرب اللبن"، واستشهد على تفسير التمييز لشيء مبهم بقولهم: "عليه شعر كليين دينا". واستشهد على أن عسى من أفعال الرجاء تدخل أن على خبرها تقديرا بقول الزباء: "عسى الغوير أبؤسا".

أما موقف التبريزي من الاستشاد بالقرآن الكريم والقراءات القرآنية فانه يكثر من الاستشهاد بها ويقدمها على غيرها ومن شواهده عند اعرابه لبيت سلامة بن جندل:

مما يُقَدَّمُ في الهيجا، إذا كُرِهَتْ  الى الطعانِ، وينجي كلَّ مكروبِ[٢]

قال: و(لما) هذه تكون غير موصوفة ولا موصولة. وفي التنزيل: "فَنِعِمَّا هِيَ" [٣] أي: نعم الشيء هي"[٤].

واستشهد بالقرآن أيضا على جواز مجيء "أم" بدلا أو مفسره لهمزة الاستفهام بـ "أي" ودالة عليها. استشهد بذلك عند شرحه لبيت الجميح:

أمستْ أمُامةُ صَمتْاً، ما تُكلّمُنا  مجنونةٌ، أم أحسَّت أهلَ خرُّوبِ[٥]

قال:" كأنه قال: أهي مجنونة أم أحست؟ على طريف التعجب. ودل على ألف الاستفهام قوله "أم" و "أم" هذه هي البديلة للهمزة ب "أي"... ومثله قوله تعالى: "ألم، تنزيلُ الكتابِ لا ريبَ فيهِ من ربِّ العالمينَ. أم يقولونَ أفتراهُ"[٦].

---

١- شرح الأشموني ٢/ ٢١٤، من شواهد عطف النسق. وينسبه لأبي مروان النحوي والشاهد فيه: حتى نعله، فالمعطوف بها لا يكون الا بعضا وغاية للمعطوف عليه والنعل ليس بعض للذات. انظر الكتاب ٦٥/١، ومغني اللبيب ١١١/١.

٢- شرح اختيارات المفضل للتبريزي ٥٧٩/٢.

٣- البقرة: ٢٧١.

٤- شرح اختيارات المفضل ٥٧٩/٢.

٥- شرح اختيارات المفضل ١٥٢/١.

٦- الآيتان ١و٣ من سورة السجدة.

ونادرا ما يستشهد التبريزي بالحديث الشريف في اللغة أما في النحو فلم أعثر على حديث استشهد به. وقد استشهد بالحديث على المعنى اللغوي لكلمة "القُفُّ" قال: "القف: ما صلب من الأرض واجتمع. وأصل القفوف: الاجتماع ومنه الحديث "قُفَّ منه شعري" أي: اجتمع وتفيض" [١] واستشهد بالحديث أيضا على المعنى اللغوي لكلمة "أُطِر" قال: "ومنه إطار المُنخْلِ، وهو الدائر حوله من الخشب ومنه الحديث: "حتى تأطروهم على الحق أطرا"..."[٢].

واستشهاده بكلام العرب من نثر ومثل نادر أيضا في اللغة ولم أجده يستشهد بذلك في النحو. ومن استشهاده بأقوال العرب في اللغة. استشهد به على كلمة "هَيْدَكُر" قال:"وهَيْدَكُر": مترجرجة، من قولهم: مَرَّتِ المرأةُ تُهَدْكِرُ، أي: " تترجرج"[٣].

أما موقف التبريزي من الاستشهاد بالشعر فانه يستشهد بشعر عصر الاحتجاج وبغيره في النحو واللغة ومثال ذلك استشهاده ببيت أبي تمام الأسدي على أن" المشقر" يعني الألمع، قال:" وقال ابن الأعرابي: أراد بالمشقر الألمع"، فلما حذف الألف واللام من الصفة نصب الحال، ويقال: المع يلمع، شبهه بالسراب. وإذا كان صاحبك كذلك قيل: انما أنت يلمع وألمع قال: وأنشد في أبو تمام الأسدي[٤]:

إذا ما ذكرتُ الودَّ بيني وبينَها  تَولَّت وقالت: إنما أنتَ يَلْمَعُ

ومن شواهده الشعرية في النحو، استشهد ببيت امرئ القيس على واو "رب" للعطف، وأنها تجر بإضمار "رب" "بدلالة أنه يجوز أن يؤتى بدله بالفاء. على هذا قوله:

فمثلكِ حُبلى، قد طَرقتُ، ومرضع  فألهيتُها عن ذي تمائمِ، مُحولِ[٥]

واستشهد ببيت النابغة على مجيء "الا" بمعنى "غير" قال النابغة:

---

١- شرح اختيارات المفضل: ٣٣٥/١.

٢- المصدر السابق: ٤٠١/١.

٣- المصدر السابق: ٤٣٣/١.

٤- اعرابي فصيح، يروي عنه ابن الاعرابي اللغة والغريب- اصلاح المنطق صفحة ٣١٨ وأضداد ابن السكيت صفحة ١٧١.

٥- ديوان امرئ القيس صفحة ١٢ وشرح اختيارات المفضل للتبريزي ١٢٦/١.

وقفت فيها أُصيلا كي أسائِلَها عَيَّتْ جوابا وما بالربع من أحدِ

إلاّ الأواريُّ لأيا ما أُبَيِّنُهُا والنؤي كالحوضِ بالمظلومةِ الجلدِ[١]

واستشهد ببيت جرير بإعراب "نفسي فداؤك" من بيت تأبط شرا قال فيه:

يَسري على الأيْنِ والحَيّاتِ مُحتفياً نفسي فِداؤك، مِن سارٍ على ساقِ[٢]

قال التبريزي: "وقوله: "نفسي فِداؤك" كلام مستأنف جار مجرى الالتفاف. ومثله قول جرير:

متى كان الخيام بذي طلوحٍ؟ سُقيت الغيثِ، أَيتها الخيامُ[٣]

من خلال دراسة مواقف هؤلاء، النحاة الثلاثة من الاستشهاد بالقرآن الكريم والقراءات والحديث الشريف وأقوال العرب من شعر ونثر، اتضح أن لكل من هؤلاء النحاة موقفه الخاص تجاه الشواهد. وهناك اتجاه عام يجمع هؤلاء النحاة وغيرهم ويوحد موقفهم. فالقرآن الكريم يعد أعلى نص عربي فصيح فهو بذلك المصدر الأول للأحكام النحوية واللغوية. غير أن النحاة البصريين اقتصروا على الاستشهاد به بما وافق أصولهم وأقيستهم "فما وافق منها أصولهم، ولو بالتأويل قبلوه، وما أباها رفضوا الاحتجاج به"[٤]. وإذا لم يتمكنوا من التأويل شذّذوا القراءة وضعفوها. أو لحّنوها واتهموا القراء بالوهم الى غير ذلك من أساليب توهين النص "وهذا الأمر ليس

---

١- ورواية البيت الأول في البيتان ٣/ ٣٢٧ هي:

وقفت فيها أصيلا لاً أسائلها

أما البيت الثاني فروايته في التبيان ٣٢٧/٣ وهي:

الا الأواري لأيا ما أبينُها

وهناك رواية أخرى في التبيان للبيت الأول ٤٤/١ وهي:

وقفت فيها أصيلاً كي أسائلَها

٢- شرح اختيارات المفضل ٩٨/١.

٣- البيت مطلع قصيدة لجرير في ديوانه صفحة ٥١٢.

٤- مدرسة الكوفة-د. مهدي المخزومي- صفحة ١١١- ط٢- القاهرة سنة ١٩٥٨م.

مقصورا على القراءات الشاذة والضعيفة، وانما يقفون هذا الموقف من القراءات الصحيحة المعتمدة المتواترة، التي رواها جمع غفير يستحيل تواطؤ أمثالهم على الكذب"[١]

ولم يقتصر هذا الأمر على نحاة البصرة بل تطاير شرره الى بعض نحاة الكوفة، "وقد كان للمازني أستاذ المبرد نصيب موفور في قيادة هذه الحملة، وقد اقتدى به تلميذه"[٢].

وبعد هذا العرض لموقف البصريين من الاستشهاد بالقرآن الكريم. أجد أن نحاة القرن الخامس الهجري، وقفوا موقفا يؤثر عليه اتجاهان: أحدهما: يدفعهم لمتابعة موقف نحاة البصرة–المتقدم الذكر– واتجاه آخر يدفعهم أن يعتدلوا في موقفهم ازاء القراءات، فيأخذوا بها وان خالفت أقيستهم واتجاههم النحوي.

فموقف ابن بابشاد مثلا هو نفس موقف البصريين. أما موقف التبريزي فانه معتدل في موقفه. في حين وقف ابن برهان موقفا خاصا، فبالرغم من كونه من أكابر أئمة البصريين كما يعده أبو البركات الأنباري [٣]. أجده خالف البصريين في موقفهم بالاستشهاد بالقراءات. حيث انه يقدم السماع على القياس، وان خالف السماع القياس. قال:" فان صحّت الرواية عنهم فلا معنى لقياس يعارضها"[٤].

أما موقف هؤلاء النحاة من الاستشهاد بالحديث الشريف فتبين من دراسة شواهدهم أن التبريزي وابن بابشاد يجيزان الاستشهاد بالحديث الشريف، وقد استشهدوا به فعلا– كما اتضح من عرض شواهدهم–. ولم يستشهد به ابن برهان بحجة أنه مروي بالمعنى لا باللفظ الا أنه لو صحت الرواية عند ابن برهان فلا مانع عنده من الاستشهاد به– وسيأتي الكلام عن هذا الموضوع عند عرض موقف الطوسي من الاستشهاد بالحديث الشريف ان شاء الله تعالى– وموقف هؤلاء النحاة واحد من الاستشهاد بشعر العرب. فكلهم يستشهدون به، ويشترطون للاحتجاج به كونه من شعر عصر الاحتجاج– الشعر الجاهلي– وصدر الاسلام وعهد الدولة

---

١– أبو البركات الأنباري ودراساته النحوية ٢٠٨.

٢– مقدمة المقتضب لمحمد عبد الخالق عظيمة صفحة ١١١– وان عد هذا نادرا عند القراء.

٣– الانصاف– ٥١٣.

٤– شرح اللمع صفحة٤٠٩.

الأموية–. واستشهدوا جميعهم بأقوال العرب وأمثالهم الا أن ذلك بقلة جدا ما عدا ابن برهان فانه أكثر الاستشهاد بالأمثال.

## ٢. منهجيته في التأليف:

اتسمت المنهجية في التأليف خلال القرن الخامس الهجري بسمة التنظيم والتبويب والتنسيق، ولدى دراسة منهجية أي مؤلف من تصانيف مؤلفي هذا القرن، تبدو هذه الظاهرة واضحة– حيث أن تصانيف العلماء، قبل ذلك، وخاصة قبيل منتصف القرن الرابع الهجري، كانت تفتقر الى الترتيب والتنسيق وحتى تبويبها يعوزه الكثير من الدقة.

وكان التأليف آنذاك مختلطا، فقد يخلط المفسر الحديث بالتفسير اثناء كتاب للتفسير أو يحدث العكس، ويمزج المؤلف النحو باللغة وهكذا. الا أنه في بداية القرن الرابع الهجري بل وأواخر الثالث الهجري بدأت فكرة التنظيم لهذه الأمور. وتطورت تدريجيا الى ان نضجت في اواخر القرن الرابع الهجري. وفي عصر الطوسي بدأت هذه الظاهرة تنمو وتكتمل أكثر وأكثر. لذا فان المنهج الذي سلكه الطوسي في التأليف لم يكن نتاج جهوده وحده، بل مجموعة جهود من سبقه من المصنفين. بيد أن الطوسي أضاف الى من سبقه أمورا جديدة– وهذه سنة التطور في الحياة– بل وقدم نقدا موضوعيا لمنهجية من سبقه من المؤلفين. لذا فقد اتسمت منهجية الطوسي بسمات تستحق الدراسة ويمكن تناول مميزات منهجه في تفسير التبيان على النحو الآتي:

### *أولا: مقدمته:*

تميزت مقدمة الطوسي لتفسيره التبيان بعدة أمور، تستحق الدراسة مفصلا.

فالطوسي بدأ مقدمته بالبسملة ثم حمد الله تعالى واثنى عليه وصلى على رسوله محمد– صلى الله عليه وآله وسلم– وعلى آله، ثم بين السبب الذي حمله للشروع في عمل الكتاب "التبيان في تفسير القرآن" فقال: "ان الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب، أني لم أجد أحدا من أصحابنا– قديما وحديثا– من عمل كتابا يحتوي على تفسير جميع القرآن، ويشتمل على فنون معانيه" [١]. ثم انتقد منهج من سبقه من المفسرين فذكر بأن تفاسيرهم كانت مقتصره فيما يروى وينقل من الكتب المروية في الحديث وأنها لم تستوف جميع علوم القرآن وما يحتاج اليه.

---

١– الطوسي–البيان – جزء ١ صفحة ١.

وواصل نقده لمن سبقه: "فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الأمة، بين مطيل في جميع معانيه، واستيعاب ما قيل فيه من فنونه- كالطبري وغيره- وبين مقصر اقتصر على ذكر غريبه، ومعاني ألفاظه. وسلك الباقون المتوسطون في ذلك مسلك ما قويت فيه منّتهم[١] وتركوا ما لا معرفة لهم به"[٢].

ثم أخذ يذكر أمثلة لبعض المفسرين ممن توسعوا في جانب من جوانب التفسير وتركوا بقية جوانبه فقال:" فان الزجاج والفراء ومن أشبههما من النحويين، أفرغوا وسعهم فيما يتعلق بالإعراب والتصريف. والمفضل بن سلمة وغيره، استكثروا من علم اللغة، واشتقاق الألفاظ، والمتكلمين- كأبي علي الجبائي وغيره- صرفوا همتهم الى ما يتعلق بالمعاني الكلامية. ومنهم من أضاف الى ذلك، الكلام في فنون علمه، فادخل فيه ما لا يليق به، من بسط فروع الفقه، واختلاف الفقهاء-كالبلخي وغيره-"[٣].

ثم اثنى على بعض المفسرين في منهجهم لاقتصادهم بين الاطالة والايجاز فقال" وأصلح من سلك في ذلك مسلكا جميلا مقتصدا، محمد بن بحر، أبو مسلم الاصفهاني، وعلي بن عيسى الرماني، فان كتابيهما أصلح ما صُنّف في هذا المعنى" [٤]. ثم انتقد هذين الاخيرين بأنهما أوردا كثيرا مما لا حاجة به.

وبعد ملاحظاته ونقده لهؤلاء المفسرين، أورد الطوسي سببا آخر دعاه الى تأليف هذا الكتاب، وأورد في هذا السبب ما ينبغي أن يذكره من الموضوعات في تفسيره، وكأنه لخص أبواب الكتاب في ذكره لهذا السبب فقال:" وسمعت جماعة من اصحابنا قديما وحديثا، يرغبون في كتاب مقتصد على جميع فنون علم القران، من القراءة، والمعاني والاعراب، والكلام على المتشابه، والجواب عن مطاعن الملحدين فيه، وأنواع المبطلين كالمجبرة، والمشبهة والمجسمة وغيرهم، وذكر ما يختص اصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه على صحة مذاهبهم في أصول الديانات وفروعها" [٥].

---

١- المنة: القوة والكلمة من الاضداد.

٢- التبيان جزء ١ صفحة ١.

٣- المصدر السابق صفحة ١.

٤- المصدر السابق صفحة ٢.

٥- التبيان جزء ١ صفحة٢.

ففي هذه النبذه القصيرة بين–كما هو موضح– ما ينبغي أن يحتوي عليه التفسير من مباحث وموضوعات وعلوم وفنون.

ثم بين منهجه في التفسير من حيث الاطالة والايجاز فقال:" وأنا إن شاء الله تعالى، أشرع في ذلك على وجه الايجاز والاختصار لكل فنّ من فنونه، ولا أطيل فيمله الناظر فيه، ولا أختصر اختصارا يقصر فهمه عن معانيه" [١].

بعد ذلك، عقب الطوسي مقدمته بفصل صدّره بهذا العنوان "في ذكر جمل لابد من معرفتها قبل الشروع في تفسير القرآن". ثم بين في هذا الفصل اعجاز القران، ووجوب التمسك به، وعدم جواز القول بالزيادة أو النقيصة فيه [٢]، ثم قسّم المعاني الى أربعة أقسام– ما اختص الله تعالى بالعلم به–و– ما كان ظاهره مطابقا لمعناه– وما هو مجمل –و– ما كان اللفظ مشتركا بين معنيين فما زاد عنهما – وتَحدّث بإيجاز عن كل قسم منها[٣]، أردف ذلك ببيان المراد من الاحرف السبعة، وأنواع المنسوخ [٤].

وعقب هذا الفصل بفصل آخر صدره بهذا العنوان "في ذكر أسامي القرآن، وتسمية السور والآيات"[٥].

فذكر أسماء القرآن الكريم وسوره وبعض آياته مستشهدا بالقرآن والشعر العربي ثم ابتدأ بتفسير سورة الفاتحة وشرح قبلها الاستعاذة وما روي فيها واعرابها [٦].

---

١– المصدر السابق والصفحة.

٢– التبيان–١/٣.

٣– التبيان– ١/٥–٧.

٤– التبيان–١/ ٧–٩.

٥– التبيان– ١/١٧.

٦– التبيان– ١/٢٢.

### ثانيا: منهجه في تناول السور والآيات:

يتناول الطوسي سور القرآن الكريم بالتفسير واحدة واحدة، على ترتيبها بالمصحف الشريف. ابتداء بسورة الفاتحة وانتهاء بسورة الناس وعند ذكره اسم السورة يذكر بعدها مباشرة عدد آياتها على الحساب الكوفي والبصري والمدني.

ولا يذكر السورة بأكملها ابتداء، بل يتناول آية آية، وأحيانا يأخذ كل آيتين او ثلاث سويْة وخاصة في الآيات القصار. فيذكر الآيات بعد ذكر اسم السورة وعدد آياتها، مكتوبة كرسمها بالمصحف وبعد ذكر الآيات يذكر عددها أيضا.

فمثلا ذكر سورة "آل عمران" ثم قال "مائتا آية في الكوفي" [١] ثم بدأ بالبسملة وذكر ما بعدها من الآيات "ألم (١) الله لا اله الا هو الحي القيوم (٢)" ثم عقب ذلك بذكر عدد الآية بقوله: "آيتان في الكوفي وآية واحدة فيما عداه" [٢].

بعد ذلك يبدأ بتفسير الآية أو الآيات فيبدأ أولا بالقراءة فيورد الخلاف في القراءات، ثم يوجه كل قراءة، ويشير الى القراءات الشاذة ويوجهها أيضا [٣].

ويرجح أحيانا كثيرة بعض القراءات على بعضها، وترجيحاته متنوعة فغالبا ما يتابع الجمهور، أو يرجحها لمطابقتها لخط المصحف[٤]، أو لدليل نحوي [٥] أو صرفي [٦]، أو لهجي [٧]. أو حيث يدور المعنى [٨]، وهو

---

١- التبيان ٣٨٩/٢.

٢- المصدر السابق والصفحة.

٣- التبيان جزء صفحة ٢٤٠.

٤- التبيان- ٨/ ٣١٧، ١٩٠/٢.

٥- التبيان- ٤٥٢/٧.

٦- التبيان- ١١٩/٧.

٧- التبيان- ٣٩٠/٨.

٨- التبيان- ٢٤٠/٨.

في كل ذلك يعلل ويستشهد ويرجح ويشذذ بعض القراءات ويذكر موارد الامالة [١]، و الادغام [٢] والوقف [٣] في القراءات، وأوزان الكلمات الى غير ذلك. وإذا تكررت قراءة قد سبقت بآية كريمة مشابهة أشار الى ذلك ولم يعد التوجيه، وسأذكر ان شاء الله تعالى في موضوع القراءات من هذه الرسالة تفصيلا لهذه الامور. ولا بأس هنا بإيراد بعض الأمثلة. فمن ترجيحه لدليل صرفي قال: "قرأ أهل الكوفة "أن يكون لهم الخيرة من أمرهم"[٤] بالياء، لأن التأنيث غير حقيقي. الباقون بالتاء لتأنيث النسوة. والخيرة جمع خير وحكى خيرة بفتح الياء وسكونها. وقرأ عاصم "وخاتم" [٥] بفتح التاء، الباقون بكسرها وهو الأقوى لأنه مشتق من ختم، فهو خاتم" [٦].

ومن توجيهه القراءة حسب اللغات، قراءة "وَلقد صَدَّقَ عليهم إبليسُ ظَنَّه"[٧].

قال "وقرأ أهل الكوفة (ولقد صدّق) بتشديد الدال. الباقون بتخفيفها..... فمن شدد(صدق) اسند الفعل الى ابليس وجعل الظن المفعول به، لأن ابليس لما قال تظننا "ولأمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ"[٨] فلما تبعه قوم على ذلك صدق ظنه. ومن خفف فالمعنى مثله، لأنهما لغتان يقال: صَدَقتُ زيدا وصدَّقتهُ، وكَذَبتهُ وكَذَّبْتُه وينشد [٩]:

وصدقتني وكذبتنيوالمرء ينفعه كذابه[١٠]

---

١- التبيان- ١٠٩/٤.

٢- التبيان- ٥٧٧/٢.

٣- التبيان- ٣٢/٢.

٤- الاحزاب-٣٦.

٥- الاحزاب-٤٠.

٦- التبيان- ٣٤٣/٨.

٧- سبأ- ٢٠.

٨- النساء- ١١٨.

٩- التبيان- ٣٨٨/٨ -٣٩٠.

١٠- قائله الأعشى- اللسان(صدق). والكامل للمبرد ٣٥٦، شرح مفصل لابن يعيش ٤٤/٦- سقط من قصيدته التي في ديوانه.

وبعد ايراد القراءة يبدأ الطوسي بالإعراب [١]، وأحيانا يبدأ باللغة [٢] وقد يمزجهما في عنوان واحد [٣]، وقد يمزج القراءة والحجة بعنوان واحد [٤] وأحيانا يمزج المعنى والاعراب بعنوان واحد [٥].

وعلى نهج الطوسي الغالب في تفسيره يبدأ باللغة بعد القراءة [٦]، فيبين أصول الكلمات والدلالة والصيغ، ويتوسع كثيرا في الاشتقاق ويذكر آراء كبار اللغويين كأبي عبيده والخليل ناقلا عن كتابه العين[٧].

ويشير الى لغات القبائل [٨]، وعند بيان مشتقات الكلمة يقلّب الكلمة على مختلف وجوهها فعند تفسيره اللغوي لقوله تعالى: "ولا يزالون"[٩] قال:

"فالزوال: العدول. ولا يزال موجودا، وما زال: أي ما دام، وزال الشيء عن مكانه يزول زوالا، وأزَلْتُه عنه، وزُلْتُه، وزالت الشمسُ، زوالا، وزيالا، وزالت الخيلُ بركبانها زيالا، ورجلٌ زول، وامرأةٌ زولة، وهو الظريف الركبين وأصل الباب الزوال" [١٠].

وقال في التفسير اللغوي لقوله تعالى: "نجيناكم": "فالنجاة، والسلامة، والاسعاد، والتخلص نظائر. وضد النجاة الهلاك، تقول: نجا ينجو نجاة. وأنجاه الله: انجاه. ونجاة تنجية، وأنتجوا انتجاء، واستنجى: استنجاء، وتناجوا تناجيا. قال صاحب العين: ينجا ينجو نجاة، في السرعة فهو ناج: أي سريع. وناقة ناجية أي سريعة. وتقول نجوت فلانا أي: استنكهته. قال الشاعر:

---

١- التبيان- ٤٦٢/٢.

٢- التبيان- ٣٦٣/٢.

٣- التبيان- ٤٤٥/٢.

٤- التبيان- ٤٦٦/٢.

٥- التبيان نفس الجزء والصفحة.

٦- انظر التبيان /٥، ٤٠، ٨٣، ١١٢.

٧- انظر التبيان- ٣٦٦/٦٢/٢، ٣٨٠، ١٢١/٢، ٥٦٥، ٥٦/٤.

٨- التبيان- ٢٦٦/١، ٢٧١، ٢٧٥، ١١/٢، ٣٥٦، ٤٣٨، ٧٦/٢، ١٨٤، ٦-٥، ٣٩٠/٨، ٢٧٣/٩، ٣٥/١٠.

٩- البقرة: ٢١٧.

١٠- التبيان- ٢٠٨/٢.

نجوتُ مجالداً فوجدْتُ منهُ كريحِ الكلبِ مات حديثَ عهدِ

ونجا بنو فلان..."ويستمر الطوسي ما يقارب نصف صفحة أخرى مبينا مشتقات هذه الكلمة ومعاني أخرى لها، مقلبا إياها على مختلف وجوهها وأخيرا يذكر أصل الباب فيقول: "وأصل الباب: النجوة وهي الارتفاع" [١].

وبعد أن يورد الطوسي اللغة فانه غالبا ينتقل الى الاعراب فيبين ما أشكل اعرابه، وما اختلف فيه، فيورد آراء النحويين في الاعراب [٢].

ويعطي رأيه أحيانا [٣] أو يرجح بعضها [٤] وغالبا ما يترك الترجيح للقارئ [٥] ويذكر في أثناء ذلك حجج النحويين وشواهدهم، وأغلبها لكبار النحويين أمثال الخليل[٦] وسيبويه[٧] والكسائي[٨] والفراء[٩] والاخفش[١٠] والمبرد[١١] وغيرهم.

---

١- التبيان- ٢١٨/١.

٢- التبيان- ٣٠/٢، ٣٤، ٦٣، ٢٨٦، ٥٧٣، ١٧٨/٤، ٢١٢.

٣- التبيان- ٨٨/٣، ١٣٥، ١٣٧، ٢٦٦، ٣٧١، ١٩٤،٣/٤، ٢٠٥، ٢٤٣، ٢٨١.

٤- التبيان- ٥٤/٣، ١٥٤، ٤٤١، ٢١٠/٤، ٢٧٨، ٣٥٢، ٤٧٢.

٥- التبيان- ٣٧١/٣، ٥٢٢.

٦- التبيان- ٣٣٥/٣، ٥٢٢، ٤٩/٤، ٢٢٧/٢.

٧- التبيان- ٢٢٧/٢، ٢٤٩، ٤٢٨.

٨- التبيان- ٢٦٣/٢، ٤٨٩، ٤٩٦.

٩- التبيان- ٢٠٥/٢، ٢٦٣.

١٠- التبيان- ٢٦٢/٢.

١١- التبيان- ٢٨/٢، ٢٦٢.

ويذكر الخلاف بين البصريين والكوفيين [١]، والخلاف بين البصريين[٢] أنفسهم، ويستشهد على أحكامه النحوية بالقرآن الكريم[٣] والقراءات[٤] ونادرا ما يستشهد بالحديث الشريف وأغلب شواهده من أشعار[٥] العرب عصر الاحتجاج- شعراء الجاهلية والاسلام وعصر الدولة الأموية- وقلما يستشهد بمثل أو قول.

وبعد ذكره للإعراب يورد أسباب النزول أو القصّة إن وجدا يعقب ذلك بالمعنى غالبا. ومنهجه في عرض معاني الآيات ان يجزّئ الآية ويبدأ بإعطاء معنى كل جزء على حده ثم يتبعه بالجزء الذي يليه ثم الذي يليه الى آخر الآية.

وهو في أثناء ذلك يبين آراء المفسرين ويقدم الحديث النبوي الشريف ان وجد ثم ما ورد عن أهل البيت -عليهم السلام- وآراء الصحابة ويتبع ذلك بآراء المفسرين. وبعد ايراده للآراء يذكر رأيه أو يرجح بعض ما عرضه من الآراء.

وهو في كل هذا، يقارن ويعلل ويناقش ويوازن مستشهدا على المعنى بآيات أخرى أو مستدلا عليها بأدلة عقلية، مفندا ومصوبا وقد يستنبط من خلال تفسيره للآية حكما شرعيا ويسهب في ذلك إذا ما تعلقت المسألة بقضية مذهبية. فيشبع المسألة بحثا من كل جوانبها وغالبا ما يحيل على كتبه الاخرى خوف الاطالة فعند تفسير قوله تعالى" ولَكُمْ نِصْفُ ما تَرَكَ أزواجُكُمْ"[٦] يفسر ذلك باختصار ثم يلفت نظر القارئ الى كتابيه "النهاية" و" المبسوط" في الفقه بقوله "ومسائل المواريث وفروعها بسطناها في النهاية والمبسوط لا نطيل بذكرها في الكتاب"[٧].

---

١- التبيان- ١٢٠/١، ٣٨٥، ٢٧/٢، ١٩/٣، ٤٨٠، ٤٨/٤.

٢- التبيان- ٢٠٧/١، ٣٥٩.

٣- التبيان- ٤٧٣/٢، ١٣/٣، ٢٣، ٢٧، ٦١/٤.

٤- التبيان- ١٦٣/٧، ١٨٤.

٥- التبيان- ٣٤٢/١، ٣٠٧، ٩٨/٢، ٣٤٥/٤، ٢٩/٦.

٦- النساء: ١٢.

٧- التبيان- ١٣٧/٣.

وكثيراً ما يستدل الطوسي على تفسير آية بتفسير آية أخرى حيث ان القرآن في نظر الطوسي وحدة مترابطة يفسر بعضه بعضا، واجتماع عدة آيات تدور في نفس الموضوع، تسلط الاضواء على مراد الله تعالى في الحكم أو المعنى بشكل أدق.

لذا فان الطوسي عند تفسيره لقوله تعالى "وإنَّ مِنْها لَمَا يَهُبِطُ من خَشْيَةِ اللهِ"[١] قال: "أي عندما يحدث فيها من الآية الهائلة: كالزلزال وغيرها، وأضاف الخشية الى الحجارة. وان كانت جمادا على مجاز اللغة والتشبيه. والمعنى في خشوع الحجارة أنه يظهر فيها ما لو ظهر في حي مختار قادر، لكان بذلك خاشعا، وهو ما يرى من حالها. وإنها منصرفة لامتناع عندها مما يراد بها. وهو كقوله: "جِدَارا يُرِيدُ أَنْ يَنقضَّ"[٢] لأن ما ظهر فيه من الميلان، لو ظهر من حي لدل على انه يريد أّنْ يَنقَضَّ، ليس ان الجدار يريد شيئا في الحقيقة ومثله "وإنْ منْ شيءٍ الاّ يسبّحُ بحمدِهِ"[٣] وقوله: "أَلَمْ ترَ أنّ اللهَ يسجدُ لهُ منْ في السمواتِ ومنْ في الأرضِ والشمسُ والقمرُ والنجومُ والجبالُ والشجرُ والدوابُّ وكثيرٌ منَ الناسِ"[٤] وقوله "والنجْمُ والشجرُ يسجدانِ"[٥]. وقال زيد الخيل:

بجمعٍ تظلُّ البلقُ في حجراتِهِ  ترى الاكمَ فيه سجّداً للحوافرِ

فجعل ما ظهر في الاكم من آثار الحوافر، وقلة امتناعها عليها، ومرافعتها لها كما يدافع الحجر الصلب الحديد سجودا لها" [٦]. ويستمر الطوسي في ايراد هذه الشواهد من الآيات ومن الشعر في توضيح المعنى المطلوب. ثم يتناول جزءا آخر من الآية قال "وقوله:" وما اللهِ بغافلٍ عمّا تعملون"[٧] فيبدأ بتفسيرها وهكذا.

---

١- البقرة- ٧٤.

٢- الكهف- ٧٨.

٣- الاسراء- ٤٤.

٤- الحج- ١٨.

٥- الرحمن- ٦.

٦- التبيان- ٣١١/١.

٧- البقرة- ٧٤.

وأحيانا يمزج الطوسي اللغة بالمعنى، بل قد يمزج بكل عنوان من العناوين التالية بالآخر تحت عنوان واحد "القراءة، الحجة، اللغة، الاعراب، المعنى، أسباب النزول". أما الأجزاء السبعة التالية لها فخالية من العناوين، الا أنه يورد تفسير الآية بنفس النهج ويذكر هذه الموضوعات لها ممتزجة بدون عنوان يميز بعضها عن بعض.

وأحيانا يسهب الطوسي كثيرا في أثناء عرضه لبعض مسائل القراءات أو اللغة أو النحو والمعنى، فقد يستوعب عرض بعض هذه الموضوعات صفحتين أو ثلاث صفحات فمن ذلك. تفسيره لقوله تعالى: "وحَسِبُوا ألاّ تكونَ فتنةُ"[١]. توسع في موضوع نصب "أنْ" للفعل المضارع بما يقارب أربع صفحات عارضا فيها آراء كبار النحويين[٢]. وأحيانا أخرى يوجز في العرض الى حد لا يستوعب فيه المعنى المطلوب

أ- وعند اعرابه لقوله تعالى: "ليبيّن لَكُمْ"[٣] يسهب في اعراب اللام من قوله تعالى: "ليبين" بما يقارب من صفحتين يورد في أثناء ذلك آراء الكوفيين والبصريين ويستشهد مستطردا ببعض الشواهد من القرآن الكريم والشعر حتى يصل للنتيجة[٤].

ب- وفي اسهابه في اللغة عند تفسيره المعنى اللغوي للكلمة "بطن" من قوله تعالى: "ما يَأكُلونَ في بطونِهَمْ الاّ النَّارَ"[٥] قال: "والبطن: خلاف الظهر. والبطن الغامض في الأرض. والبطن من العرب: دون القبيلة. وعرفت هذا الأمر ظاهرة، وباطنه أي سره وعلانيته. ورجلٌ بطينٌ: عظيمُ البطنِ. ومبطنٌ خميصُ البطنِ. وفلانٌ بطانتي دونَ اخواني. أي الذي أبطنُهُ أمري. واستبطنْتُ أمرَ فلان: إذا وقعت على دخلتِهِ. ويقال في

---

١- المائدة- ٧٢.

٢- التبيان- ٣/٥٩٦.

٣- النساء- ٢٦.

٤- التبيان- ٣/١٧٣.

٥- البقرة- ١٧٤.

المثلِ: البطنةُ تذهبُ الفطنةَ، وبَطَنَ الشيءَ بطونا إذا غمض. والبطانُ حزام الرحلِ. والبطين: نجْمٌ وهو بطْنُ الحملِ. وأصل الباب: البطون: خلاف الظهور"[١].

***ثالثا: منهجيته في ايراد أقوال المفسرين واللغويين والنحاة:***

يكثر الطوسي من ايراد أقوال المفسرين واللغويين والنحويين، ولهذا فان تفسيره يعتبر موسوعيا جامعا لمختلف آراء العلماء في هذا الفن وكأنه جامع لعدة تفاسير، بطريقة موجزة، وهو يهتم اهتماما كبيرا بنقل النصوص.

وللطوسي طرق مختلفة في التعامل مع النصوص التي ينقلها، فأحيانا كثيرة ينقل النصوص بعين لفظها[٢]، وأحيانا أخرى ينقلها بالمعنى[٣]، وقد ينقل نصا ولا يكمله بألفاظ ذلك النص بل يكمله بتعبيره هو[٤]، وكثيرا ما يذكر النص ولا ينسبه الى صاحبه مكتفيا بقوله "وقيل...."[٥] أو "وقال بعضهم...."[٦] أو يذكر عدة آراء في اللغة أو المعنى بدون نسبة الآراء لأصحابها كأن يقول: "ولإعراب...." وجوه " ثم يعددّ تلك الوجوه"[٧]، أو يذكر "احتمالين" أو "ثلاثة احتمالات" وهكذا.

وأهم المصادر التي اعتمدها الطوسي في تفسيره، وغالبا ما ينقل عنها هي: كتاب معاني القران لابي زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفّى سنة ٢٠٧هـ [٨]. وكتاب معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط المتوفّى سنة ٢١٠هـ [٩]. وكتاب مجاز القران لأبي عبيدة معمر ابن

---

١- التبيان- ٨٩/٢.

٢- التبيان- ٣٤٢/٤.

٣- التبيان- ٧٧/٨- ٧٨.

٤- التبيان- ٨/ ٢٨٠.

٥- التبيان- ٢٣٦/٢.

٦- التبيان- ٤٩٥/٢.

٧- التبيان- ٥٧٦/٢.

٨- أبو الطيب: مراتب النحويين: صفحة ١٤١.

٩- الداودي- طبقات المفسرين- ١٨٦/١، السيوطي بغية الوعاة- ٥٩٠/١.

المثنى التيمي المتوفّى سنة ٢١٠هـ[١]. وكتاب ضياء القلوب في معاني القرآن لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم النحوي اللغوي الكوفي المتوفّى سنة ٣٠٠هـ. وكتاب معاني القرآن لأبي اسحاق ابراهيم بن السري الملقب بالزجاج المتوفّى سنة ٣١٠هـ[٢].

وأهم هذه الكتب الخمسة التي اعتمدها الطوسي، هو كتاب معاني القرآن للفراء حيث نقل عنه كثيرا من النصوص المتعلقة بالتفسير والقراءات واللغة والنحو. ونقل قليلا عن كتاب ضياء القلوب للمفضل. وتحتل الكتب الثلاثة الأخرى المرتبة الثانية في نقولات الطوسي.

فمما نقله عن معاني القرآن للفراء ولم يختلف النص في كلا الكتابين ذكره، في تفسير قوله تعالى: "كتابٌ أُنزِلَ اليكَ فلا يَكُنْ في صدرِكَ حَرَجٌ منهُ لتنذرَ بِهِ وَذِكْرى لِلْمؤمنينَ"[٣]. وقال:" وقيل في معنى الحرج في الآية ثلاثة أقوال:".... الثالث– قال الفراء: لا يضيق صدرك بأن يكذبوك، كما قال عز وجل:" فلعلّكَ باخعٌ نَفسكَ على آثارِهِمِ إنْ لَمْ يؤمنوا بِهَذا الحديثِ أسَفا"[٤]. فالنص المتقدم بعينه مذكور في معاني القرآن للفراء.

وقد يختلف النصّان في اللفظ ويتفقان في المعنى، فعند تفسيره لقوله تعالى" فلمّا رآهَا تَهْتَزَّ كأَنّها جانٌّ ولّى مُدبِرا وَلَمْ يُعقِّبْ"[٥]."

قال الطوسي: "فلما رآها تهتز كأنها جان وهي الحية الصغيرة، مشتق من الاجتنان وهو الاستتار. وقال الفراء: هي حية بين الصغيرة والكبيرة"[٦].

ونص الفراء في معاني القران هو:" الجان: الحية التي ليست بالعظيمة ولا الصغيرة"[٧].

---

١– الزبيدي– طبقات النحويين واللغويين ص ٧٨.

٢– محمد الطنطاوي– نشأة النحو– ص ١٧٣.

٣– الاعراف– ٢.

٤– التبيان– ٣٤٢/٤– ومعاني القرآن للفراء ٣٧٠/١. والآية: الكهف:٦.

٥– النمل– ١٠.

٦– التبيان– ٧٧/٨–٧٨.

٧– الفراء– معاني القرآن– ٢٧٢/٢.

واتبع الطوسي نفس هذا النهج مع بقية النصوص المنقولة من المصادر الأخرى.

وبعض ما نسبه الطوسي لأبي عبيده، لم أعثر عليه في كتابه مجاز القرآن، فعندما وجه الطوسي قراءة "ننسخ" من قوله تعالى "ما نَنْسخُ مِنْ آيةٍ أو نُنسِها نأتِ بخيرٍ مِنْها أو مِثلِها"[١]. قال:" من قرأ بضم النون وكسر السين فانه يحتمل أمرين: أحدهما: قال أبو عبيده: ما ننسخك يا محمد. يقال: نسخت الكتاب وأنسخه غيري"[٢].

ولم أعثر على هذا التوجيه لأبي عبيده في المجاز، وقد وجه ابن خالويه هذه القراءة بقوله: "ما ننسخك يا محمد من آية، كقولك نسخت زيدا الكتاب"[٣].

وهذا يعني ان هناك نصوصا من مجاز القرآن لابي عبيده لم تصلنا بعد.

وأفاد الطوسي في التفسير اللغوي لبعض الألفاظ من كتاب ضياء القلوب في معاني القرآن للمفضل ومن نقولاته عنه قال في تفسير قوله تعالى: "وبشّر الذين آمَنوا وعَمِلوا الصالحاتِ أَنَّ لهمْ جنّاتٍ تجرِي مِنْ تحتِها الأنهارُ"[٤] :"قال المفضل: الجنة كل بستان فيه نخل، وان لم يكن فيه شجر وغيره. وإنْ كان فيه كرم فهو فردوس. كان فيه شجر غير الكرم أم لم يكن"[٥].

ومما أخذه الطوسي عن الأخفش بدون أن ينسبه له ولم يرجح رأيه في التفسير، عند تفسيره لقوله تعالى: "وإذْ أخَذْنَا ميثاقَ بني إسرائيلَ لا تعبُدُونَ الاّ اللهَ وبالوالدينِ إحسانَا"[٦]. قال الطوسي: "قال بعض النحويين: المعنى "وإذْ أخذْنَا ميثاقَ بني اسرائيلَ لا تعبُدُونَ الا اللهَ وبالوالدينِ احسانا" حكاية كأنه قال: استخلفناهم لا

---

١- البقرة- ١٠٦.

٢- التبيان- ٣٩٥/١.

٣- ابن خالويه- القراءات وعللها ٦٣/١.

٤- البقرة- ٢٥.

٥- التبيان- ١٠٨/١.

٦- البقرة- ٨٣.

يعبدون الا الله اذ قلنا لهم والله لو قالوا والله لا تعبدون"[1] وهذا النص بلفظه كلام الأخفش في معاني القرآن [2]. الاّ أن الطوسي لم يصرح باسمه واكتفى بقوله "قال بعض النحويين".

١- التبيان- ٣٢٨/١.

٢- توجد منه نسخه مصورة بمكتبة المشهد بايران تحمل رقم ٢٢٠. انظر معاني القرآن للأخفش و٥٨ وقارن بالتبيان ٣٢٨/١.

### ٣. أسلوبه من خلال تفسيره وتحليله:

هناك عدة عوامل ومؤثرات أثرت على أسلوب الطوسي وجعلته أسلوبا تعليميا، ومن هذه العوامل، تنوع وسعة ثقافته وثقافة أهل عصره، وتنوع المدارس التي أخذ عنها في مختلف العلوم والفنون من فقه وتفسير وحديث وقراءة ونحو ولغة..... الخ. وكذا طول باع من أخذ عنهم في العلم. يضاف الى ذلك كثرة المناظرات في عصره في مختلف المسائل الخلافية.

ومن العوامل المؤثرة على أسلوبه، ان الطوسي أصبح مرجعاً لطائفة كبيرة من المسلمين. هذه العوامل وغيرها أثرت على أسلوبه في كتابته وحديثه وفي عرضه لآرائه وأفكاره.

وثقافة الطوسي الواسعة وخاصة في اللغة جعلته يحسن استخدام المترادفات وترابط الجمل التي تدور حول معنى وموضوع واحد[١]. وتندر الجمل الاعتراضية في أسلوبه، في حين يكثر الاستطراد بلا إسهاب وذلك لكثرة إحالاته على كتبه الأخرى أو على مواضيع لها علاقة بالموضوع الذي يتحدث عنه [٢].

ويستعمل الطوسي مصطلحات كلامية وأصولية، قد لا يتيسر فهمها الا لأهل هذين الفنين. ويكثر في أسلوبه إثارة التساؤل ثم يبدأ بالإجابة عليه [٣]. ويبدو أنّ سبب ذلك في أسلوبه هو كثرة المناظرات التي كانت

---

١- التبيان- ٢/٩٠.

٢- التبيان- ٥/٩٣- ينفى كون الله تعالى جسما ويحيل القارئ لكتابه " أصول العقائد" فيقول: " وليس هذا موضوع نقضه. وقد ذكرنا الكلام في ذلك واستوفيناه في الأصول".

٣- نحو رده على من يدعي أن الفعل واحد، وهو من الله تعالى بالايجاد، ومن العبد بالاكتساب قال: " وأما من قال: ان الفعل واحد..... فباطل، لأنه خلاف المفهوم من الكلام- يقصد قوله تعالى: " ولكنَّ اللهَ رمى" الانفال ١٧- ولو كان كذلك لم يجز أن ينفى عنه الا بتقييد كما لا ينفى عن الله الا بتقييد" التبيان ٥/ ٩٤. وعند تفسيره لقوله تعالى: " فلولا نَفَر من كلِّ فرقةٍ منهم طائفة" التوبة ١٢٣ يرد على من يستدل بهذه الآية على حجية الخبر الواحد. وبعد أن يستطرد بالرد ويكاد أن يصل حد الاسهاب يحيل القارئ الى كتابه " أصول الفقه" فيقول: " وهذا الذي ذكروه ليس بصحيح، لأن الذي يقتضيه ظاهر الآية وجوب النفور على الطائفة من كل فرقة ووجوب التفقه والانذار اذا رجعوا..... وقد استوفينا الكلام في ذلك في كتابنا أصول الفقه لا نطول بذكره ها هنا" التبيان- ٥/٣٢٢- ٣٢٣، وأحال على كتابه " الإمامة" عند تفسيره لقوله تعالى: " إنما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكم الرجسَ أهل البيتِ ويطهرَكُم تطهيرا" الاحزاب ٣٣. فقال: " وقد استوفينا الكلام في ذلك- في هذه الآيات- في كتاب الامامة من أراده وقف عليه هناك" التبيان ٨/٣٤١.

تجرى آنذاك، فيستعمل أسلوب "فان قلتم قلنا" أو "فان قيل ظنا". ومثال ذلك تفسيره لقوله تعالى: " أبعَثَ اللهُ بشَرا رسولا" [1] قال: " فان قيل لم جاز أن يرسل الله الى النبي–وهو من البشر– ملكا من جنسه؟ ولم يجز أن يرسل الى غير النبي مثل ذلك؟! قلنا: لأنه صاحب معجزة، وقد اختير للهداية والمصلحة، فصارت حاله بذلك مقاربة لحال الملك، وليس كذلك غيره من الأمة، ...." [2].

والصفة العامة الغالبة على أسلوب الطوسي أنه واضح العبارة، واللفظة جمله مترابطة المعنى، يندر أن يستعمل مصطلحات غير مألوفة اليوم [3].

وأسلوبه في التعليل مفهوم غالبا ويغلب عليه المنطق وأساليبه ونادرا ما يخاطب الوجدان. وخاصة عندما تكون المسألة عقيدية أو تخص التوحيد والنبوة والايمان باليوم الآخر. فانه يبدأ بعرض مقدمات منطقية مسلمة يخلص منها الى النتيجة [4].

وأحيانا يبدو على أسلوبه شيء من الصعوبة في الفهم بالرغم من أن أسلوبه تعليمي– كما ذكرت– وهذه الصعوبة تظهر للقارئ لكتابته عندما يكتب وكأنه يتحدث لعلماء حاضرين يتناظرون معه. أو كأنه يتحدّث لطلبة العلم الذين يتحلّقون حوله ويريد أن يوضح لهم الأمر بما اتفقوا عليه في المصطلحات والمعاني والمسلمات.

---

١– الاسراء– ٩٤.

٢– التبيان– ٥٢٢/٦.

٣– كاستعماله لاصطلاح " الضرورة" في المنطق وعلم الكلام قال: " لأنه لو كان تعالى معلوما ضرورة لما احتاج الأمر الى ذلك، لأن كونه معلوما ضرورة يغني عن الاستدلال عليه، وما لا يعلم ضرورة من أمر الدين، فلا يصح معرفته الا ببرهان يدل عليه" التبيان ٨/ ١٧٢.

٤– البيان– ٤٢٢/٢. عند تفسيره لقوله تعالى: "ويعبدونِ مِن دونِ اللهِ ما لا يضرُّهم ولا ينفعُهُم" يونس ١٨. قال: " فان قيل: كيف ذمهم على عبادة الوثن الذي لا ينفع ولا يضر مع أنه لو نفع وضر لم تجز عبادته؟! قلنا: لأنه اذا كان من يضر وينفع قد لا يستحق العبادة اذا لم يقدر على أصول النعم، فمن لا يقدر على النفع والضر أصلا أبعد من أن يستحق العبادة" التبيان ٣٥٥/٥.

ويلاحظ على أسلوب الطوسي أنه في أثناء عرضه لآرائه يشرح نفس الرأي معلقا عليه، او نافيا لما يتوهمه القارئ من احتمالات لا يرتئيها هو أو موضحا لبعض مقاصده، بأسلوب آخر وبتعبير أدق. ويكثر عنده مثل هذا الأسلوب حينما يتحدث في مسائل علم الكلام.

فعند تفسيره لقوله تعالى: "أولئِكَ الَّذينَ حَبِطَتْ أعمالَهُمْ في الدّنْيا والآخرةِ ومالَهُمْ من ناصِرِين"[1] قال: "حبوط العمل- عندنا- هو ايقاعه على خلاف الوجه المأمور به، فاذا أوقعه كذلك لم يستحق عليه الثواب فجاز لذلك أن يقال أحبط عمله، ومتى أوقعه على الوجه المنهي عنه استحق مع ذلك العقاب...."، ثم يستدل على بطلان الثواب بما يستحق من العقاب، ثم يعود ويوضح ما استنبطه وهو يربط المعنى الذي يريد التحدث عنه بالنتيجة فيقول: "فعلى ما حررناه، انما تبطل الطاعة حتى تصير بمنزلة ما لم تفعل اذا وقعت على خلاف الوجه المأمور به، وعند المعتزلة، ومن خالفنا في ذلك، أن أحدهما يبطل صاحبه اذا كان ما يستحق عليه من الثواب أو العقاب أكثر مما يستحق على الآخر فانه يبطل الاقل على خلاف بينهم في أنه يتحبط على طريق الموازنة أو غير الموازنة" [2].

---

١- آل عمران- ٢٢.

٢- التبيان- ٤٢٢/٢.

## الفصل الثالث

## "المسائل النحوية عند الطوسي ومذهبه"

١-موقفه من الشواهد.

٢-موقفه من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين.

٣-مصطلحاته.

٤-ترجيحاته.

٥-موقفه من أدلة الصناعة.

٦-مذهبه النحوي.

# الفصل الثالث

## "المسائل النحوية عند الطوسي ومذهبه"

### ١- موقفه من الشواهد:

لقد عمد الطوسي لتعضيد آرائه النحوية وتفسيراته الاعرابية بالشواهد النحوية، شأنه في ذلك شأن نحاة القرن الخامس الهجري من معاصريه، وإن كان موقفه يختلف أحيانا عنهم في بعض الاتجاهات.

والمقصود بالشاهد النحوي ما يشهد لصحة القاعدة النحوية أو ما يذكر من دليل لإثبات قاعدة كلية من كتاب أو سنة أو من كلام عربي فصيح.

اذن فالمقصود بالشواهد النحوية هي الشواهد المأخوذة من:

١. القرآن الكريم.

٢. الحديث الشريف.

٣. كلام العرب من شعر ونثر.

وسأحاول في هذا البحث بيان موقف الطوسي من هذه الشواهد.

#### *١ - القرآن الكريم:*

ذكرت في فصل سابق [١] موقف النحاة البصريين وغيرهم من الاستشهاد بالقرآن الكريم والقراءات، وأنهم كانوا– النحاة البصريين– يستشهدون بما وافق أصولهم وأقيستهم من القرآن الكريم والقراءات ويتأولون ما يخالف ذلك. وعند عجزهم عن التأويل ينسبون القراءة الى الوهن والشذوذ والوهم. والموقف الثاني المناهض لموقف نحاة البصرة. هو موقف النحاة اللذين يأخذون بالقراءات سواء وافقت أصولهم وأقيستهم أم خالفتها. ولا يردون عليها إطلاقا.

لقد انتقد كثير من العلماء موقف النحاة البصريين من الاستشهاد بالقراءات "فالمفروض أن تسير القواعد وراء النصوص الفصيحة لا أمامها، وخصوصا بالنسبة للقرآن الكريم والقراءات المعتمدة الموثقة، فقد بذل القراء

---

١– الدرس النحوي في القرن الخامس الهجري.

جهدهم لتمييز السند الصحيح من غيره، وقسّموا القراءات الى متواترة واحاد وشاذة، وفق اصول محددة دقيقة"[١] ولدقة الضبط سندا ومتنا لم يكترث القراء بإنكار النحويين لبعض القراءات والرد عليها، "فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر انكارهم بل أجمع الائمة المقتدى بهم من السلف على قبولها[٢]" والسبب في ذلك "أن أئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الافشى في اللغة والاقيس في العربية، بل الاثبت في الاثر والاصح في النقل والرواية اذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة، لان القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها"[٣].

والان ما هو موقف الطوسي من الاستشهاد بالقرآن الكريم؟

من خلال تتبعي لشواهد الطوسي في القرآن الكريم والقراءات وجدته يستشهد كثيرا جدا بالقران الكريم ويقدمه على غيره، وتكاد ان لا تخلو شواهده من آية كريمة. ويضع الطوسي النصوص أمام القواعد النحوية وليس وراءها. فعند تعداده للقراءات في قوله تعالى: "وعبد الطاغوت"[٤] يذكر ثمان قراءات ويفرد القراءات ولا يجيز القراءة بها ، يقول: "لان القراءة متبوعة يؤخذ بالمجموع عليه"[٥].

فالطوسي يقبل جميع القراءات ويأخذ بها ولا يردها ماعدا القراءات الشاذة ونادرا من المتواترة فانه لا يجيز القراءة بها وأحيانا قليلة يستشهد بها في النحو مع شذوذها، ويوجهها الى جانب توجيهه للقراءات غير الشاذة. فعندما يوجه القراءات في قوله تعالى "ولقد صدق عليهم إبليسُ ظنَّهُ"[٦] وبعد توجيهه للقراءات المأخوذ بها يذكر قراءة شاذة فيقول "وقرأ أبو الهجهاج" إبليسَ "بالنصب" ظنُّه "بالرفع جعل الظن الفاعل وابليس المفعول

---

١- الدراسات النحوية عند الزمخشري صفحة ٤١- بغداد ١٩٧١.

٢- النشر لابن الجزري جزء ١ صفحة ١٠- دمشق ١٣٤٥.

٣- نفس المصدر جزء ١ صفحة ١٠-١١.

٤- المائدة- ٦٠.

٥- الطوسي- التبيان- جزء ٣ صفحة ٥٧٤.

٦- سبأ- ٢٠.

به، وذلك جائز عند النحويين، لأنهم يقولون: صدقني ظني وكذبني " وبعد هذا التوجيه يعقب على ذلك "الا انه شاذ لا يقرأ به"[١].

وكثيرا ما يرد القراءات الشاذة لمخالفتها للأصول النحوية من ذلك ذكره لقراءة الحسن "أنجيل" – بفتح الهمزة– يعقب على هذه القراءة "وهو شاذ وهو ضعيف". لأنه ليس في كلام العرب شيء على وزن "أفعيل"[٢].

وأكثر شواهد الطوسي من القراءات المتواترة يستشهد بها لدعم رأيه النحوي. فمن شواهده القرآنية، استشهاده بآية على جواز مجيئ "الى" بمعنى "مع"، عند اعرابه لقوله تعالى "مَنْ أنصاري الى الله"[٣]. قال: "وانما جاز أن تكون" الى" بمعنى "مع" لما دخل الكلام من معنى الاضافة ومعنى المصاحبة، .... ومثله "ولا تأكُلّوا اموالَهم إلى أموالِكُم"[٤] اي مع اموالكم، وقولك: قدم زيد ومعه مال، فلا يجوز فيه الى وكذلك قدم الى أهله، لا يجوز فيه مع، لاختلاف المعنى"[٥].

ويدعم الطوسي اعرابه لآية بإعراب نظائرها الاخرى ويرجّح ذلك كإعرابه (ما) في قوله تعالى "فَمَا استيَسرَ مِنَ الهدي"[٦]. قال: "موضع "ما" رفع كأنه قال: فعليه "ما استيسر من الهدي". ويجوز النصب وتقديره: فليهد ما استيسر من الهدي. والرفع أقوى لكثرة نظائره، كقوله "ففدية مِن صيام"[٧] وقوله "فَعِدَّةٌ مِن أيامٍ أُخَر"[٨] وقوله "فصيامُ ثلاثة أيام"[٩].

---

١– الطوسي– التبيان– جزء ٨ صفحة ٣٩٠.

٢– التبيان جزء ٣ صفحة ٥٤٢.

٣– آل عمران– ٥٢.

٤– النساء– ٢.

٥– التبيان– ٤٧٣/٢.

٦– البقرة– ١٩٦.

٧– البقرة– ١٩٦.

٨– البقرة– ١٨٣.

٩– البقرة– ١٩٦.

ومن ذلك أيضا اعرابه ل "قولهم" من قوله تعالى: "وَمَا كانَ قَوْلَهُم إلاّ أَن قالُوا ربَّنا اغفِرْ لَنَا ذُنوبنَا"[١]. قال: "ويجوز الرفع على أنه اسم "كان" وقد قرئ به في الشواذ. ومثله قوله: "ما كانَ حجتهم إلا أنْ قالُوا"[٢] "وما كان جواب قومه إلا أنْ قالُوا"[٣] وقوله "وثَبِّتْ أقدامنا" ويختار الطوسي مع كل هذه الشواهد النصب بأنه خبر كان واسمها "ان قالوا" قال:" وانما اختبر ذلك، لان ما بعد الايجاب معرفة فهو أحق بان يكون الاسم كقول الشاعر:

وقَدْ علمَ الاقوامُ ما كانَ داءَها  بثهلانَ الاّ الخزيُ ممن يقودُهَا[٤]

ولا يجيز الطوسي عطف (الأرجل) على الايدي بقوله تعالى "فاغْسِلُوا وَجُوهَكُمْ وأيديَكُمْ إلى المرافقِ وأمسَحوا برؤوسِكِم وأرجلَكُمْ إلى الكعبينِ"[٥] في قراءة من نصب الارجل. ويقول في ذلك: "وعطف الارجل على الايدي لا يجوز، لان الكلام متى حصل فيه عاملان: قريب وبعيد لا يجوز اعمال البعيد دون القريب مع صحة حمله، عليه".

ثم يبدأ الطوسي بضرب الامثلة على عدم جواز ذلك ويستشهد بالقرآن وبالشعر فيقول: "لا يجوز ان يقول القائل: ضربت زيدا وعمرا وأكرمت خالدا وبكرا. ويريد بنصب بكر العطف على زيد أو عمرو المضروبين، لان ذلك خروج عن فصاحة الكلام، ودخوله في معنى اللغو وبمثل ما قلنا، ورد القرآن وأكثر الشعر، قال الله تعالى: "وأَنَّهُمْ ظَنُوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يبعثَ اللهُ أحَدَا"[٦] ولو اعمل الاول، لقال: كما ظننتموه. وقال "آتوني أفْرِغْ

---

١- آل عمران- ١٤٧.

٢- الجاثية- ٢٥.

٣- آل عمران- ١٤٧.

٤- التبيان- ٣/١٣-١٤ والشاهد لسيبويه ولم ينسبه: الكتاب ١/٢٤.

٥- المائدة- ٦.

٦- الجن- ٧.

عليهِ قطرا"[١] ولو أعمل الاول، لقال أفرغه. وقال: "هَاؤُمُ اقرأوا كتابِيَهْ"[٢] ولو أعمل الاول لقال: هاؤم اقرأوه. وقال الشاعر:

قضى كل ذي دينٍ فوفّى غريمَهُ وعزةُ ممطول معنى غريمها[٣]

ولو أعمل الاول، لقال: فوفاه غريمه"[٤].

فالطوسي يأتي بسيل من الشواهد القرآنية تأييدا ودعما لرأيه.

وقد أحصيت الآيات التي اشتملت على قراءات ردها الطوسي واتفق مع البصريين في ذلك فبلغ عددها خمس قراءات وهي:

أ- قراءة ابي عمرو: "إِنْ تُبْدو الصدقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ"[٥] بكسر النون وسكون العين في "نعما". حيث نقل اجماع النحويين على تضعيف قراءة ابي عمرو، لأنه لا يجوز اسكان العين مع الادغام، وانما هو اخفاء يظن السامع أنه اسكان، وبعد نقله لهذا الاجماع ضعّف الطوسي بدوره هذه القراءة وقال: "وانما لم يجر الاسكان مع الادغام لأنه جمع بين ساكنين في غير حروف المد واللين في نحو دابّةً وغير ذلك".

ثم أورد استشهاد سيبويه على الجمع بين ساكنين مثل اجتماعهما في "نعما" قول الشاعر:

كأنّها بعدَ كلالِ الزاجرِ ومسحه مرٌّ عقابٍ كاسرِ[٦]

وعقب الطوسي على استشهاد سيبويه فقال: "وأنكره اصحابه"[٧] يعني اصحاب سيبويه.

---

١- الكهف- ٩٦.

٢- الحاقة- ١٩.

٣- ديوان كير ١٧٧/١.

٤- التبيان-٤٥٥/٣.

٥- البقرة- ٢٧١.

٦- كتاب سيبويه وشرح شواهده للاعلم- ٤١٣/٢. والمحتسب لابن جني- ٦٢/١.

٧ - التبيان- ٣٥٢/٢.

ب- وتابع البصريين في ردهم على قراءة حمزة: "واتّقُوا اللهَ الذي تساءلونَ بِهِ والارحامَ"[١] بجر الارحام. حيث يمنع العطف على الضمير المجرور بدون اعادة الخافض في سعة الكلام، ويجيز ذلك في الشعر وينشد شاهدا لسيبويه:

فاليومَ قرَّبتَ تهجُونا وتشتُمنا فاذهبْ فما بِكَ والايامِ منْ عجبِ[٢]

قال: "فجروا الايام عطفا على موضع الكاف في "بك" وقال آخر:

تُعلّق في مثلِ السواري سيوفَنَا وما بينَها والكعبِ غوطٌ نفانَف[٣]

فعطف الكعب على الهاء والالف في "بينهما" وهو ظاهر على مكنى وقال آخر:

وإنَّ اللهَ يعلمُني ووهْباً وأنّا سوفَ نلقاهُ سوانا[٤]

فعطف وهبا على الياء في "يعلمني"، ومثل ذلك لا يجوز في القرآن الكريم"[٥].

ج- قراءة ابن عامر: "زُيّنَ لِكثيرٍ مِنَ المُشرِكينَ قَتْل اولادَهم شركائِهم" بضم الزاي، ونصب "الاولاد" وخفض "شركائهم". قال الطوسي: "فوجه قراءة ابن عامر أنه فرق بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول... وأنشدوا فيه بيتا على الشذوذ"[٦] ثم يعقب بقوله: "وذلك لا يجوز عند أكثر النحويين لان القراءة لا يجوز حملها على الشاذ القبيح، ولأنه إذا ضعف الفصل بالظرف حتى لم يجز الا في ضرورة الشعر كقول الشاعر:

كما خُطّ الكتابُ بكفِّ يوما يهودي.....[٧]

---

١- النساء- ١.

٢- الكتاب- سيبويه- ٤٦٤، الاشموني- ٨٧/٣ التبيان- ٣٥٢/٢ شرح المفصل لابن نبيش- ١٨/٣.

٣- قائله مسكين الدرامي. معاني القرآن للفراء- ٢٥٣/١ والخزانة- ٣٣٨

والسواري جمع سارية وهي الاسطوانة. والغوط: المطمأن من الارض. والنفانف جمع نفنف وهو الهواء بين الشيئين.

٤- التبيان- ٣٥٢/٢.

٥- التبيان- ٣٥٢/٢.

٦- بيت الشاهد هو: فزججتها بمزجة. زج القلوصي ابي مزاده

خزانة الادب: /٢٥١. وقد فصلت هذه المسألة في صفحة ١٥٣ من هذه الرسالة.

٧- قائله ابو حيه النمري: القرطبي ١١١/٧ وتمام البيت

فأن لا يجوز في المفعول به أجدر، ولم يكن بعد الضعف الا الامتناع"[١].

د- ورد الطوسي على قراءة "مخلف وعدَه رسلِه" بفتح الدال وكسر اللام من "رسله" ووصفها بأنها قراءة شاذة رديئة قال: "لأنه لا يجوز ان يفصل بين المضاف والمضاف اليه"[٢].

هـ- وتابع الطوسي البصريين في ردهم على قراءة حمزة "استكبَاراً في الارضِ وَمكْرَ السَّيئِ"[٣] بتسكين الهمزة في "السيئ". فقال: "وقد سكن حمزه وحده الهمزة. والباقون جروها بالإضافة. والتسكين لحن عندهم أعني البصريين، لا يجوز ان يقرأ به".

ثم يوجه قراءة حمزة الا أنه يصحح قراءة البصريين فيقول: "وقيل الوجه في تسكين حمزه كثرة الحركات في الكلام، كما قال الشاعر:

إذا اعوَجَجْنَ قُلْتُ صاحبْ قوامِ

فسكن الباء لكثرة الحركات، والصحيح الاول، لان مثل هذا انما يجوز في ضرورة الشعر"[٤].

### ٢ ـ الحديث الشريف:

استشهد كثير من معاصري الطوسي من النحاة بالحديث الشريف في تعضيد الاحكام النحوية واللغوية واثباتها، ومن هؤلاء النحويين التبريزي- وابن بابشاد. ولم يستشهد ابن برهان بالحديث[٥].

ان مسألة الاستشهاد بالحديث الشريف وعدمه ليست حدية أو أنها أثيرت في عصر ابي حيان النحوي، وانما لها امتداد ابعد من ذلك كما يتبين بعد قليل.

---

كما خط الكتاب بكف يوما  يهودي يقارب او يزيل

١- التبيان- ٢٨٦/٤ شواهد سيبويه للاعلم ٢٩٧ قائله ابو نخيله.

٢- التبيان- ٣٠٨/٦.

٣- فاطر- ٤٣.

٤- التبيان: ٤٣٨/٨.

٥- انظر الفصل الثاني من هذه الرسالة ص ٧٣ ولعل امتناع ابن برهان من الاستشهاد بالحديث لأنه مروي بالمعنى ومع ذلك فانه قد استشهد به باللغة.

يذهب كثير من علماء النحو واللغة المتأخرين ويذهب معهم كثير من الباحثين المعاصرين الى أن مسألة جواز الاستشهاد بالحديث الشريف وعدم جواز الاستشهاد به أو الاكثار من الاستشهاد به وعدمه كل ذلك قد نوقش في زمن أبي حيان المتوفّى سنة ٧٤٥هـ وهو الذي أثارها وأخذ على ابن مالك الاستشهاد بالحديث. قال في شرح التسهيل: "وقد أكثر المصنف يعني ابن مالك– من الاستدلال بما وقع في الاحاديث على اثبات القواعد الكلية في لسان العرب، وما رأيت احدا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره، على أن الواضعين الاولين لعلم النحو، المستقرئين للأحكام من لسان العرب، كأبي عمرو بن العلاء وعيسى ابن عمر، والخليل وسيبويه من ائمة البصريين، والكسائي والفراء وعلي ابن المبارك الاحمر، وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك. وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الاقاليم، كنحاة بغداد، وأهل الاندلس، وقد جر الكلام في ذلك على بعض المتأخرين الاذكياء، فقال: انما ذكر العلماء ذلك لعدم وثوقهم ان ذلك لفظ الرسول (صلى الله عليه وآله)، اذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم في اثبات القواعد الكلية...."[١] وجاء الشاطبي ت ٧٩٠هـ بعد أبي حيان وناقش هذه المسألة وفصّل فيها فجوّز الاستشهاد بما "عرف اعتناء نقله بلفظه" من الاحاديث، ثم ذكر ان ابن مالك لم يفصل بين أنواع الاحاديث التي يصح الاستشهاد بها اولا يصح ثم قال: "ولا أعرف له سلفا–يعني ابن مالك– الا ابن خروف فانه اتى باحاديث في بعض المسائل، حتى قال ابن الضائع لا أعرف هل يأتي بها مستدلا بها أم هي لمجرد التمثيل؟"[٢].

وجاء بعد الشاطبي البغدادي، والسيوطي فجوزوا الاستشهاد بالحديث الثابت أنه قد روى باللفظ، قال السيوطي: "وأما كلامه (صلى الله عليه وآله) فيستدل منه أنه قاله على اللفظ المروي، وذلك نادر جدا"[٣].

وأقيمت دراسات حديثة في مناقشة هذه المسألة من العلماء المعاصرين منها دراسة مجمع اللغة العربية بالقاهرة في تجويزه الاحتجاج ببعض الأحاديث وفق شروط معينه–[٤]يطول المقام بذكرها– منها: –

---

١ – انظر الخزانة– ١/٥.

٢ – الخزانة– ١/٦.

٣ – الاقتراح للسيوطي– ١٧.

٤ – مجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية حـ ٤/٧.

١. لا يحتج في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الاول، كالكتب الصحاح فما قبلها.

٢. يحتج بالحديث المدون في هذه الكتب بشروط منها: الأحاديث المتواترة والمشهورة، والأحاديث المروية من طرق متعددة وألفاظها واحدة.([1])

وعندما حققتُ إثارة مسألة الاستشهاد بالحديث وعدمه، وجدتُ أن الشيخ أبا جعفر الطوسي هو أول من ناقش مسألة صحة الاستشهاد بالحديث وعدمها، وقد أطال مناقشتها في تمهيده لتفسيره التبيان، ولم أعثر على نحوي أو لغويٍّ أو مفسر قد ناقش هذه المسألة قبل الشيخ الطوسي. ولم يثبت الطوسي صحة الاستشهاد بالحديث الشريف بل استشهد به فعلا في كتابه التبيان بثلاثة وعشرين موضعا، ثلاثة أحاديث استشهد بها لتدعيم آرائه النحوية والباقي استشهد بها في اللغة –كما سيأتي تفصيل ذلك بعد قليل–.

وفي رأيي ان مسألة الاستشهاد بالحديث لابد من تحقيقها من قبل علماء النحو المعاصرين بشكل دقيق يؤدي الى الافادة من هذا التراث الحيوي الغزير في علم النحو واللغة افادة فعالة ونبذ الموقف السلبي ازاءه نتيجة لمواقف بعض النحويين القدامى. وهذه بعض الملاحظات اقترحها في هذا الشأن.

١. ان الاشكالات التي ترد على الحديث الشريف بحجة ان بعض الاعاجم من رواته ترد على الشعر أيضا فلماذا أخذ بتلك الاشكالات بالحديث ولا يؤخذ بها باللغة.

٢. ان كتب الصحاح في الحديث دُوّنت في عصر الاحتجاج وقوة اللغة وسلامتها– في وقت لم يشع فيه اللحن. وحتى الرواة الاعاجم للحديث فانهم بلا شك حريصون عل نقل نص الالفاظ التي تروى لهم ايمانا منهم بوجوب المحافظة على النص النبوي الشريف. وحتى لو حدث منهم اي خطأ نحوي أو لغوي فانه لا بد من أن يكون في سلسلة الرواة ممن– تأخر عن الراوية الاعجمي او العربي يصحح ما يسمع حسب سليقته. وان قال المشكلون لعل الراوي الاعجمي هو آخر من في السلسلة؟ فأقول ومع ذلك فان الصحاح بعد تدوين الأحاديث فيها قد عاصرت فترة الاحتجاج ومرت على كثير من فصحاء العرب وعلمائهم فلو

---

١– المصدر السابق حـ ٤/٧.

كان فيها أدنى خطأ نحوي أو لغوي لابد أن وردت تعليقاتهم وتصحيحاتهم عليه خاصة وان تلك الصحاح قد حظيت بشروح عديدة وعناية بالغة بعد ذلك.

٣. ان سلاسل الحديث تشير الى ان كثيرا من الأحاديث لا يوجد في سلسلتها رواية أعجمي فلماذا لا يؤخذ بمثل هذه الأحاديث ويحتج بها بالنحو على فرض عدم جواز الاخذ بالأخرى.

٤. ينبغي التمييز بين نماذج الرواة من الاعاجم فقسم منهم قد عايش العرب حتى أصبح كأحدهم في اللغة وقد يفوق بعضهم كثيرا من العرب فصاحة وبلاغة، فكيف لا يؤخذ بالحديث المروي من امثال هؤلاء.

٥. ان في بعض القراء ورواة القراءات اعاجم فلو جاز الاحتجاج على الأحاديث المروية عن الاعاجم لنقل نفس الاشكال على رواة القراءات الاعاجم.

وحجة من منع الاستشهاد بالحديث أمران:

الاول: اجاز المحدثون النقل بالمعنى دون التقيد باللفظ.[١]

الثاني: وقوع اللحن في بعض ما روي من الحديث، لان كثيرا من الرواة ليس عربيا بالأصل. وبعضهم لا يعلم لسان العرب بصناعة النحو.[٢]

ويضيف أبو حيان الى هذه الحجج قائلا: "وما رأيت احدا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره–يقصد ابن مالك والطريقة الاستشهاد بالحديث– على أن الواضعين الاولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب كابي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر، والخليل، وسيبويه، من أئمة البصريين، والكسائي والفراء..... من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك".[٣]

---

١– السيوطي– الاقتراح– ٥٣.

٢– طه الراوي– نظرات في اللغة والنحو– صفحة ٢١ –منشورات المكتبة الاهلية– بيروت– ١٩٦٢م.

٣– السيوطي– الاقتراح– صفحة ٥٢– تحقيق د. احمد محمد قاسم– ط١ القاهرة ١٩٧٦.

وهذه الحجة التي ذكرها ابو حيان تتهافت امام واقع استشهاد المتقدمين بالحديث الشريف. فسيبويه مثلا استشهد بعدة مواضع–وان كانت قليلة لا تتجاوز أصابع اليد– بالحديث الشريف، منها ذكره لجزء من حديث الرسول(ص) في موضوع التنازع قال: "ومثل ذلك: (...نخلع ونترك من يفجرك) ...."[١]

واستشهد به في موضوع اسم التفضيل: "ومثل ذلك: (ما من أيام أحب الى الله عزوجل فيها الصوم منه في عشر ذي الحجة) ..."[٢]

واستشهد بالحديث كذلك في موضوع ضمير الفصل. قال: "وأما قولهم (كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه) ففيه ثلاثة أوجه..."[٣] الى غير ذلك من شواهده في هذا الموضوع.

وذكر الدكتور احمد مكي الانصاري استشهاد الفراء–امام الكوفيين– في النحو– بالحديث النبوي في ثلاثة مواضع.[٤]

وذكر الدكتور عبد الفتاح شلبي، استشهاد ابي علي الفارسي بالحديث[٥] فهؤلاء الثلاثة وهم من أئمة النحاة قد استشهدوا بالحديث الشريف فأين هذا من كلام ابي حيان بنفس الاستشهاد بالحديث من المتقدمين ورد الدكتور المخزومي على منكري الاحتجاج بالحديث بقوله : "ومن الادعاء على الواقع ان يستبعدوا من الاستشهاد ماورد من احاديث على لسان قوم من رجال العصر الاول، شهد بحرصهم على الاحاديث التي يرددونها ما أثر عنهم في كتب الطبقات والتراجم من أقوال تتداعى امامها ادعاءات النحاة، ومخاوفهم المزعومة على مصير العربية، وان اعتمدوا في تصحيحها على الاستشهاد بمروياتهم... فترك الاحاديث التي يرويها هؤلاء وامثالهم خسارة كبيرة أنزلها بالعربية تقعّر النحاة وتحذلقهم"[٦].

---

١– الكتاب– ١/٣٧.

٢– الكتاب– ١/٢٣٢.

٣– الكتاب– ١/٣٩٦.

٤– ابو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ٢٤١– نشر الرسائل الجامعية القاهرة ١٣٨٤هـ– ١٩٦٤م.

٥– ابو علي الفارسي صفحة ٢٠٢– د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي– مطبعة نهضة مصر ١٣٧٧هـ.

٦– مدرسة الكوفة صفحة ٥٩.

ويقف الطوسي موقف المؤيد للاستشهاد بالحديث الشريف ويدافع عن ذلك، ويرد على منكري الاستشهاد به بشدة... ويعتبر الاحتجاج به بعد القرآن الكريم فيقول: "لان غاية ذلك ان يستشهد عليه ببيت شعر جاهلي، او لفظ منقول عن بعض الاعراب، او مثل سائر عن بعض اهل البادية. ولا تكون منزلة النبي(ﷺ) – وحاشاه من ذلك– اقل من منزلة واحد من هؤلاء. ولا ينقص عن رتبة النابغة... وزهير... وغيرهم. ومن طرائف الامور ان المخالف إذا اورد عليه شعر من ذكرنا ومن هو دونهم سكنت نفسه، واطمأن قلبه. وهو لا يرضى بقول محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. ومهما شك الناس في نبوته، فلا مرية في نسبه، وفصاحته."[١]

وبعد ذلك يبين الطوسي علة احتجاج علماء المسلمين بالشعر والكلام الفصيح وعدم استشهادهم بالحديث الشريف. قال: "وكيف يجوز ان يحتج بشعر الشعراء عليه، ولا يجوز ان يحتج بقوله عليهم وهل هذا إلا عناد محض، وعصبية صرف؟ وانما يحتج علماء الموحدين بشعر الشعراء وكلام البلغاء، اتساعا في العلم، وقطعا للشغب، وازاحة للعلة، والافكان يجب الا يلتفت الى جميع ما يطعن عليه، لأنهم ليسوا بان يجعلوا عيارا عليه بأولى من ان يجعل هو عليه السلام عيارا عليهم"[٢].

ومن الملاحظ على منهجية الطوسي في الاحتجاج بالحديث انه يحقق كثيرا بسند ومتن الحديث إذا كان احتجاجه به لغرض حكم شرعي. بينما لم أجد هذا التحقيق للأحاديث التي استشهد بها لأغراض لغوية او نحوية.

ولعل ذلك راجع الى ان الطوسي ينظر الى الحديث، وان كان موضوعا او ضعيفا فانه لا يخرج عن كونه يصح الاستشهاد به نحويا ولغويا، وان لم يكن حجة في الدين، وذلك لأنه قيل في عصر لم يشع فيه اللحن ولم تفقد اللغة قوتها وفصاحتها.

---

١- التبيان- ١٦/١.

٢- التبيان- ١٧/١.

وقد قمت بإحصاء الأحاديث النبوية التي استشهد بها الطوسي في النحو واللغة فبلغت ثلاثة وعشرين حديثا[١]. استشهد بثلاثة منها في النحو والباقي استشهد بها في اللغة.

**١. في النحو:**

أ- ومما استشهد به من الحديث الشريف في النحو، موافقته لابي عبيدة في مجيئ "ما" اسما بغير صلة بعد "بئس ونعم". قال: "وروي عن النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- انه قال: نعم ما المال للرجل الصالح، فجعلت(ما) اسما"[٢].

ب- واستشهد بالحديث على افادة إنما التخصص، فيذكر في أول كلامه أمثلة وشواهد شعرية ثم يقول: "ولذلك قالو إنما النحاة المدققون البصريون ويريدون نفي التدقيق عن غيرهم .... قال الاعشى:

ولستُ بالأكثر منهمّ حَصىوإنّما العزةُ للكاثرِ[٣]

أراد نفي العزة عن من ليس بكاثر" ثم يورد الحديث الشريف بقوله: "وأحتج الانصار بما روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: (انما الماء من الماء) في نفي الغسل من غير إنزال. وادعى المهاجرون نسخ الخبر، فلولا ان الفريقيين فهموا التخصيص لما كان الامر كذلك ولقالوا (إنما) تفيد الاختصاص بوجوب الماء من الماء".[٤]

جـ- واستشهد بالحديث على ان "اهلين" جمع "اهل" وكسرت اللام للمجاورة. قال: "ويجمع اهل على أهلين، فاذا اضافه ذهبت النون للإضافة، فالياء علامة الجمع والنصب. وكسرت اللام لمجاورتها الياء وفي الحديث (إنَّ للهِ أهلين) قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)"[٥].

**٢. في اللغة:**

---

١- انظر: ٢٤٩/١، ٣٤٧، ٤٥٩، ٣٤٢/٢، ٤٧٣، ٣٥/٣، ١٨٧، ٥٦٠. وانظر ٦٨/٤، ٣٧٣، ٤٢٨، ٤٦٤، ٥٢٠، ٢٣١/٥، ٢٤٣، ١٦٨/٦، ٥٤٧/٨، ٢٠٤، ٣٠٥/٩، ٤٢٢/٩، ٤٨٠.

٢- التبيان- ٣٤٧/١.

٣- اللسان (كثر)- التبيان ٥٦١/٣، وخزانة الادب للبغدادي ٤٨٩/٣.

٤- التبيان- ٥٦١/٣.

٥- التبيان- ٢٠٤/٨.

بلغ عدد ما استشهد به الطوسي من الحديث الشريف في اللغة ثمانية عشر حديثا وهي:

أ- استشهد على المعنى اللغوي لكلمة "مولى" بالحديث الشريف فقال: "والمولى الاولى والاحق، ومنه قوله -عليه السلام-: (ايما امرأة نكحت بغير اذن مولاها فنكاحها باطل) أي بغير اذن من هو اولى بها وأحق"[١].

ب- واستشهد كذلك على المعنى اللغوي لقوله تعالى: "خلالكم"[٢] بالحديث الشريف فقال: "أي بينكم مشتق من التخلل، وهي الفرج تكون بين القوم في الصفوف وغيرها ومنه قوله النبي صلى الله عليه وآله: تراصّوا في الصفوف لا يتخللكم اولاد الخذف"[٣].

جـ- واستشهد على المعنى اللغوي للكلمة "تفريط" بالحديث الشريف ايضا فقال: "وأصل التفريط التقديم من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا فرطكم على الحوض) أي متقدمكم".[٤]

د- واستشهد بالحديث الشريف "لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي" على المعنى اللغوي لكلمة" مرة"[٥] من قوله تعالى: "ذُو مِرَّةٍ فاستَوىَ"[٦].

هـ- واستشهد على المعنى اللغوي للكلمة "صير" بالحديث الشريف فقال: "والصير: الشق، وفي الحديث (من نظر في صير ففقئت عينه فهي هدر) ..."[٧]

و- وعلى كلمة "تراءى" بعد ان يقلب كلمة "نرى" في قوله تعالى: "حتى نرَى اللهَ جَهْرةً"[٨] على وجوه عديدة. قال: "وفي بعض اللغات ريت بمعنى رآيته. وعلى ذلك قراءة من قرأ: "أريت" قال الشاعر:

---

١- التبيان- ١٨٧/٣.

٢- التوبة- ٤٠٧.

٣- التبيان- ٢٣١/٥.

٤- التبيان- ١٧٨/٦.

٥- التبيان- ٤٢٢/٩.

٦- النجم- ٦.

٧- التبيان- ٤٥٩/١.

٨- البقرة- ٥٥.

قد ريت منه عجبا من الكبر[١]

وتراءى القوم: إذا رأى بعضهم بعضا... وفي الحديث (لا يتراءى احدكم في الماء) اي لا ينظر فيه"[٢].

ز- واورد الحديث الشريف "ان النبي-ﷺ- دخل على عائشة. فقالت: يا رسول الله. أكلت مغافير"[٣]. شاهدا على كلمة "المغفارة".

ح- وعلى المعنى اللغوي لكلمة "رجس" اورد الحديث: "انه رجس وعذب به بعض الامم".[٤]

ط- وعلى المعنى اللغوي للكلمة "مضارة" قال: "وفي الحديث (لا ضرر ولا ضرار) ..."[٥].

ي- واستشهد ايضا على كلمة "صفحة" بالحديث: "النشيج للرجال والتصفح للنساء"[٦].

ك- وعلى كلمة" القنوت" بالحديث الشريف المروي عن جابر بن عبد الله الانصاري-رضي الله عنه- قال: "سئل النبي-ﷺ- اي الصلاة أفضل فقال: طول القنوت"[٧].

ل- وعلى كلمة "بدع" بالحديث الشريف: "كل بدعة ضلالة"[٨].

م- وعلى كلمة "شيحان" قال: "ويقرب ان يكون شيحان فعلان. وفي الحديث (ثم أعرض وأشاح)"[٩].

ن- وعلى كلمة "فصال" قال: "وفي الحديث: (لا رضاع بعد فصال) وروي بعد(فطام)"[١٠].

---

١- المنصف لابن جني ١٦/٣ وقائله النابغة الذبياني او خلف الاحمر.

٢- التبيان- ١/ ٢٤٩.

٣- التبيان- ٢٦٥/١.

٤- التبيان- ٢٦٨/١.

٥- التبيان- ٣٧٩/١.

٦- التبيان- ٤٠٦/١.

٧- التبيان- ٤٢٧/١.

٨- التبيان- ٤٤٩/١.

٩- التبيان- ٤٢٦/٣.

١٠- التبيان- ٢٧٣/٩.

س- وعلى كلمة "لحن" بالحديث الشريف: "ولعل بعضكم ألحن بحجته"[١].

ع- وعلى كلمة (نفس) بمعنى العين بالحديث الشريف: "ونفس نافس وحسد حاسد"[٢].

ف- وعلى كلمة "يخصفان" بالحديث الشريف: "خاصف النعل بالحجرة"[٣].

ص- وعلى كلمة "سحر" بالحديث الشريف: "ان من البيان لسحرا"[٤].

ق- وعلى كلمة "مسكين" بالحديث الشريف: "ليس المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنىً فيغنيه ولا يسأل الناس الحافا"[٥].

د- وعلى كلمة "حكمة" بالحديث الشريف: "في رأس كل عبد حكمة إذا هم بسيئة وشاء الله ان يقدعه بها قدعه"[٦].

### ٣ـ كلام العرب من شعر ونثر:

حدد النحاة فترة عصر الاستشهاد، بمدة تصل قرابة ثلاثة قرون في الحواضر، وما يقارب خمسة قرون في البوادي، يمتد قرن ونصف في هذه المدة قبل الاسلام.

ويعتقد النحاة ان السليقة اللغوية عند العربي في هذه الفترة لم تتلوث بسبب اتصال العرب واختلاطهم بسواهم من الامم.

ويقصدون بالسليقة. النشاط اللغوي في الجنس العربي الممتد عن الدم والجنس، ولا يعود هذا النشاط الى الدربة والمران.[٧]

---

١- التبيان- ٣٠٥/٩.

٢- التبيان- ٦٨/٤.

٣- التبيان- ٣٧٣/٤.

٤- التبيان- ٥٢٠/٤.

٥- التبيان- ٢٤٣/٥.

٦- التبيان- ١٤٣/١.

٧- الخصائص- ٣٥٧/١.

ويرى النحاة ان هذه الفترة الزمنية، لها خصائص ومميزات مهمة وهي "سلامة نصوصها من الخطأ، وبراءتها من اللحن، وخلوصها من شوائب العجمة"[١].

واضافة للتحديد الزماني لعصر الاحتجاج. فقد قرن علماء العربية هذا التحديد بتحديد مكاني للقبائل العربية ذات السليقة السليمة. واستثناء غيرها من القبائل الواقعة ضمن دائرة الاختلاط والتأثر بغير العرب. فقد ذكر السيوطي في الاقتراح قول ابي نصر الفارابي حيث يذكر القبائل التي يؤخذ عنها ويعدد قريش، وقيس، وتميم، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ثم يذكر من لم يؤخذ عنهم من سائر القبائل فيقول: "فانه لم يؤخذ لا من لخم، ولا من حذام، فانهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط، ولا من قضاعة، ولا من غسان ولا من أياد، فانهم كانوا مجاورين لأهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون في صلاتهم بغير العربية" ثم يسترسل في تعداد قبائل أخرى لا يؤخذ عنها فيعد ، تغلب، النمر، بكر، عبد القيس، أزدعمان، أهل اليمن، بني حنيفة، سكان اليمامة، ثقيف، سكان الطائف[٢].

وبناء على التحديد الزمني لفترة الاستشهاد قسم علماء العربية الشعر من حيث الاستشهاد على أربع طبقات:

الاولى: الشعراء الجاهليون، قيل الاسلام كامرئ القيس.

الثانية: المخضرمون، وهم الذين عاشوا في الجاهلية والاسلام كلبيد وحسان.

الثالثة: الاسلاميون او المتقدمون، وهم الذين كانوا في صدر الاسلام مثل جرير والفرزدق.

الرابعة: المولدون او المحدثون، كبشار وابي نواس.

وأجمع علماء العربية على صحة الاستشهاد بشعر الطبقتين الاولى والثانية. ولم يستشهد بعض علماء العربية بالطبقة الثالثة.

---

١- اصول التفكير النحوي- ٢٤٩.

٢- الاقتراح- ٥٦، ٥٧.

ومن هؤلاء العلماء أبو عمرو بن علاء، وعبد الله بن ابي اسحاق والحسن البصري وعبد الله بن شبرمة، حيث عد هؤلاء الفرزدق والكميت وذا الرمة من المولدين، بل ويلحنونهم.

وأما بقية العلماء فهم على صحة الاستشهاد بشعر الطبقة الثالثة. وكاد الاجماع يحصل على عدم صحة الاستشهاد بشعر الطبقة الرابعة، الا قليلا من العلماء صححوا الاستشهاد بكلام من يوثق بهم من الطبقة الرابعة، ومن صحح ذلك الزمخشري[١].

واضافة الى هذا التحديد الزماني والمكاني لفترة الاستشهاد فقد حدد علماء العربية–وان اختلفوا في هذا التحديد– مقدار النصوص اللغوية التي يصح القياس عليها، ويعول عليها في بناء قواعد النحو، فنسب الى البصريين انهم من حيث القياس على المسموع من النصوص، ان القاعدة النحوية لا تتأصّل عندهم الا إذا توفر لها العديد من الشواهد. بينما نسب الى الكوفيين التعضيد على الشاهد الواحد[٢]. كما نسب إليهم ايضا الاخذ عن الاعراب القاطنين في الكوفة، واعراب الحطمة في ضواحي بغداد، الذين فسدت لغتهم لمخالطتهم الحضر. في حين افتخر البصريون بأخذهم اللغة، من حرشة الضباب، وأكلة الجرابيع، بخلاف الكوفيين الذين أخذوها من اهل السواد وأصحاب الكواميخ [٣] والآن ما هو موقف الطوسي من الاستشهاد بكلام العرب؟

يقف الطوسي ازاء الاستشهاد بكلام العرب من شعر ونثر موقفا مقاربا لموقف البصريين.

فمن حيث الفترة الزمنية لعصر الاستشهاد لم يستشهد الطوسي ولا ببيت واحد من شعر المحدثين والمولدين واستشهد بشعر الشعراء من الطبقة الثالثة كالفرزدق وجرير والاخطل. فشواهده الشعرية مقتصرة على شعر الشعراء الجاهليين وصدر الاسلام ومن عاصر بني امية من الشعراء.

ولا شك ان الاستشهاد بشعر الشعراء في هذه الفترة، هو موضع اطمئنان النحاة في شتى مذاهبهم ومشاريهم. وعند تتبع شواهد الطوسي لم أجده يستشهد بشعر المتأخرين وان كانوا مجيدين أمثال: أبي العلاء

---

١– الخزانة– ٤/١، تحقيق عبد السلام هروي– دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧–١٩٦٩م.

٢– مدرسة الكوفة– ٣٧٦. والاقتراح– ٨٤.

٣– نزهة الالبا– ١٣٧. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم– دار نهضة مصر– القاهرة– ١٩٥٨.

المعري وبشار بن برد وأبي تمام والبحتري والشريف الرضي. وهذه نماذج من الشواهد الشعرية التي استشهد بها الطوسي فيما يذهب اليه.

**شعراء الطبقة الاولى والثانية:**

**أ- الشواهد النحوية:**

١. استشهد ببيت امرئ القيس على كسر همزة "إن" بعد "ألا" بدلالة كما في قوله تعالى: "الا إن للهِ ما في السمواتِ والارضِ"[١]. قال الطوسي: "وكسرت "إن" بعد(ألا) لأن (ألا) يستأنف ما بعدها لينبه بها على معنى الابتداء: ولذلك وقع بعدها الامر والدعاء كقول امرئ القيس:

ألا أنعِمْ صباحاً أيّها الطللُ البالي

وهلْ ينعَمَنْ مَنْ كانَ في العصرِ الخالي[٢]"

٢. استشهد ببيت طرفة بن العبد على النصب "أن" للفعل بعد حذفها وذلك عند اعرابه ل "تأمرونّي" من قوله تعالى "أفغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون"[٣].

قال الطوسي: "وإذا لم تجعله- بقصد "تأمروني"- اعتراضا يكون موضعه نصبا على الحال، وتقديره اتأمروني عابدا غير الله، مخرجه مخرج الحال، ومعناه ان اعبد كما قال طرفة:

ألآ أيّهذا الزاجري أحضر الوغا

وأنْ اشهدَ اللذاتِ هلْ أنتَ مخلدِ[٤]

أي الزاجر أن أحضر، وحذف "أن" من جعل الفعل على طريقة الحال"[٥].

---

١- يونس-٥٥.

٢- ديوانه- ١٥٨، التبيان- ٣٩٣/٥.

٣- الزمر- ٦٤.

٤- قائله طرفة بن العبد البكري: ديوانه: ٣١٧. وروايته(الزاجر) بدل(اللائم) واحضر في الموضعين بدل(اشهد) تحقيق درية الخطيب- دار الكتاب ١٩٥٧م.

٥- التبيان- ٤٣/٩.

٣. استشهد بيت كعب بن زهير، على نصب "حقا" على المصدر من قوله تعالى "اليهِ مرجعُكُم جميعاً وَعْدَ اللهِ حقاّ"[١].

قال الطوسي: "وقوله (وَعْدَ اللهِ حقّا) نصب على المصدر وتقديره أُحقّه حقا أو وعد الله وعداً حقا، لأن في قوله(مرجعكم) انه وعد بذلك إلاّ أنه لم يذكر الفعل أُضيف المصدر الى الفاعل، كما قال كعب بن زهير:

يسعى الوشاةُ جنابيها وقيلَهُم إنْك يا ابن أبي سلمى لمقتولُ[٢]

أي يقولون قيلهم"[٣].

٤. واستشهد ببيت زهير بن ابي سلمى عند تعليله لمجيء البأساء مصدر ولم يأت منه "أفعل". قال "لان الاصل في(فعلاء) أفعل للصفات التي للألوان، والعيوب. كقولك احمر، وحمراء، واعور، وعوراء. فأما الاسماء التي ليست بصفات، فلا يجب ذلك فيها. وعلى ذلك تأولوا قول زهير:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلُّهم كأحمرَ عادٍ ثم ترضعْ فتفطمِ[٤]

وأنكر ذلك قوم، لأنه لم يصرف أشأم. وقالو إنما هو صفة وقعت موقع الموصوف كأنه قال: غلمان أحمر أشأم، فلذلك قالو انما المعنى الخلة البأساء، والخلة الخضراء"[٥].

٥. واستشهد ببيت طرفة أيضا على جواز تثقيل عين(فُعْلٌ) جمع(أَفْعَلَ) كأَحْمَرَ حُمْر. فيذكر قاعدة صرفية عامة ويستثنى منها حالة الضرورة فيقول: "كل لغة على وزن أفعل للذكر والانثى فعلاء يجمع على(فُعْل) مضمومة الاول ساكنة الثاني نحو أحمر وحمر، وأصفر وصفر، فيكون ذلك جمعا للتذكير والتأنيث، ولا يجوز تثقيل عين الفعل الا في ضرورة الشعر قال طرفه:

---

١- يونس- ٤.

٢- ديوانه ١٩ ومجاز القرآن لفراء ١١٢/١.

٣- التبيان- ٣٣٧/٥.

٤- ديوانه ٢٠. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٩٤٤- نشر الدار القومية بالقاهرة ١٩٦٤م وامالي ابن الشجري: ١٨٠/٢.

٥- التبيان ٩٨/٢.

أيّها الفتيانُ في مجلِسِنا  جَرّدوا مِنْها ورادا وشُقُر[١]

فحرك لضرورة الشعر"[٢].

٦. واستشهد ببيت الخنساء على مجيء "كأن" المخففة من الثقيلة في إعرابه لقوله تعالى: "مَرَّ كأنْ لَمْ يدْعُنا الى ضرٍ مَسَّه"[٣]. قال: "وقوله(كأن) هي المخففة عن الثقيلة وتقديره كأنه لم يدعنا، ومثله قول الخنساء:

كأن لم يكونوا حمى متقي  إذْ الناسُ إذْ ذاك عزّ بزّا[٤].

أي كأنهم"[٥].

٧. واستشهد ببيت النابغة الجعدي على وصف مالا يعقل، بفعل ما يعقل كقوله تعالى: "والشمسُ والقمرُ كلٌّ في فلِكٍ يَسْبحُون"[٦]. قال: "وإنما قال(يسبحون) على فعل ما يعقل، لأنه أضاف اليها الفعل الذي يقع من العقلاء، كما قال: "والشمسُ والقمرُ رأيتُهم لي ساجدين"[٧]

.... وقال النابغة الجعدي:

تَمزّزتُها والديكُ يدعو صباحَه

إذا ما بنو نعشٍ دنوا فتصّوبوا[٨]".

٨. واستشهد ببيت الحطيئة على حذف الفعل بعد(كيف) قال: "وقال الحطيئة في حذف الفعل بعد كيف:

فكيفَ ولمْ أعلمْهُم خذلوكم  على معظمٍ ولا أديمُكُم قدّوا[٩]

---

١- ديوان طرفة: ٧٠ والخصائص لابن جنّي: ٢٨١/١. والمحتسب لابن جنّي ١٦٢/١.

٢- التبيان- ٣٤٢/١.

٣- يونس- ١٢.

٤- أنيس الجلساء: ١١٤- وديوانها: ٨١. ومغني اللبيب: ٨٥.

٥- التبيان- ٣٤٨/٥.

٦- الانبياء- ٣٣.

٧- يوسف- ٤.

٨- التبيان- ٢٤٦/٧ وكتاب سيبويه٢٤٠/١، وشرح الفصل لابن يعيش ١٠٥/٥.

٩- معاني القرآن للفراء- ٤٢٤/١.

أي كيف تلومونني على مدح قوم وتذمونهم"[١].

٩. واستشهد ببيت أبي الاسود الدؤلي في حالة كون الكلام فيه ابهام على المخاطبين- قال: "كما قال ابو الاسود الدؤلي:

أُحِبَّ محمداً حبّاً شديداً وعباساً وحمزةَ والوصيا

فانْ يكُ حبُّهم رُشداً أُصِبْهُ ولستُ بمخطئٍ إنْ كان غيا[٢]

وأبو الاسود لم يكن شاكّا في حبهم، ولكن ابهم على من خاطبه. وقيل لأبي الاسود حين قال ذلك: شككت؟ قال: كلا. ثم استشهد بقوله تعالى "قُل اللهُ وإنّا أوْ إيّاكم لَعَلى هدىً أوْ في ضلالٍ مبينٍ"[٣]......"[٤].

**ب- الشواهد اللغوية:**

١. استشهد ببيت المهلهل بن ربيعة على المعنى اللغوي(جمح) على أنه "المشي بين المشيين قال المهلهل:

لقد جمحتُ جِماحا في دمائِهِمُ حتّى رأيتُ ذوي أجسامهم جَمدوا[٥]

٢. واستشهد ببيت لبيد على المعنى اللغوي لكلمة(كفر) قال: "والكفر هو الجحود والستر ولذلك سُمّيَ الليل كافرا لظلمته...وقال لبيد:

في ليلةٍ كَفَرَ النجومَ غمامها[٦]

يعني غطاها".

٣. واستشهد ببيتين لزهير ولمالك بن نويرة على المعنى اللغوي لكلمة "أخلد" فقال: "وأخلد بالمكان إذا أقام به، قال زهير:

---

١- التبيان- ١٧٧/٥.

٢- ديوان ابي الاسود الدؤلي وروايته "وفيهم أسوة إن كان غيا" الاغاني- ١١٣.

٣- سبأ- ٢٤.

٤- التبيان- ٣٠٧/١.

٥- التبيان- ٢٤١/٥.

٦- التبيان- ٦٠/١.

لِمَنِ الديارُ غشيتُها بالغَدْفَدِ  كالوحى في حجرِ المسيلِ المخلدِ[١]

وقال مالك بن نويرة:

بأبناء حي من قبائل مالك  وعمرو بن يربوع اقاموا فأخلدوا[٢]"

٤. واستشهد ببيت الخنساء على المعنى اللغوي لكلمة "استفش وتفشى" قال: "قالت الخنساء:

أرعى النجومَ وما كِلِفْتُ رعيتُها  وتارةً أتفشّى فَضْلَ أطماري[٣]"

٥. واستشهد ببيت أبي ذؤيب الهذلي على المعنى اللغوي لكلمة "مشيج" قال: "و مشيج أي مخلوط.... وقال أبو ذؤيب:

كأنَّ الريش والفوقين منه  خلال النصل سيط به مشيجُ[٤]"

٦. واستشهد ببيت حسان بن ثابت على المعنى اللغوي للكلمة "واصب" قال: "وصب الدين يصب وصوبا، ووصباً... وقال حسان:

غيرته الريح تسفي به  وهزيمٌ رعدُه واصب[٥]"

**شعراء الطبقة الثالثة:**

**أ- الشواهد النحوية:**

١. استشهد ببيت الفرزدق على أن(كم) المبهمة الخبرية تفيد التكثير قال:"(وكم) تدخل في الخبر بمعنى التكثير. فأما في الاستفهام فلا، لان الاستفهام موكول الى بيان المجيب والخبر الى بيان(المخبر) وانما

---

١- ديوان زهير-٢٦٨. و"الغدفد" الغلاة التي لا شئ بها. وقيل: هي الارض الغليظة ذات الحصى، و"حجر المسيل" هو حجر صلب يكتبون فيه.

٢- الاصمعيات- ٣٢٣.

٣- ديوان الخنساء- ١٠٩.

٤- مجاز القرآن للفراء- ٢٧٩/٢. التبيان- ٢٠٧/١٠.

٥- ديوان حسان بن ثابت -٢١، دار بيروت. والتبيان- ٣٩٠/٦. وتفسير الطبري- ٧٤/١٤.

دخلها التكثير، لأن استبهام العدد أن يظهر أو يضبط إنما يكون لكثرته في غالب الامر، (فكم) مبهمة قال الفرزدق:

كم عمةٍ لكَ يا جريرُ وخالةٍ فَدّعاء قد حَلَبَتْ عليَّ عشاري[١]

فدل ب(كم) على كثرة العمات"[٢].

٢. استشهد ببيت جرير على نصب "ويل، ويح، ويس" مع اللام قال: "وقد نصب قوم مع اللام فيقولون ويلا لزيد، ويحا لخالد.

قال الشاعر:

كسا اللؤمُ تيماً خضرةً في جلودِها فويلاً لتيمٍ في سرابيلِها الخُضرِ[٣]"

٣. واستشهد ببيت الكميت على "عشار" في العشرة قال: "ولم يسمع في ما زاد عليه مثل خماسي ولا المخمس ولا السداس والسباع الا بيت للكميت فانه يروي في العشرة عشار وهو قوله:

فَلمَ يَسْتر يثوك حتَى رميت فوق الرجالِ خصالا عشارا[٤]

يريد عشرا"[٥].

**ب- الشواهد اللغوية:**

١. واستشهد ببيت ذي الرمة على المعنى اللغوي لكلمة "أوجس" قال: "وقوله: "أوجس منهم خيفةً"[٦] أي أضمر الخوف منهم، والإيجاس الاحساس، قال ذو الرمة:

---

١- ديوانه- ٤٥١، الكتاب لسيبويه- ٢٥٣/١، وشرح المفصل لابن يعيش -١٣٣/٤.

٢- التبيان- ٣٤٥/٤.

٣- التبيان- ٣٢١/١، كتاب سيبويه- ١٦٧/١، وديوانه-٢١٢.

٤- مجاز القرآن للفراء- ١١٦/١، الاغلني- ١٣٩/٣، والخصائص- ١٨١/٣.

٥- التبيان- ١٠٧/٣.

٦- هود- ٧٠.

وقد تَوْجّسَ ركزّاً مغفراً ندساً  بنبأةِ الصوتِ ما في سمعِهِ كَذِبُ[١]

اي تجسيس"[٢].

٢. واستشهد ببيتين لابن النجم على جواز فتح الطاء من "قطران" وأنها لغة. قال: "ويجوز فتحها، قال ابو النجم:

جونٌ كأن العرق المنتوحا  ألبسَهُ القطَرانَ والمُسوحا[٣]

فكسر القاف وقال ايضا:

كأن قَطِراناً إذا تلاها  ترمي به الريحُ إلى مجراها[٤]".

٣. واستشهد ببيت لرؤبة ايضا على أن "عضين" عضة منقوصة الواو قال: "مثل عزه عزين.... وقال رؤبة:

وليس دينُ اللهِ بالمعضى[٥] ".

---

١- ديوانه-٦١، والمنصف لابن جني- ٥٦/٣، ومجمع البيان- ١٧٨/٣.

٢- التبيان- ٢٩/٦.

٣- التبيان- ٣١١/٦، المحتسب لابن جني- ٣٦٧/١.

٤- تفسير الطبري (الطبعة الاولى) - ١٥٣/١٣.

٥- التبيان- ٣٥٤/٦، شذور الذهب لابن هشام- ٦٠، وشرح الاشموني لألفية ابن مالك- ٨٤/١. وعلق الاستاذ عبد السلام هارون عليه بقوله: "نسب في شرح الاشموني الى ذي الرمة خطأ وليس في ديوانه ولا ملحقاته" معجم شواهد العربية الاستاذ عبد السلام هارون- ٤٩١.

ومن الشعراء الذين استشهد بشعرهم الطوسي كثير[١]، وجميل[٢] ومسكين الدرامي[٣] وعبد الله بن قيس الرقيات[٤] ويزيد بن مفرغ الحميري[٥] والعجاج[٦] والاحوص[٧].

وأغلب شواهد الطوسي لا ينسبها إلى أصحابها، إلا أن جميعها منسوبة في كتب كبار النحويين إلاّ ما ندر.

والطوسي عندما يريد أن يرجح إعرابا أو يقر قاعدة نحوية أو يطرح رأيا فانه لا يكتفي بشاهد واحد بل يأتي بعدة شواهد تثبيتا وتعضيدا لما يراه–فهو في هذا يتابع البصريين الذين لا يعتدون بالشاهد الواحد. ولا يكتفي بالشواهد الشعرية بل يقدم عليها الشواهد القرآنية، ثم يضم الشواهد الشعرية إليها. ومن ذلك عند توجيهه لقراءة "وأمسحوا برؤسِكُمُ وأرجُلَكم إلى الكعبينِ" بنصب(ارجلكم) قال: "وأما القراءة بالنصب، فقد بينا أنها معطوفة على موضع الرؤوس لان موضعها النصب، والحكم فيها المسح والعطف على الموضع جائز لأنهم يقولون: لست بقائم ولا قاعدا. ويقولون: حسبت بصدره وصدر زيد، وان زيدا في الدار وعمرو، فيرفع عمرو بالعطف على الموضع. وقال الشاعر:

معاويَ إننا بشرٌ فاسجِحْ فَلَسْنا بالجبالِ ولا الحديدا[٨]

وقال آخر:

---

١– التبيان– ٢٥٢/١، ٣٢٧، ٦٢، ١٨٢/٩.

٢– التبيان– ٤٠٦/٦.

٣– التبيان– ٩٠/١، ١١٣/٢، ٤٣/٥، ٩٨/٣، ٣٢٧/٦.

٤– التبيان– ٦١/١، ٥٠٩/٦.

٥– التبيان– ٤٢٥/٣، ٢١٤/١، ٢٦٧.

٦– التبيان– ٤٥٩/٢، ٤٨٧/٦، ١١٨/٧، ٨١/٨.

٧– التبيان– ٤٢٥/٣، ١٥/٧، ٥٥٢/٨.

٨– قائله عقيبه الاسدي وقيل عبد الله بن الزبير– كتاب سيبويه ٣٤/١ وشرح الاشموني ١٠٩/٢ وانظر معجم شواهد العربية للأستاذ عبد السلام هرون ٩٧.

هل انت باعثُ دينارٍ لحاجتِنا أو عبدَ ربِ أخا عونِ بنَ مخراقِ[١]

وانما نصب عبد رب، لان التقدير باعث دينارا، فحمله على الموضع".[٢]

ومن ذلك أنه استشهد على مجيء "إلى" بمعنى "مع" في قوله تعالى "وأيديكم إلى المرافق"[٣] قال:"(والى) في الآية بمعنى(مع) كقوله "تأكلوا أموالهم إلى أموالكم"[٤] وقوله: "مَنْ أنصاري إلى اللهِ"[٥] واراد بذلك (مع.. قال امرؤ القيس:

له كفلٌ كالدعصِ لبّدَهُ النّدى إلى حارِكٍ مثلَ الرتاجِ المضّببِ[٦]

وقال النابغة الجعدي:

ولوحُ ذراعينِ في بركةٍ الى جؤجؤٍ رهلِ المنكب[٧]

اراد مع حارك ومع رهل"[٨].

ومن ذلك أن الطوسي جاء بسيل من الشواهد من الآيات الكريمة والشعر يستشهد بها على ان "اللام" في قوله تعالى: "إنَما نُملي لهم ليزدادوا إثما"[٩] للعاقبة وليست بلام الغرض "التعليل".

---

١- قائله الاقيشر الاسدي انظر المقتضب للمبرد ٢١/١، وشرح الجمل للزجاجي ١٣٤.

٢- التبيان- ٤٤٧/٤.

٣- المائدة- ٦.

٤- النساء- ٢.

٥- آل عمران- ٥٢.

٦- التبيان-٣/٤٥٠، وديوانه-٤٢.

٧- ديوانه- ٢٦.

٨- التبيان- ٣/٤٥٠-٤٥١.

٩- آل عمران-١٧٨.

قال: "معنى اللام هنا للعاقبة وليست بلام الغرض. كأنه قال: ان عاقبة[١] أمرهم ازدياد الإثم كما قال: "فالتقطتهُ آلُ فرعونَ ليكونَ لهم عدوّاً وحَزنا" وكما قال: "وجَعَلَ للهِ أنداداً ليضُلَ عن سبيلِهِ" [٢] وكقوله: "لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الارض... " الى قوله: "ليجعلَ اللهُ ذلك حسرةً في قلوبِهِم"[٣] وما قالوا ذلك ليكون حسرة وإنما كان عاقبته كذلك، قال الشاعر:

وأُمّ سماك فلا تجزعي  فللموتِ ما تلدُ الوالده[٤]

وقال آخر:

أموالُنا لذوي الميراثِ نجمَعُها  ودوُرنا لخرابِ الدهرِ نبنيها[٥]

قال آخر:

لِدُوا للموتِ وابنُوا للخرابِ  فُكلُّكُم يصيُر إلى ذَهابِ[٦] "

ويذكر الطوسي أحيانا الخلاف في رواية الشاهد ومن ذلك أنه عندما استشهد ببيت ابي طالب عم النبي–صلى الله عليه وآله وسلم– ذكر الرواية الثانية للبيت قال:" وقال أبو طالب ايضا:

بميزانِ قسطٍ لا يخيسُ شعرةً  له شاهدٌ في نفسِهِ غيرُ عائلِ[٧]

وروي: لا يضل شعيرة"[٨].

وذكر الطوسي انشاد الغراء للبيت:

---

١– القصص–٨.

٢– آل عمران – ١٧٨.

٣– آل عمران– ١٥٦.

٤– قائله سماك العاصي أو ابن الزهيري. انظر مغني اللبيب لابن هشام ٢١٤.

٥– حاشية الدمنهوري على متن الكافي ص٨٩ ولم ينسبه.

٦– التبيان– ٦٠/٣.

٧– سيرة ابن هشام– ٣٩٦/١. وفي البيت رواية أخرى هي (بميزان صدق).

٨– التبيان– ١٠٨/٣.

وقفنا فقلنا أيهِ سلّم فسلّمت كما اكتلَّ بالبرق الغمام اللوائح[١]

قال الطوسي: "وروي كما أنكل"[٢]

وذكر بيت لبيد:

ان يغبطوا يهبطوا وإن آمروا يوماً يصيروا للهلاكِ والفند[٣]

قال الطوسي: "وروي والكند"[٤].

وعنى الطوسي بأقوال وأمثال العرب في الاستشهاد، ومن ذلك استشهاده بقول العرب، على الاجتزاء بذكر الاسم عن ذكر فعله للعلم به، قال: "يقول العرب: إذا سرك أن تنظر الى السخاء، فانظر الى هرم أو- الى حاتم، فيجتزئون بذكر الاسم عن ذكر فعله، للعلم به"[٥].

وعند توجيهه لقراءة "فأنّه آثم قلبُهُ"[٦] بنصب "قلبه" قال: "فان صح فهو من قولهم: سفهت نفسك وآثمت قلبك"[٧].

واستشهد لجواز مجيء (الى) بمعنى (مع) ب "الذود الى الذود ابل" قال: "وانما جاز ان تكون(الى) بمعنى (مع) لما دخل الكلام في معنى الاضافة، ومعنى المصاحبة، ونظيره (الذود الى الذود ابل) اي مع الذود"[٨].

---

١- تفسير الطبري- ٣٩/١٢.

٢- التبيان- ٢٦/٦.

٣- الشوكاني الفتح القدير- ٢٠٧/٣.

٤- التبيان- ٤٦١/٦.

٥- التبيان- ٣٥٥/١.

٦- البقرة-٢٨٣.

٧- التبيان- ٣٨١/٢.

٨- التبيان- ٤٧٣/٢.

### ٢- موقفه من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين:

في أواخر القرن الثالث الهجري وصل النحو الى طوره الثالث فنضج وكمل بعد تطاحن وتنازع بين المدرستين البصرية والكوفية، وأرست في هذه الحقبة من الزمن كل من المدرستين قواعدهما، وتميزت ملامح ومبادئ كل مدرسة عن الاخرى.

وعلماء النحو بعد ذلك ما بين مؤيد للبصريين او للكوفيين وبين مازج بين المذهبين مختار منهما، اي ان حدة التنازع بين علماء المذهبين قد انكسرت في القرن الرابع الهجري وبدأ علماء النحو بعرض منهج ومادة المذهبين "على بساط البحث والنقد، فاستعرضوا دعائم القواعد التي تركزت عليها من الرواية والشواهد والاقيسة، ليتعرفوا مقدار هذه القواعد من الصحة والضعف حتى يتبنى حكمهم في الاختيار على أساس غير منهار"[١].

وبعد هذا الجهد من علماء النحو في بحثهم ونقدهم للمذهبين المتنافسين بدأ طور جديد للنحو على يد علماء هذه الفترة الزمنية، حيث بدأ دور الاختيار والترجيح "فجعل العلماء يأخذون من هذا المذهب مسألة ومن ذلك أخرى...وهكذا دواليك تبعا لما تترجح كفتها عند النظر"[٢].

ومن خلال تجوالهم بين قواعد المذهبين تمكن علماء هذا القرن في بغداد من العثور على قواعد جديدة لا تمت الى المذهبين بصلة تولدت تلك القواعد والنظرات من اجتهادهم وأقيستهم ومن خلال نظرتهم الى النصوص والرواية. لا سيما أن سلائق العرب ما زالت سليمة في البوادي حتى اواسط القرن الرابع الهجري.

فذهب بعض العلماء الى أنه قد ظهر من خلال ذلك مدرسة جديدة لها مميزاتها وخصائصها، وهي نفس الوقت مزيج من كلا المدرستين أطلقوا عليها اسم "المدرسة البغدادية" – سأعرض ان شاء الله تعالى لتفصيل البحث في هذا الموضوع عند الحديث عن مذهب الطوسي النحوي– وعلى هذا يمكن القول بأن العلماء الذين عاشوا بعد هذه الفترة لا تتحدد نسبتهم الى المذهب البصري او الكوفي فحسب بل يمكن نسبتهم الى غير هذين المذهبين على خلاف في تسمية ما ينسبون اليه.

---

١– نشأة النحو– ١٧١.

٢– نفس المصدر– ١٨٥.

وبما ان الطوسي نشأ في اواخر القرن الرابع الهجري وعاش في بغداد فلا شك أن احتمال تأثره بهذه النزعة كبيرا. ومن هنا يتحدد موقفه من مسائل الخلاف بين المذهبين، وهذه بعض الامثلة لمسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين وموقف الطوسي منها:

١. يرى الكوفيون جواز مجيء "إنْ" بمعنى "اذ"، ولا يجيز البصريون ذلك.[١] ويوافق الطوسي البصريين في هذا الرأي ويرد على الكوفيين قال: "ومعنى قوله:(إنْ كنتم صادقين)[٢] شرط. كأنه قيل: ان كنتم صادقين في الاخبار بذلك، وليس(إن) بمعنى(اذ) على ماحكاه الكسائي عن بعض المفسرين، لأنها لو كانت كذلك، لكانت(أن)–بفتح الهمزة– وتقديره ان كنتم محققين إيمانكم، فافعلوا كذا وكذا، لأن(إذ) إذا تقدمها فعل مستقبل صارت علّة للفعل وسببا له. كقولك: اذ قمت أي: من أجل أن قمت، فلو كانت(إن) في الآية بمعنى اذ، كان التقدير: أنبئوني بأسماء هؤلاء من أجل انكم صادقين، وإذا وضعت(إن) مكان ذلك، وجب أن تفتح الألف وذلك خلاف ما عليه القراء"[٣].

٢. يرى الكوفيون أن الاسم مشتق من(الوسم)، ويرى البصريون اشتقاقه من "السمو"[٤]، ويتابع الطوسي البصريين في هذه المسألة: "والاسم مشتق من السمو وهو الرفعة والأصل فيه سمو بالواو، وجمعه أسماء مثل قنو وأقناء، وحنو وأحناء. وإذا صغرته قلت سُمَيٌ قال الراجز:

باسم الذي في كلّ سورةٍ سمه[٥]

ثم يعرض رأي الكوفيين بدون أن ينسبه اليهم ويشرع بالرد عليه قال: "وقيل: إنه مشتق من وسمت، وذلك غلط. لأن ما حذفت واو الفعل منه لا يدخله ألف الوصل: نحو عدة ووعد، وزنة ووزن. لما حذفت الفاء

---

١– الانصاف– ٦٣/٢. ومغني اللبيب– ٢٦. وخزانة الادب للبغدادي– ٦٥٦/٣. اثناء الشاهد رقم ٦٩٩.

٢– البقرة– ٣١.

٣– التبيان– ١٤٠/١.

٤– الانصاف– ٦/١، أوضح المسالك لابن هشام شاهد رقم (٥).

٥– التبيان– ٢٧/١.

لم تدخل عليه الألف. وأيضا كان يجب إذا صغر أن يرد الواو فيقال: وسيم، كما يقال: وعيدة ووزينة ووصيلة في تصغير عدة وزنة وصلة والأمر بخلافه"[١].

٣. ويرى الكوفيون أن الفعل ينتصب بعد لام الجحود باللام نفسها ويخالفهم البصريون فيرون أنه ينتصب بأن مضمرة.[٢]

ويتابع الطوسي البصريين في هذه المسألة. فعند إعرابه لقوله تعالى: "وما كانَ اللهُ ليضيعَ إيمانكم"[٣]. قال: "واما اللام... في قوله: "وما كانَ اللهُ ليضيعَ إيمانكم" فلام الجحد، وأصلها لام الاضافة، والفعل نصب بإضمار (أن)، ولا يظهر بعدها(أن)، لأن التأويل: ما كان الله مضيعا إيمانكم، فلما حمل معناه على التأويل، حمل لفظه أيضا على التأويل من غير تصريح بإظهار (أن)."[٤]

٤. ويرى الكوفيون ان(رب) اسم ويرى البصريون انها حرف جر[٥]. ويتابع الطوسي البصريين، فيقول عند اعرابه لقوله تعالى: "وكم من قريةٍ أهلكناها"[٦]. "كم لفظة موضوعة للتكثير و(رب) للتقليل. وانما كان كذلك لان(رب) حرف، و(كم) اسم. والقليل ضرب من النفي"[٧].

٥. ويرى الكوفيون أن اللام إذا وقعت بعد أنْ الخفيفة فان(أنْ) بمعنى(ما) واللام بمعنى(إلاّ)، في حين يرى البصريون ان(أنْ) مخففة من الثقيلة واللام للتأكيد[٨].

---

١- التبيان- ٢٧/١.

٢- الانصاف- ٥٩٣/٢ وشرح المفصل لابن يعيش- ٩٣٦. وشرح الرضي على الكافية- ٢٣٣/٢.

٣- البقرة- ١٤٣.

٤- التبيان- ٧/٢.

٥- الانصاف- ٨٣٢/٢ وشرح الرضي على الكافية- ٣٠٧/٢.

٦- الاعراف- ٤.

٧- التبيان- ٣٤٤/٤.

٨- الانصاف- ٦٤٠/٢ ومغني اللبيب لابن هشام- ٢٣٢ وما بعدها.

ويرجح الطوسي رأي البصريين في هذه المسألة، فعند إعرابه لقوله تعالى: "وإنْ كانت لكبيرةٌ"[١]، قال: "واللام في قوله: "وان كانت لكبيرة" لام تأكيد، وهي تلزم أن المخففة من الثقيلة، لئلا تلبس بأن التي بمعنى ما، كقوله تعالى: "إن الكافرون الاّ في غُرُورٍ"[٢]، وهي لام ابتداء أخرت الى الخبر في باب(أن) خاصة"[٣].

٦. يرى الكوفيون أن الضمير المنصوب في نحو: إياي وإياك وإياه، أنما هو الياء والكاف والهاء. ويرى البصريون ان الضمير في ذلك هو(إيا)[٤] والكاف والهاء والياء حروف ليس لها محل من الاعراب.

وذهب الخليل الى أن "إيا" اسم مضمر أضيف الى الكاف والهاء والياء لعدم وقوعه معرفة، ولكون لا يفيد معنى بانفراده. وذهب المبرد الى أنه اسم مبهم أضيف للتخصيص.

ويرى الزجاج أن "ايا" اسم مظهر خص بالإضافة الى سائر المضمرات وفي هذه المسألة يخالف الطوسي البصريين، ويوافق رأيه رأي الزجاج[٥] فعند اعرابه لقوله تعالى: "إياك نعبْدُ"[٦]، قال: "إياك نصب بوقوع الفعل عليه، وموضع الكاف في اياك خفض بإضافة إيا اليها وايا اسم للضمير المنصوب، الا أنه ظاهر يضاف الى سائر المضمرات، نحو قوله: إياك ضربت وإياه ضربت، وإياي ضربت. ولو قلت: إيا زيد حدثت، كان قبيحا لأنه خص به المضمر، وقد روى الخليل جوازه، وهو قولهم: إذا بلغ الرجل الستين فإياه وايا الشواب"، وبعد أن يعرض الطوسي رأيه رد على من قال بأن "إياك" جميعا اسم فيقول: "ومن قال إن إياك بكماله اسم فقد أخطأ لأنه لو كان كذلك لما أضيف، كما حكيناه في قولهم إياه وإيا الشواب، لأنهم أجروا الهاء فيه مجرى الهاء في عصاه"[٧]. ففي هذه المسألة لم يتابع الطوسي الكوفيين ولم يوافق البصريين.

---

١- البقرة- ١٤٣.

٢- الملك- ٢٠.

٣- التبيان- ٧/٢.

٤- الانصاف- ٦٩٥/٢، مغني اللبيب لابن هشام- ٢٣٢ وما بعدها، شرح الأشموني- ٢٦٧/١.

٥- الانصاف- ٦٩٥/٢.

٦- الفاتحة- ٥.

٧- التبيان- ٣٧/١.

٧. "ذهب الكوفيون الى أن نعم وبئس اسمان مبتدأن، وذهب البصريون الى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان واليه ذهب علي بن حمزة والكسائي من الكوفيين"[١]. ويرى الطوسي رأي البصريين في هذه المسألة فعندما يعرب قوله تعالى: "لبئسَ ما كانوا يَصْنعُون"[٢] يقول: "وقوله "لبئس ما" اللام فيه لام القسم، ولا يجوز أن تكون لام ابتداء، لأنها لا تدخل على الفعل الا في باب(أن) خاصة لأنها زحلقت عن الاسم الى الخبر لئلا يجمع بين حرفين في موضع واحد والصنع والعمل واحد"[٣].

٨. ذهب الكوفيون الى أن "أو" تأتي بمعنى الواو، وذهب البصريون الى أنها لا تأتي بمعنى الواو[٤].

ويتابع الطوسي البصريين في هذه المسألة، فعند إعرابه لقوله تعالى: "وإنْ تلووا أو تُعرضوا"[٥]، يذكر رأي من قال مجيء(أو) بمعنى الواو، ثم يذكر تأويلين للآية الكريمة احدهما، قال: "وروي عن ابن عباس أنه قال: هما الرجلين يجلسان بين يدي القاضي، فيكون لي القاضي وإعراضه لاحدهما على الآخر "والتأويل الثاني" معناه: وإن تلووا أيها الشهداء في شهادتكم، فتحرفوها، فلا تقيموها أو تعرضوا عنها، فتتركوها" ويرجح الطوسي هذا التأويل الذي لا تأتي به(أو) بمعنى الواو، في حين تأتي(أو) بمعنى الواو بالتأويل الأول. قال الطوسي: "وأولى التأويلين قول من قال: انه لي الشهادة لمن شهد له أو عليه بان يحرفها بلسانه أو يتركها فلا يقيمها، ليبطل بذلك شهادته وأعراضه عنها"[٦].

---

١- الانصاف- ٩٧/١، وشرح الأشموني-١٩٢/٤.

٢- المائدة- ٦٣.

٣- التبيان- ٥٧٩/٣.

٤- الانصاف- ٤٧٨/٢ وشرح الأشموني مع حاشية ابن الصبان- ٩٣/٣.

٥- النساء- ١٣٥.

٦- التبيان- ٣٥٦/٣.

في حين يرى الطوسي في موضع آخر أن(أو) تأتي بمعنى الواو، فعندما يفسر قوله تعالى: "فلا تُطِعْ منهم آثما أو كفورا" يقول: "وهو نهى عن الجمع والتفريق أي لا تطع آثما ولا كفورا كما يقول القائل: "لا تفعل معصية صغيرة أو كبيرة" أي لا تفعلهما ولا واحدة منها"[١].

٩. ذهب الكوفيون الى جواز وقوع الواو العاطفة زائدة والى ذلك ذهب أبو الحسن الاخفش وأبو العباس المبرد وأبو القاسم بن برهان من البصريين، ويرى البصريون عدم زيادة الواو العاطفة[٢]. ويتابع الطوسي البصريين في هذه المسألة. فعند اعرابه لقوله تعالى: "أوَ كلُّما عاهدوا عهداً نبذَه فريقٌ منهُمْ"[٣] قال: "الواو في قوله "أو كلما" عند سيبويه وأكثر النحويين واو العطف. إلاّ أن ألف الاستفهام دخلت عليها، لأن لها صدر الكلام، وهي أو الاستفهام بدلالة ان الواو تدخل على هل، لأن الألف أقوى منها.... ,قال بعضهم يحتمل أن تكون زائدة كزيادة الفاء في قولك: أفاللهِ لتصنعن. والأول- أصح لأنه لا يحكم بالزيادة مع وجود معنى من غير ضرورة"[٤].

١٠. ذهب الكوفيون الى أن "كيف" يجازى بها كما يجازى ب(متى) وأينما وما أشبههما في كلمات المجازاة. وذهب البصريون الى أنه لا يجوز أن يجازى بها[٥]. ويوافق الطوسي البصريين في هذه المسألة. فعندما يعرب قوله تعالى: "وما يفعلَوا مِنْ خيرٍ فَلَنْ يُكْفَروُهُ واللهُ عليمٌ بالمتقين"[٦] يقول: "وانما جوزى بـ(ما) ولم يجاز بـ (كيف)، لأن(ما) أمكن من(كيف) لأنها تكون معرفة ونكرة، لأنها للجنس و(كيف) لا تكون الا نكرة، لأنها للحال والحال لا تكون الا نكرة، لأنها للفائدة"[٧].

---

١- التبيان- ٢١٩/١٠.

٢- الانصاف- ٤٥٦/٢، ومغني اللبيب- ٣٦٢، شرح رضي الدين على الكافية- ٣٤٢/٢.

٣- البقرة- ١٠٠.

٤- التبيان- ٣٦٦/١.

٥- الانصاف- ٦٤٣/٢، ومغني اللبيب- ٢٠٥، وشرح الشموني بحاشية ابن الصبان- ١١/٤.

٦- آل عمران- ١١٥.

٧- التبيان- ٥٦٧/٢.

١١. يرى الكوفيون أنه إذا اجتمع في أول الفعل المضارع تاءان: تاء المضارعة وتاء أصلية، فان المحذوف منهما تاء المضارعة دون الأصلية نحو: "تتناول" تصبح "تناول". ويرى البصريون: ان حذف الأصلية أولى من حذف الزائدة لأن الزائدة دخلت لمعنى وهو المضارعة. ولم تدخل الأصلية لمعنى، فلما وجب حذف أحدهما كان حذف ما لم يدخل لمعنى أولى[١].

ويتابع الطوسي البصريين في هذه المسألة، فعند إعرابه لقوله تعالى: "واعتصمُوا بحبلِ اللهِ جميعاً ولا تَفرّقُوا"[٢]، قال: "وقوله (ولا تَفرّقُوا) أصله ولا تتفرقوا فحذفت احدى التاءين، لاجتماع المثلين والمحذوف الثانية" ثم يعلل سبب حذف الثانية بقوله: "لأن الأولى علامة الاستقبال"[٣].

١٢. ذهب الكوفيون الى أنه يجوز الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف وحرف الخفض لضرورة الشعر. وذهب البصريون الى أنه لا يجوز ذلك بغير الظرف وحرف الجر[٤].

ويتابع الطوسي البصريين في هذه المسألة، فلا يجيز الفصل بين المضاف والمضاف اليه ويعتبر قراءة "مُخْلِف وعدَه رسله" بالنصب ل(وعد) شاذه رديئه وذلك "لأنه لا يجوز أن يفصل بين المضاف والمضاف اليه"[٥]. ثم يذكر شاهد الفراء في جواز ذلك قال: "وانشد الفراء:

فَزَجَجْتُها بمزجةٍ زجَّ القلوصِ أبي مزاده[٦]

والمعنى زج أبي مزادة القلوص" ثم يعلق الطوسي على هذا الشاهد بقوله: "والصحيح ما عليه الفراء، وتقديره مخلفَ وعدهِ رسُلَهُ. كما تقول: هذا معطي زيدٍ درهما، والمعنى مخلف رسله وعده"[٧].

---

١- الانصاف- ٢٤٨/٢.

٢- آل عمران- ١٠٣.

٣- التبيان- ٥٤٦/٢.

٤- الانصاف- ٤٢٨/٢.

٥- التبيان- ٣٠٨/٦.

٦- معاني القرآن للفراء- ٨١/٢ تحقيق الاستاذ محمد علي النجار- الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.

٧- التبيان- ٣٠٩/٦.

وذكر الطوسي في موضع آخر رأيه في الفصل بين المضاف والمضاف اليه عند توجيهه لقراءة ابن عامر "زُيِّن لكثيرٍ مِنَ المشركين قَتْل أولادِهِم شركائُهُم"[١] بضم الزاي، ونَصب "الاولاد" وخفض "شركائهم"، قال: فوجه قراءة ابن عامر أنه فرق بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول والتقدير: قتل شركائهم أولادهم، وشركاؤهم فاعل القتل، وانما جر بالإضافة. وفي أضاف القتل الى الأولاد في القراءة الأخرى، يكون الأولاد في موضع النصب، وهو مفعول به بالقتل وأنشدوا فيه بيتا على الشذوذ أنشده بعض الحجازيين ذكره أبو الحسن:

فَزَجْجتهُا بمزجةٍ  زَجَّ القلوصِ أبي مزادة

وذلك لا يجوز عند أكثر النحويين لأن القراءة لا يجوز حملها على الشاذ القبيح، ولأنه إذا ضَعفَ الفصل بالظرف حتى لم يجز الا في ضرورة الشعر كقول الشاعر:

كما خطَ الكتابُ بكفِّ يوما يهودي ..... [٢]

فأن لا يجوز في المفعول به أجدر، ولم يكن بعد الضعف إلاّ الامتناع"[٣]

١٣. ذهب الكوفيون الى جواز العطف على الضمير المخفوض بدون اعادة الخافض وله شواهد كثيرة على ذلك. ولم يجز البصريون هذا العطف في سعة الكلام[٤].

ويذهب الطوسي مذهب البصريين فلا يجيز هذا العطف الا بإعادة الخافض وعند إعرابه لقوله تعالى: "واتّقُوا اللهَ الذي تَساءلُون بِهِ والأرحامَ"[٥] بنصب الأرحام. يذكر أنها هي القراءة المختارة. وأما القراءة بالجر للأرحام عطفا على موضع "به" فلا يجيز مثل ذلك الا في ضرورة الشعر ويعتبر الشواهد الشعرية التي احتج بها الكوفيون في هذا الموضوع إنما هي للضرورة. ثم يقول معقبا على ذكره لشواهدهم: "ومثل ذلك لا يجوز

---

١- الأنعام- ١٣٧.

٢- قائله أبو حيان النمري، شرح ابن عقيل ٢/ ٦ وتمامه: كما خط الكتاب بكف يوما  يهودي يقارب أو يزيل

٣- التبيان- ٢٦٨/٤.

٤- الانصاف- ٤٦٢/٢.

٥- النساء- ١.

في القرآن والكلام"[١]. ثم يذكر دليلا شرعيا مفاده: ان هذا العطف يؤدي الى القسم بالرحم، والقسم يختص بالله تعالى فيحدث تضارب بين المسألة الشرعية والمسألة النحوية الكوفية- قال: "وقال إسماعيل بن اسحاق: الحلف بغير الله أمر عظيم، وان ذلك خاص لله تعالى، وهو المروي في أخبارنا"[٢].

ويوافق الطوسي إعراب البصريين عند اعرابه لقوله تعالى: "وجَعَلْنَا لَكُمْ فيها معايش وَمَنْ لَسْتُم لهُ برازقين"[٣]. فيقول: "وقوله: (من لستم له برازقين)، (من) في موضع نصب عطفا على معايش"[٤]. بينما يعرب الكوفيون(من) في موضع خفض، بالعطف على الضمير المخفوض في(لكم) [٥].

١٤. "ذهب الكوفيون الى أن، الميم المشددة في "اللّهم" ليست عوضا عن "يا" التي للتنبيه في النداء. وذهب البصريون الى أنها عوض من (يا) التي للتنبيه في النداء"[٦]. ويتابع الطوسي البصريين في هذه المسألة فعند اعرابه لقوله تعالى: "دَعْواهُم فيها سبحانَكَ اللّهم وتحّيتُهُم فِيهَا سَلُامٌ"[٧]. قال: "والميم في (اللهم) بمعنى(يا) كأنه قال: يا الله، ولم يجعل في موضع(يا) لئلا يكون كحروف النداء التي تجري في كل اسم"[٨].

١٥. ذهب الكوفيون الى أن "الآن" مبني، لأن الألف واللام دخلتا على فعل ماض من قولهم "آنَ يئين" أي حان، وبقي الفعل على فتحته.

---

١- التبيان- ٩٨/٣.

٢- التبيان- ٩٩/٣.

٣- الحجر- ٢٠.

٤- التبيان- ٣٢٦/٦.

٥- الانصاف- ٤٦٤/٢.

٦- الانصاف- ٣٤١/١، وشرح الكافية- ١٣٢/١، وخزانة الأدب للبغدادي- ٣٥٨/١.

٧- يونس- ١٠.

٨- التبيان- ٣٤٤/٥.

وذهب البصريون الى أنه مبني لأنه شابه اسم الإشارة، ولهم فيه أقوال أخر. وذهب أبو سعيد السيرافي ت ٣٦٨هـ الى أنه "انما بني لأنه لمّا لزم موضعا واحدا أشبه الحرف، لأن الحروف تلزم مواضعها التي وضعت فيها في أوليتها، والحروف مبنية، فكذلك ما أشبهها"[١].

ويتابع الطوسي البصريين في هذه المسألة ويرجح رأي أبي سعيد السيراقي فعند إعرابه لقوله تعالى: "أَثُمَّ إذا ما وَقَعَ آمنتُم بِهِ الآنَ وقد كُنْتُم بِهِ تستعجلونَ"[٢]، قال: "وقوله (الآن) مبني على الفتح لأن تعريفه كتعريف الحرف في الانتقال من معنى الى معنى" ثم يورد معناه عند سيبويه فيقول: "ومعناه عند سيبويه: أنحن من هذا الوقت نفعل كذا" ثم يورد رأي الفراء: " قال الفراء: أصلها (آن) دخلت عليه الألف واللام وبنيت كالذين، ودخول الألف واللام على اللزوم لا يمكنه، كما لا يمكن الذي"[٣].

١٦. "ذهب الكوفيون الى أنه يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل في اختيار الكلام، نحو "قمت و زيد". وذهب البصريون الى أنه لا يجوز الا على قبح في ضرورة الشعر"[٤]. ويتابع الطوسي البصريين في هذه المسألة. فعند إعرابه لقوله تعالى: "فاذهَبْ أنتَ ورُّبك"[٥]، قال: "إنما أبرز الضمير ليصح العطف عليه، لأنه لا يجوز العطف على الضمير قبل أن يؤكد. وإنما جاز في قوله: "فأجمِعُوا أمرَكُم وشُركاءكُم"[٦] ذلك، لأن ذكر المفعول صار عوضا عن المنفصل مثل(لا) في "لَوْ شاءَ اللهُ ما أَشركنَا ولا أَبَاؤُنَا"[٧].

---

١- الانصاف- ٥٢٠، ٥٢٣.

٢- يونس- ٥١.

٣- التبيان- ٣٩١/٥.

٤- الانصاف- ٤٧٤/٢، ٤٧٥.

٥- المائدة- ٢٤.

٦- يونس- ٧١. ويرجح الطوسي قراءة "فأجمعوا" بقطع الهمزة ويحتج بقوله تعالى "وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم" (يوسف- ١٠٢) قال: والأكثر في الأمر يقال "أجمعت" قال الشاعر:

يا ليت شعري والمنى لا تنفع هل أغدون يوما وأمري مجمع

القرطبي- ٣٦٢/٨، تفسير الطبري- ٩٠/١١.

٧- الانعام- ١٤٨. التبيان- ٤٨٧/٣.

وفي موضع آخر يقول الطوسي: "وجاز قوله" ما أشركنا ولا آباؤُنا" ولم يجز أن يقال: قمنا وزيدٌ، لأن العطف على الضمير المتصل لا يحسن الا بفصل، فلما فصلت (لا) حسن، كما حسن: ما قد قمنا ولا زيدٌ. كان كذلك لأن الضمير المتصل يُغيَّر له الفعل في(فعلت) فيصير كجزء منه".[١]

١٧. ذهب البصريون الى أن اللام في نحو "لَزَيدٌ أفضَلُ من عَمْروٍ" لامُ البتداء، وذهب الكوفيون الى أنها جواب قسم مقدر، والتقدير عندهم: واللهِ لزيدٌ أفضل من عمرو. فأضمر اليمين اكتفاء باللام منها[٢].

ويتابع الطوسي الكوفيين في هذه المسألة ويفرق بين لام الابتداء ولام القسم فعند اعرابه لقوله تعالى: "وَلَئِنْ متُّم أوْ قُتِلْتُمْ لإلَي اللهِ تُحْشَرون"[٣]، يحتمل للام احتمالين: الأول: أنها جواب قسم مضمر. والثاني: أنها مؤكدة لما بعدها، واللام الثانية تكون جوابا لقسم محذوف، ثم يذكر الفروق بين لام الابتداء ولام القسم فيقول: "إن لام الابتداء تصرف الاسم اليه، فلا يعمل فيه ما قبلها نحو (قد عِلمْتُ لزيدٌ خيرٌ مِنْكَ) (وقد عِلِمتُ بأنَّ زيداً ليقدمُ). وليس كذلك لام القسم لا تدخل عل الاسم ولا تكسر لها لام (أن) نحو: قد علمت أن زيدا ليقومن، ويلزمها النون في المستقبل"[٤].

وذكر في موضع آخر عند إعرابه لقوله تعالى: "لأُكفِرَنَّ عَنْكُم سيئاتِكُم"[٥] قال: "اللام جواب القسم. وهو قوله: "لئِن أقمتُم الصلاة" فالأولى لام القسم والثانية جوابه. وقال قوم: كل واحد منهما قسم. والصحيح الأول، لأن الكلام لم يتم في قوله: "لئِنْ أقمتُم الصلاةَ وأتيتُم الزكاة"[٦].

١٨. يرى البصريون عدم جواز الجمع بين اللام وكي وأن، ويرى الكوفيون جواز ذلك[٧].

---

١- التبيان- ٣٠٩/٤.

٢- الانصاف- ٣٩٩/٤.

٣- آل عمران- ١٥٨.

٤- التبيان- ٣٠/٣.

٥- المائدة- ١٢.

٦- التبيان- ٤٦٧/٣، ٤٦٨.

٧- الانصاف- ٢٨٨/١.

ويتابع الطوسي الكوفيين في هذه المسألة فعند اعرابه لقوله تعالى: "ولِتَصْغَى اليهِ أفئدةُ الذينَ لا يؤمِنونَ بالآخِرةِ"[١]. قال: "ولام كي تنصب بإضمار (أن) مثل (حتى) غير أنها قد تظهر مع اللام، ولا تظهر مع (حتى) لأن (حتى) محمولة على التأويل، ومعناها (الى أن) لما في حتى في الاشتراك وليس في اللام حمل على التأويل حرف أخر"[٢].

١٩. يرى البصريون ان الناصب للفعل بعد "حتى" هو "أن" مضمرة وقال الكوفيون أن الناصب للفعل هو "حتى"[٣]. ويتابع الطوسي الكوفيين في هذه المسألة. فعند اعرابه لقوله تعالى: "ولَنْ ترضى عَنْكَ اليهودُ ولا النّصارى حتّى تتَّبِع مِلَّتَهُم"[٤]. قال: " (حتى تتبع) نصب بحتى"[٥].

ثم ينقل رأي البصريين فيقول: "وحكى الزجاج عن الخليل وسيبويه وجمع البصريين أنّ الناصب للفعل "أنْ" بعد حتى، لأن حتى تخفض الاسم في قوله: "حتى مطلع الفجر"[٦]. ولا يعرف في العربية حرف يعمل في اسم وفعل، ولا ما يكون خافضا لاسم، يكون ناصبا لفعل. فصار ذلك مثل قولك: جاء زيدٌ ليضرَبك، فأنها تنصب الفعل بإضمار "أنْ" لكونها جارة للاسم"[٧].

وفي موضع آخر يميز الطوسي في الاعراب والعمل حسب معنى (حتّى) فهو يصرف (حتى) على أربعة أوجه يقول: "تكون حرف جر، وحرف عطف، وناصبه للفعل، وحرف من حروف الابتداء، فالجارة نحو

---

١- الانعام- ١١٣.

٢- التبيان- ٤/٢٤٤.

٣- الانصاف في مسائل الخلاف- ١/٢٢٣.

٤- البقرة- ١٢٠.

٥- التبيان- ١/٤٤١.

٦- القدر- ٧.

٧- التبيان- ١/٤٤١.

هذه التي في الآية قوله تعالى: "لَيَسْجُنُنَّهُ حتّى حين"[١] والعاطفة كقولهم: خرج الناس حتّى الأميرُ، والناصبة كقوله: "حتّى يأتَي وعدُ اللهِ"[٢]، وحرف الابتداء كقولك: سرحت القومَ حتّى زيد مسرّح"[٣].

٢٠. يرى البصريون عدم جواز تأكيد فعل الاثنين وفعل جماعة المؤنث بالنون الخفيفة، ويرى الكوفيون جواز ذلك[٤].

ويتابع الطوسي الكوفيين في هذه المسألة، فعند إعرابه لقوله تعالى: "ولَتَسْمعُنَّ مِنَ الذيَن أُوتوا الكتَاب من قَبْلِكُمْ ومن الذينَ أشرَكوا أذىً كثيراً"[٥].

قال: "واللام لام القسم، والنون دخلت مؤكدة، وضمت الواو لسكونها، وسكون النون. ولم تنصب لأنها واو الجمع فرق بينها وبين واو الاعراب.

ويقال للواحد: لتبلِيَنّ يا رجل، وللاثنينِ لتْبلِيانِ، وبفتح الياء في لتبلِيَن في الواحد عند سيبويه لسكونها وسكون النون، وفي قول غيره تبنى على الفتح لضم النون اليها، كما يبنى ما قبل هاء التأنيث. وللمرأة لتبلِين وللمرأتين لتبليانِ وللنساء لتبتلينان. زيدت الألف لاجتماع النونات"[٦].

وعند توجيه الطوسي للقراءة "محيايْ" بسكون الياء من قوله تعالى: "قُلْ إنَّ صلاتِي ونُسُكي ومحيايَ ومماتِي للهِ ربِّ العالميَن"[٧] يبتدأ بذكر رأي أبي علي الفارس فيها: بأن ذلك "شاذ خارج عن القياس والاستعمال، فشذوذه عن القياس أن فيه التقاء الساكنين، ولا يلتقيان على هذا الحد، وشذوذه عن الاستعمال أنك لا تجده في نظم ولا نثر الا شاذا".

---

١- يوسف- ٣٥.

٢- الرعد- ٣١.

٣- التبيان- ١٣٧/٦.

٤- الانصاف- ٦٥٠/٢، وشرح الأشموني بحاشية الصبان- ١٨٩/٣.

٥- آل عمران- ١٨٦.

٦- التبيان- ٧٢/٣.

٧- الأنعام- ١٦٣.

ثم يوجه الطوسي قراءة "محياي" بالسكون. يقول: "ووجهه ما حكى بعض البغدادين أنه سمع أو حكى له: له ثلثا المال. وليس هذا مثل قوله: "حتّى إذا ادّاركوا فِيَها"[١]. لأن هذا في المنفصل مثل رأيه في المتصل. ومثل ما أجاز يونس من قوله: إضربان زيداً، وسيبويه ينكر هذا من قول يونس"[٢].

٢١. يرى البصريون أن "إنَّ" إذا خُففت جاز أن تعمل النصب. في حين يرى الكوفيون عدم جواز ذلك[٣].

ويتابع الطوسي الكوفيين في هذه المسألة فيقول: "وقوله "وإن كُنْتُم مِنْ قبلِهِ لَمِنَ الضالّينَ"[٤]. معنى (إنّ) ها هنا المخففة من الثقيلة بدلالة دخول لام الابتداء معها وإذا خففت لم تعمل، وجاز دخولها على الاسم والفعل[٥]. كقوله تعالى: "وإنْ كَلٌّ لمّا جميعٌ لديْنَا مُحَضَرون"[٦].

ويعلل الطوسي في موضع آخر السبب الذي يبطل عمل "إنْ" إذا خففت فيقول: "(إنْ) إذا شددت عملت. ولا تعمل إذا خُففت، لأنها مشددة تشبه (كانَ) فلما خففت قلَّ الشبه إلاّ أن يحمل على كان محذوفة، وليس قوة حملها تامة كقوة حملها محذوفة"[٧].

وفي موضع آخر يقول الطوسي "أن (إنَّ) عملت لشبهها بالفعل الماضي من حيث كانت على ثلاثة أحرف مفتوحة الآخر، فهي بمنزلة (كان) الا أنه خولف بعملها لأنها حرف"[٨].

ومن خلال تتبعي لموقف الطوسي من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين والتي جاءت في تفسيره التبيان وجدت أنه يوافق البصريين في بعض المسائل ويخالفهم في بعض آخر وكذلك موقفه ازاء الكوفيين فهو لم يتقيد بأحد المذهبين ومن خلال احصاء المسائل الهامة والشائعة الخلاف بين المدرستين وجدت أن

---

١- الاعراف- ٣٨.

٢- التبيان- ٣٣٥/٤.

٣- الانصاف- ١٩٥/١، وشرح المفصل لابن يعيش ١١٢٨.

٤- البقرة- ١٩٨.

٥- التبيان- ١٦٨/٢.

٦- يس- ٣٢.

٧- التبيان- ٤٤٢/٤.

٨- التبيان- ٣٦٢/٤.

عدد المسائل النحوية التي يوافق فيها البصريين ست عشرة مسألة في حين وافق الكوفيين بسبع مسائل وهذا يعني أن الرجل له شخصية نحوية مستقلة عن الالتزام بمبادئ احدى المدرستين ويرجح انتسابه طبقا لهذا الاحصاء للمدرسة البغدادية التي ظهرت متأخرة عن تلك المدرستين. كما سيتضح إن شاء الله فيما بعد.

### ٣- مصطلحاته:

لا خلاف بين المؤرخين لنشأة النحو، انه نشأ في العراق، وتطور وترقى حتى اكتملت أبوابه وفنونه ومصطلحاته، وكانت نشأته في البصرة وفيها بدأ يتطور، وعلى أيدي علمائها وضعت قواعده. ولم تكن الكوفة في ذلك الوقت شيئا عن ذلك، وكان أهلها مشغولين بالمحفوظات من القرآن الكريم والشعر.

فالنحو اذن بصري النشأة ومرّ بدور الوضع والتكوين وهو لا يزال في البصرة، لم يشارك علماءها فيه أحد.

ولا بد لكل علم من العلوم من مصطلحات يستعملها أهله. والنحو كواحد من العلوم يحتاج للمصطلحات، ولمّا كان وضع النحو وتكوينه تم في البصرة فهذا يعني أن المصطلحات الاولى للنحو بصرية صرفة. وبعد تطور النحو ونموه أكثر ودخوله في مرحلته الثانية وهي تطور النشوء والنمو، شارك الكوفيون البصريين في هذه المرحلة في تطوره. فنهض به علماء البلدين وبدأت المنافسة بينهما، فأراد الكوفيون أن يتميزوا فيه عن البصريين لما أحسوا به من أنهم قد سبقوا في هذا المضمار. فتميزت القواعد والاسس فيما بينهما، ومن جملة ما تميز المصطلحات النحوية، فظهرت على الساحة المصطلحات النحوية الكوفية.

وكانت بداية التعصب عند بزوغ الخليل بن أحمد الفراهيدي والرؤاسي حيث "تكون على يد الامامين الخليل ومن معه من البصريين، والرؤاسي ومن معه من الكوفيين بكل من البلدتين مدرسة خاصة لها علم تنحاز اليه كل فرقة، وتتابعت الطبقات المتعاصرة في كلا البلدين"[١].

وبلغ هذا التعصب والانحياز أشدّه عند تألق نجم سيبويه في البصرة ومنافسه الكسائي في الكوفة. فحاول الكوفيون أن يتميزوا عن البصريين حتى في المصطلحات النحوية.

وبعد مرور النحو في عدة أطوار وانطفاء نار العصبية في طور الترجيح في منتصف القرن الرابع الهجري، بدأ علماء النحو في هذا العصر يختارون من كلا المذهبين ويتم الاختيار حسب اجتهاداتهم الشخصية، والمصطلحات بلا شك لا تنفك عن تعلم هذا العلم وممارسته العلمية وتدريسه كعلم. فأخذ علماء

---

١- نشأة النحو- ٤٣.

هذا العصر بدورهم من مصطلحات كلا المدرستين الكوفية والبصرية فامتزجت مصطلحات الكوفيين عند من يسميهم بعض علماء النحو بالبغداديين، ويخالف في تسميتهم بعض آخر فلا يوافق بانفراد مدرسة لغير البصريين والكوفيين.

وكانت بداية نشأة أبي جعفر الطوسي في أواخر القرن الرابع الهجري ثم انتقل في مطلع القرن الخامس الهجري الى بغداد وتمت دراسته فيها وعلى أيدي جهابذتها، فهو بلا شك قد تأثر بشيوخه البغداديين بهذه النزعة.

ودراسة مصطلحات أي شخصية نحوية تساعد الباحث في تحديد الاتجاه النحوي لتلك الشخصية. حيث أن النحاة المنتمين الى مدرسة معينة يحرصون على استخدام مصطلحاتها في تعابيرهم وكتبهم النحوية.

ولدى تتبع المصطلحات النحوية التي يستعملها الطوسي في كتابه التبيان لوحظ أنه يستعمل مصطلحات كلا المدرستين الكوفية والبصرية ويمزج بينها. ويشير أحيانا الى أن هذا الاصطلاح بلفظ البصريين وذاك بلفظ الكوفيين فعند استعماله لاصطلاح "عماد" الكوفي، الذي يقصد به ضمير الفصل عند البصريين يشير الى استعمال هذا الاصطلاح في كلا المدرستين.

فعندما يعرب قوله تعالى: "ألاَّ إنَّهُم هُمُ المُفْسدُونَ"[١] يقول: "والهاء والميم في موضع نصب بأن و(هم) فصل عند البصريين ويسميه الكوفيون عمادا"[٢].

وأحيانا يستعمل اصطلاح "عماد" وكأنه اصطلاحه هو بدون نسبته الى الكوفيين. قال عند اعرابه لقوله تعالى: "وما هو بِمُزَحَزِحهِ مِنَ العذابِ أنْ يُعَمّر"[٣] و(هو) عماد، لطلبها الاسم أكثر من طلبها الفعل"[٤] وأحيانا يذكر كلا الاصطلاحين بدون نسبتها[٥].

---

١- البقرة- ١٢.

٢- التبيان- ٧٦/١، ٤٨٧/٢، ٤٧٢/٤، ٣٧٦/٨.

٣- البقرة- ٩٦.

٤- التبيان- ٣٥٩/١، ٣٧٦/٨.

٥- التبيان- ٤٣٦/١، ٦٦/٢، ١١٥، ١٢١، ١٩١.

ومن الاصطلاحات التي يستعملها الطوسي اصطلاح "ما لم يُسَمَّ فاعله" الكوفي ويقصد به المبني للمجهول عند البصريين. الا أن استعماله لهذا الاصطلاح لا يذكر ازاءه مرادفا آخر ولا ينوه بنسبة الاصطلاح الى احدى المدرستين. ويستعمله مرة بضمير المذكر وأخرى بضمير المؤنث فعند إعرابه لقوله تعالى: "فإنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ"[١]، قال: "و(من) في الوجهين في موضع الرفع–يشير الى قراءتين– فمن ضم الياء رفعها لأنها لم يسم فاعلها، ومن فتح الياء، فلأنها الفاعل"[٢].

ويستعمل البصريون اصطلاح "التمييز" الذي يقابله اصطلاح "التفسير" عند الكوفيين، فعند اعرابه لقوله تعالى: "وَمَنْ أحسنُ قَوْلاً مِمنْ دعا الى اللهِ وعَمِلَ صالحاً وقال إنّني من المسلمين"[٣]. قال: "صورته صورة الاستفهام، ونصب (قولا) على التفسير"[٤]. وكثيرا ما يستعمل هذا الاصطلاح[٥].

ويستعمل الطوسي اصطلاح (التمييز) بنفس نسبة اصطلاح (التفسير) تقريبا، فعند توجيهه لقراءة "فاللهُ خيرٌ حافظاً وهو أرحمُ الراحِمين"[٦] قال: "ومن قرأ على المصدر، نصبه على التمييز لا غير، ولو قرئ (خير حافظٍ) على الاضافة، لدلّ على أن الموصوف حافظ، وليس كذلك التمييز"[٧].

---

١– النحل: ٣٧.

٢– التبيان– ٣٨٠/٦.

٣– فصلت– ٣٣.

٤– التبيان– ١٢٥/٩.

٥– التبيان– ٤٦٩/١، ٤٨٥، ١٩٦/٢، ٩٢/٣، ٢٧٥/٦.

٦– يوسف– ٦٤.

٧– التبيان– ١٦٤/٦.

ويستخدم الطوسي اصطلاح "الجر" و"الخفض" حيث يستعمل البصريون الأول ويستعمل الكوفيون الثاني واستعماله لكلا الاصطلاحين كثير جدا[١]. ومن ذلك قال في إعرابه لقوله تعالى: "وما مِنْ إلهٍ إلاّ اللهُ"[٢] " ولا يجوز جر اسم الله على البدل من الى، لأن ذلك لا يحسن في الكلام"[٣].

ومن استخدامه لاصطلاح الخفض عند اعرابه لقوله تعالى: "حافظوا على الصلواتِ والصلاةِ الوُسطى"[٤] قال: "والصلاة الوسطى مخفوضه بالعطف على الصلوات"[٥].

ويستخدم البصريون اصطلاح "النفي" ويقابله عند الكوفيين اصطلاح "الجحد". والطوسي يستعمل اصطلاح "الجحد"[٦] ويندر استعماله لاصطلاح "النفي". ومن استعماله لذلك ردّه على الطبري انكاره دخول حرف الاستفهام على حروف النفي، قال "وأنكر الطبري أن يدخل حرف الاستفهام على حرف الجحد بمعنى الاثبات"[٧].

ونادرا ما يستعمل الطوسي اصطلاح "الترجمة" عند الكوفيين الذي يقابله "البدل" عند البصريين. ومن ذلك أنه ذكر عند توجيهه لقراءة شاذة "قالو نَعْبُد الهكَ والهَ أبيك إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ"[٨] قال: "وقد قرئ في الشواذ "واله أبيك" فعلى هذا ينجر اسماعيل وإسحاق على العطف، وهو غير المعنى الأول، لأنه مترجم عن الاباء، وفي الثاني عطف غير ترجمة، كما تقول رأيت غلام زيد وعمر، أي غلامهما"[٩].

---

١- التبيان- ١٧١/٢، ٢٥٣، ٢٧٦، ٤٨٨، ٤٨٦، ٥٩٤، ٢٦٨/٦.

٢- آل عمران- ٦٢.

٣- التبيان- ٤٨٦/٢.

٤- البقرة- ٢٣٨.

٥- التبيان- ٢٧٦/٢.

٦- التبيان- ٣٥١/٨.

٧- التبيان- ٤٠٠/١.

٨- البقرة- ١٣٤ والقراءة الصحيحة "آبائك".

٩- التبيان- ٤٧٦/١.

وعندما ينقل الطوسي عن أحد النحاة فانه يحرص على نقل نص الاصطلاح ذلك النحوي. ومن ذلك اعرابه لقوله تعالى: "وجعلْنا لَكُم فيها معايشَ ومنْ لستُم لَهُ برازقين"[١]. قال: "(من) في موضع نصب عطفا على (معايش) ثم ينقل رأي الفراء فيقول: "قال: وقد يجوز أن تجعل (من) في موضع خفض نسقا على الكاف والميم في (لكم)" ثم ينقل رأي المبرد في ذلك ذاكرا نفس اصطلاحه فيقول: "قال المبرد: الظاهر المخفوض لا يعطف على المضمر المخفوض، نحو مررت بك وزيد، الا أن يضطر الشاعر"[٢].

ومن الاصطلاحات الكوفية التي يستعملها الطوسي "لام الصيرورة" ويقصد بها "لام العاقبة" عند البصريين واستعماله لها نادرا"[٣]. ويستعمل كثيرا جدا اصطلاح "لام الغرض"[٤] ويقصد بها "لام التعليل" عند البصريين. ويستعمل اصطلاح "التوحيد" ويقصد بها "الافراد"[٥] عند البصريين واستعماله له بكثرة ويستعمل اصطلاح الافراد قليلا.

ويستعمل الطوسي "القطع" ويقصد بها الحال أو الاستئناف عند البصريين، ونادرا ما يستعمل هذا الاصطلاح[٦].

ولدى تتبع الاصطلاحات التي يستخدمها الطوسي في النحو ظهر أنه يمزج في ذلك بين اصطلاحات البصريين واصطلاحات الكوفيين[٧]. بيد أن استعماله للاصطلاحات البصرية أكثر من استعمالاته للاصطلاحات الكوفية.

ومعرفة استعماله للمصطلحات تساعد الباحث على معرفة اتجاهه النحوي وميله.

---

١- الحجر- ٢٠.

٢- التبيان- ٦/ ٣٢٧.

٣- التبيان- ٤/٢٦١، ٦/١٦٣.

٤- التبيان- ٦/١٦٣.

٥- التبيان- ١/٤٧٦.

٦- التبيان- ٣/٢٩٣.

٧- انظر "المصطلحات النحوية ونشأتها وتطورها" رسالة ماجستير ١٩٧٧. اعداد الطالب سعيد أبو ابراهيم اشراف الدكتور عند الله درويش –كلية دار العلوم. وانظر "المدارس النحوية" د. شوقي ضيف ص ٢٠٠.

قد قمت بإحصائية تقريبية للمصطلحات النحوية التي استعملها الطوسي في التبيان وظهرت لي النتائج الموضحة بالجدول التالي صفحة (١٤٢).

ولدى دراسة الاحصائيات الموضحة في هذا الجدول ظهر بشكل ملموس ودقيق أن الطوسي يستعمل اصطلاحات كلا المدرستين البصرية والكوفية الا أن ميله لاستعمال البصريين أكثر.

وهناك مصطلحات بصرية استعملها الطوسي أكثر من استعماله للمصطلحات الكوفية وهي: الجر، الحال، البدل، العطف.

وهناك مصطلحات كوفية استعملها أكثر من استعماله للمصطلحات البصرية وهي: ما لم يسم فاعله، الجحد، التوحيد، لام الغرض، العماد وتعادلت النسبة عنده في التمييز والتفسير وهذا ما يدلل على أن الاتجاه النحوي للطوسي مستقل عن المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية وأن اتجاهه بغدادي يمزج بين المدرستين. ونظرة فاحصة للإحصائيات التقريبية المبينة في هذا الجدول تبين أن مذهب الطوسي بغدادي ويميل الى البصريين.

| احصائية بعدد المصطلحات النحوية التي يستعملها الطوسي ونوعها | | | |
|---|---|---|---|
| المصطلح البصري | عدد استعماله له | المصطلح الكوفي | عدد استعماله له |
| الجر | ٢٥ | الخفض | ٦٨ |
| المبني للمجهول | صفر | مالم يسم فاعله | ٣٣ |
| النفي | ٦ | الجحد | ٢٤ |
| التمييز | ٢٠ | التفسير | ٢٠ |
| ضمير الفصل | ٥ | عماد | ١٦ |
| الحال | ٨٤ | القطع | ١١ |
| الافراد | ٤ | التوحيد | ٢٣ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| البدل | ٣٩ | الترجمة | ٥ |
| لام التعليل | ٤ | لام الغرض | ١٥ |
| لام العاقبة | ٣ | لام الصيرورة | ٦ |
| عطف | ٨٠ | نسق | ٥ |

### ٤- ترجيحاته:

ينقل الطوسي مختلف الأعاريب للآيات الكريمة في تفسيره التبيان عن مختلف النحويين والمفسرين، أمثال: سيبويه، والخليل، والكسائي، والفراء، والاخفش، والفارسي، والبرد، والزجاج وغيرهم من كبار النحويين. وهو لا يقبل كل ما ينقله عن هؤلاء وغيرهم بل يوازن أحيانا بين الآراء ويقلب النظرات ويعطي رأيه أو يرجح بعضها على بعض.

وتبدو على الطوسي الموضوعية في ترجيحاته[١]، والابتعاد الكلي عن التعصب لأحد المذاهب النحوية.

ومن ترجيحاته الاعرابية، مسألة اعراب الحروف المقطعة في أوائل السور، حيث اختلف النحويون فيها فبعضهم يعربها، ويذهب بعض الى أنها لا محل لها من الاعراب. ففي قوله تعالى: "الر كِتابٌ أحكِمَتْ آياتهُ"[٢] قال الفراء: "قوله: (الر كتاب أحكمت آياته) رفعت الكتاب بالهجاء الذي قبله، كأنك قلت: حروف الهجاء هذا القرآن. وان شئت أضمرت له ما يرفعه، كأنك قلت: الر هذا الكتاب".

ويرى آخر أن "كتاب" رفع بأنه خبر المبتدأ وتقديره: هو كتاب، أو هذا كتاب، والمراد ب(كتاب) القرآن. ولا يرجح الطوسي هذين الرأيين، والمرجح عنده أنها لا محل لها من الاعراب فيقول: "وخرجت هذه الحروف على وجه التهجي، ولا يعرب شيء منها، لأنها حروف ولو كانت أسماء لدخلها الاعراب"[٣].

ويذكر الطوسي بعض الآراء النحوية، ويرجح رأيه من خلال تلك الأراء ومن ذلك، اختلاف الآراء في اعراب (جرم) من قوله تعالى: "لا جَرَمَ أنَّ لَهُمُ النَّار"[٤].

قال الطوسي: "قال تعالى: (لا جَرَمَ أنَّ لَهُمُ النَّار) معناه حقا ان لهم النار في أقوال المفسرين، وقيل معناه: لابد أن لهم النار، فجرم على هذا اسم، كأنه قال: قطع ان لهم النار، وقال بعضهم "جرم" فعل ماض

---

١- كما اتضح من موقفه من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين انظر: صفحة ١٤٤ من هذه الرسالة. وانظر التبيان- ٢٧٢/١، ١٤٠، ٧/٢، ٣٤٤/٤، ١٣٧/٦، ٣٠٨/٦، ٣٠٩، ٣٢٦، ٣٦٢، ٤٤٢.

٢- هود- ١.

٣- معاني القرآن للفراء- ٣/٢.

٤- النحل- ٦٢.

و(لا) رد لكلام متقدم فكأنه قيل: قطع الحق ان لهم النار. وقيل: وجب قطعا ان لهم النار... وقال الخليل (لا جرم) لا يكون الا جوابا، تقول: فعلوا كذا وكذا، فيقال: لا جرم أنهم سيندمون قال الشاعر:

ولَقَدْ طَعَنْتُ أبا عيينَةَ طَعنةً  جَرَمَتْ فزارةُ بعدَها أنْ يغضبُوا[١]

ومن ترجيحاته الاعرابية لقوله تعالى: "إلاّ مَنْ اتخذَ عنَد الرحمنِ عهدا"[٢] يرى أن "من" نصب على أنه استثناء منقطع، لأن المؤمن ليس من المجرمين. ويذكر رأيا في إعراب الآية لبعض النحويين بأن "من" "نصب على حذف اللام بمعنى لا يملك المتقون الشفاعة الا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا". ثم ينقل رأي الزجاج فيقول: "وقال الزجاج: (من) في موضع رفع بدلا من الواو"[٣].

ويبدو أن الطوسي يرجح في هذه المسألة رأي الفراء حيث أنه يعربها في معاني القرآن كالاتي: "و(من) في موضع نصب على الاستثناء، ولا تكون خفضا بضمير اللام ولكنها تكون نصبا على معنى الخفض كما تقول في الكلام: أردتُ المرور اليَوم الاّ العدوُ فاني لا أمر بهِ، فتستثنيه من المعنى ولو أظهرت الباء فقلت: أردت المرور الا بالعدوِ، لخفضت.

وكذلك لو قيل: "لا يملكونَ الشفاعةَ إلاّ لِمَنْ اتخذَ عندَ الرحمنِ عهدا"[٤]. وفي اعراب قوله تعالى: "وامسحوا برؤسِكم وأرجلَكم الى الكعبينِ"[٥]. يرجح الطوسي عطف الارجل على الرؤوس ويقطع بهذا الترجيح، ويرد على من قال: ان القراءة بالجر ليست بالعطف على الرؤوس في المعنى وإنما عطف عليها على طريق المجاورة، كما قال: جحر ضبٍ خربٍ، وخرب من صفات الجحر لا الضب وكما قال الشاعر:

كأنّ ثبيرا في عرانينِ وبلهِ  كبيرُ اناسٍ في بجادِ مزملِ[٦]

---

١- التبيان- ٤٤٥/٥. قائله أبو أسماء بن الضريبة أو عطية بن عفيف كتاب سيبويه طبعة بولاق- ٤٦٩/١.

٢- مريم- ٨٧.

٣- التبيان- ١٥١/٧.

٤- معاني القرآن للفراء- ١٧٢/٢.

٥- المائدة- ٦.

٦- قائله امرؤ القيس: الخصائص لابن جني- ١٩٢/١. المحتسب- ١٣٥/٢.

والمزمل من صفة الكبير لا البجاد وقال الأعشى:

لقد كان في حولٍ ثواءٌ ثويتُه نقضي لباناتٍ ويسأمُ سائمُ[1]

وبعد أن يعرض الطوسي هذا الرأي وشواهده، يبدأ بإيراد ثلاثة أدلة ردا عليه، ويصرف الاستشهاد بالبيتين السابقين الى إعراب وتأويل آخر، فيقول معلقا على الرأي السابق: "هذا لا يجوز من وجوه: أحدها: ما قال الزجاج، أن الاعراب بالمجاورة، لا يجوز في القرآن، وانما يجوز ذلك في ضرورة الكلام والشعر.

والثاني: أن الاعراب بالمجاورة لا يكون مع حرف العطف فأما قول الشاعر:

فَهَلْ أنتَ إن ماتت أتانُك راحلٌ إلى آلِ بصطام بن قيسِ مخاطبِ[*]

قالوا: جر مع حرف العطف الذي هو الفاء، فانه يمكن أن يكون أراد الوضع وإنما جر الروي لهما. ويكون عطفا على راحل قد أقوى لأن القصيدة مجرورة، وقال القوم: أراد بذلك الأمر وإنما جر لإطلاق الشعر.

والثالث: أن الاعراب بالمجاورة إنما يجوز مع ارتفاع اللبس. فأما مع حصول اللبس فلا يجوز، ولا يشتبه على أحد أن "خرب" من صفة جحر، لا الضب وكذلك قوله/ مزمل من صفة الكبير لا البجاد، وليس كذلك في الآية، لأن الأرجل يمكن ان تكون ممسوحة ومغسولة، فأما قول الشاعر ثواء ثويته، فإنما جره بالبدل من الحول والمعنى لقد كان في ثواء ثويته تقضي لبانات. وهو من بدل الاشتمال، كقوله: "قُتِلَ أصحابُ الأخدودِ، النَّار ذَاتِ الوَقُودِ"[2]. قول الشاعر:

لم يبقَ إلاّ أسيرٍ غيرَ منفلتٍ وموثَقٍ في عقالِ الاسرِ مكبولُ[3]

فليس خفض موثق على المجاورة لأن معنى البيت لم يبق غير أسير فالا بمعنى غير وهي تعاقبها في الاستثناء"[4].

---

١- كتاب سيبويه- ٤٢٣/١، وشرح المفصل لابن يعيش- ٦٥/٣.

*- قائله الفرزدق: أمالي ابن الشجري- ١١٩/١ وفي ديوانه ١١١ برواية "بخاطب" بدون اقواء.

٢- البروج- ٤.

٣- دلائل الاعجاز للجرجاني- ١٨ ويروي "فعلول" وقائله كعب بن زهير.

٤- التبيان- ٣٥١/٣.

وهكذا يستمر الطوسي في الرد على الآراء التي تخالف ما يذهب اليه من عطف الارجل على الرؤوس داعما رأيه بالشواهد الشعرية والقرآنية وبآراء كبار النحويين، مرجحا ومفندا، مستعينا بالمعنى تارة وبالقواعد النحوية أخرى، يؤول هذا الشاهد ويصرف ذاك الشاهد عن ظاهره المخالف لمطلوبه. وعلى هذه الوتيرة يسير منهج الطوسي في ترجيحاته خاصة إذا كانت المسألة فيها خلاف فقهي أو كلامي فيبدأ بحشد كل ما لديه من الأدلة دفاعا عما يذهب اليه.

وأحيانا يعطي الطوسي عدة وجوه للأعراب ويجوّز بعضها ويرجح عليه بعضا آخر، فعند إعرابه لقوله تعالى: "فما استيسر مِنَ الهدي"[١] قال: "وقوله: (فَمَا استيسر مِنَ الهدْي) موضع (ما) رفع، كأنه قال: فعليه (ما استيسر مِنَ الهَدْي) ..." ثم يذكر رأيا آخر ويجوّزه الا أنه يقوي الرأي الأول لكثرة نظائره مستشهدا بآيات كريمة فيقول: "ويجوز النصب وتقديره: فليهد ما استيسر من الهدي. والرفع أقوى لكثرة نظائره، كقوله: "ففديةٌ مِنْ صيام"[٢] وقوله: "فَعِدَّةٌ مِنْ أيَّامٍ أخَرَ"[٣] وقوله: "فَصِيام ثلاثَةِ أيام"[٤].

واختلف في خبر "الذين" من قوله تعالى: "والذينَ يُتَوفونَ مِنْكُم ويَذرُونَ أزواجاً يَتربصْنَ بأنفسِهِنَّ أربعَة أشهرٍ وعشراً"[٥]. فيذكر الطوسي أربعة آراء في خبر (الذين). رأي المبرد أن الجملة على تقدير: "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا "أزواجهم" يتربصن".

ويرى الاخفش أنها على تقدير "يتربصن" بعدهم أزواجهم، أما الكسائي والفراء أنه يعدل عن الاخبار عن الأزواج لأن المعنى عليه والفائدة فيه.

---

١- البقرة- ١٩٦.

٢- البقرة- ١٩٦.

٣- البقرة- ١٨٤.

٤- البقرة- ١٩٦.

٥- البقرة- ٢٣٤.

ويرى الزجاج ويتابعه الطوسي مرجحا لرأيه: بأن يكون الضمير في يتربصن لمّا عاد إلى مضاف في المعنى، كان بمنزلته على تقدير "يتربصن" أزواجهم. ويأتي الطوسي بنظائر لقول الزجاج فيقول: "ونظير قول الزجاج أن تقول: إذا مات، وخلّف ابنتين، يرثان الثلثين، المعنى يرث ابنتاه الثلثين".

ثم يورد الطوسي رد المبرد والزجاج على ما يذهب اليه الكسائي والفراء فيقول: "وأنكر ذلك أبو العباس والزجاج، لأنه لا يكون مبتدأ لا خبر له، ولا خبر الا عن مخبر عنه"[١]. ثم يورد الطوسي شاهدين للفراء وشاهد لأبي عبيده في ذلك ويبدأ بتأويلهما فيقول: "وأنشد الفراء:

لَعَلّى إنْ مالتْ بِيَ الريحُ ميلةً  على ابنِ أبي ديانِ أنْ يتنّدما[٢]

وقال أيضا:

نحنُ بما عندَنا وأنتَ بما  عندكَ راضٍ والرأيُ مختلفَ[٣]

وقال أبو عبيده: نظير الآية قول عنترة بن شداد:

فمن يكُ سائلاً عني فأني  وجروةَ لا ترودُ ولا تعارُ[٤]

جروة اسم فرسه وانما حذف الخبر الأول، لأن خبر الثاني يدل عليه لأنه أراد فأني حاضر، وفرسي حاضرة. لا ترود ولا تعار"[٥].

ويجيز الطوسي رأيين من الاعراب ويرجح أحدهما على الآخر مستدلا بالآيات الكريمة وبشعر العرب وذلك عند إعرابه لقوله تعالى: "وحاجَّه قَوْمه قال أتحاجّونّي في اللهِ وقد هَدَانِ"[٦]. قال: "أتحاجوني أصله

---

١- التبيان- ٢٦٣/٢.

٢- قائله ثابت بن قطنه واسمه ثابت بن كعب التبيان- ٢٦٣/٢.

٣- تاريخ الطبري- ١٦٠/٨، ومعاني القرآن للفراء- ١٥٠/١، وكتاب سيبويه- ٣٨/١، وقائله قيس بن الخطيم أو عمرو بن امرئ القيس.

٤- قائله عنتره بن شداد أو والده شداد الكتاب لسيبويه- ١٥٢/١، وديوان عنتر- ١١١، والشاهد فيه نصب جروة عطفا على المنصوب بأن.

٥- التبيان- ٢٦٣/٢.

٦- الانعام- ٨٠.

(اتحاجونني) بنونين أحدهما للجمع والاخرى لاسمه، فأدغمت أحدهما في الاخرى، فشددت ومثله (تأمروننني) وقد يخفف مثل هذا في بعض المواضع قال الشاعر:

أبالموتِ الذي لابدّ أني ملاقٍ لا أباك تخوفيني[١]

فجاء بنون واحدة وخففها، والاول أجود وأكثر في العربية"[٢].

ويهتم الطوسي كثيرا في ترجيحاته بالمعنى ويرجح الاعراب على أساس المعنى، فهو عنده وحدة مترابطة، فيدور الاعراب مع المعنى حيث دار.

ويورد الطوسي رأيين اعرابيين للفراء والزجاج ويرجح رأي الزجاج وذلك في مسألة جواز دخول (إنّ) على خبر (إنّ) فيقول: "وقال الفراء: لا يجوز أن تقول: إنّ زيدا إنّه صائم لاتفاق الاسمين"[٣].

ثم يورد رأي الزجاج في ذلك فيقول: "قال الزجاج: يجوز ذلك، وهو جيد بالغ"[٤]. وحين يعرب الطوسي قوله تعالى: "إنَّ الذين آمنوا والّذين هادوا والصابئينِ والنَّصارى والمجوسَ والذينَ أشركوا إنَّ اللهَ يفصلُ بينهمْ يومَ القيامةِ إنَّ اللهَ على كُلِّ شيءٍ شهيدٌ"[٥].

يقول الطوسي: "فخبر (إنَّ الذين آمنوا) قوله (إنَّ اللهَ يفصلُ بينهم) فدخلت (إنَّ) على الخبر تأكيدا كما يقول القائل: إنّ زيدا إنَّ الخيرَ عندهَ لكثيرٌ. وقال جرير:

إنَّ الخليفَة إنَّ اللهَ سربلَه سربال ملكٍ به تُرجى الخواتيمُ[٦]

ولدى مراجعة رأي الفراء في هذه المسألة وجدت أنه يقول: "وقوله: (إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا...) الى قوله (والذين أشركوا) ثم قال: (إنَّ الله) فجعل في خبرهم (إنَّ) وفي أول الكلام (إنَّ) وأنت لا تقول في

---

١- الكامل للمبرد- ٣١٣ وقائله أبو حيه النميري.

٢- التبيان- ١٨٨/٤.

٣- التبيان- ٣٠١/٧.

٤- المصدر السابق والصفحة.

٥- الحج- ١٧.

٦- ديوانه- ٥٢٧، وروايته يكفي الخليقه. وخزانة الادب للبغدادي- ٣٤٤/٤.

الكلام: إنّ أخاك إنّه ذاهب، فجاز ذلك لأن المعنى كالجزاء، أي من كان مؤمنا أو على شيء من هذه الأديان ففصل بينهم وحسابهم على الله"[١] ولم يورد الفراء في هذه المسألة المثل الذي نقله عنه الطوسي الا أن ما نقله أو ما أورده يؤدي نفس الغرض وإن اختلف المعنى واللفظ.

### ٥- أثر العقيدة والفقه على النحو عند الطوسي:

الطوسي من كبار علماء الشيعة الامامية الاثني عشرية، وقد آلت اليه رئاستهم بعد وفاة أستاذه الشريف المرتضى –كما هو واضح مما تقدم– وتعتقد الأمامية بأصول خمسة[٢] وهي:

١. التوحيد: وهو أن الله تعالى اله واحد أحد لا شريك له، أحد في ذاته، غير متعدد ولا متجزئ ولا مركب وليس بجسم ولا حال في جسم أو في مكان. حي قيوم عليم قادر مختار قديم باق وأن صفاته عين ذاته وتوحيد الامامية يشمل توحيد الذات والصفات والأفعال والعبادة[٣].

٢. العدل: وهو أن الله تعالى عادل لا يظلم أحد.

٣. النبوة: تعتقد الامامية بـ "١٢٤" ألف نبي خاتمهم نبينا محمد–ﷺ– وتفرق الامامية بين النبي والرسول، فترى أن مسئولية الرسول أوسع من مسئولية النبي وكل رسول نبي ولا عكس، والرسول صاحب رسالة وليس كذلك النبي، وأن الأنبياء جميعا معصومون[٤].

٤. الامامة: وتعتقد الامامية بإمامة اثني عشر اماما من أهل بيت رسول الله–ﷺ–، أولهم الامام علي– عليه السلام– ثم ابنيه الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم ابنه محمد الباقر، ثم ابنه جعفر الصادق ثم ابنه موسى الكاظم ثم ابنه علي الرضا ثم ابنه محمد الجواد ثم ابنه علي الهادي ثم ابنه الحسن العسكري ثم ابنه محمد المهدي المنتظر الذي سيظهر في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا. وتعتقد الامامية بأن المهدي غائب لحكمة الهية، كما رفع عيسى عليه السلام الى

---

١– معاني القرآن للفراء– ٢١٨/٢.

٢– المفيد– شرح عقائد الصدوق– ٢٠١.

٣– المظفر– عقائد الامامية– ٣٩.

٤– الزنجاني– عقائد الامامية الاثنا عشرية– ١١١.

السماء وكما اختفى الخضر. وتعتقد بأن الائمة منصوص عليهم من قبل رسول الله –ﷺ– جملة وتفصيلا، والاشارة إليهم في القرآن الكريم إجمالا، وأن وظيفتهم قيادة الأمة وحفظ الشريعة والكشف عن مراد الله تعالى في الحكم، وأن أمر الامامة لا يجوز بالانتخاب. وأن الأئمة معصومون[١].

٥. المعاد يوم القيامة: وتعتقد الامامية بأن الله تعالى يبعث الناس يوم القيامة ليحاسبهم ويدخل ان شاء المتبع لأنبيائه ورسله الجنة والعاصي النار.

وتعتقد الامامية بعقائد تتفرع عن الاصول المتقدمة الذكر منها القضاء والقدر والبرزخ والصراط والميزان والملائكة[٢].

أما مصادر التشريع عند الامامية فهي أربعة: الكتاب والسنة والاجماع[*] والعقل. وعندها أن السنة هي قول أو فعل أو تقرير الرسول–ﷺ– والأئمة الاثني عشر من أهل بيته[٣]. ولعقيدة الطوسي وما يذهب اليه في الفقه–باعتباره شيعي امامي– أثر بين في ترجيحاته النحوية، وهذه أمثلة من التبيان توضح هذه الظاهرة.

***١ ـ الجانب العقيدي:***

أ– قوله تعالى: "لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تأخَرَ"[٤] يعرض الطوسي في معناه أربعة وجوه:

١. ما تقدم من معاصيك قبل النبوة وما تأخر عنها.

٢. ما تقدم قبل الفتح وما تأخر عنه.

٣. ما قد وقع منك وما لم يقع على طريق الوعد بأنه يغفر له إذا كان.

٤. ما تقدم من ذنب أبيك آدم، وما تأخر عنه.

---

١– الزنجاني– عقائد الامامية الاثنا عشرية– ١١٢.

٢– عقائد الامامية– ٤٥، ٤٨.

*– أبو زهرة– الامام الصدق– ٤٥٢.

٣– الحيدري– أصول الاستنباط– ٢٣٦.

٤– الفتح– ٢.

وبعد عرضه لهذه الوجوه لا يجيزها جميعا لما تقدم من ايمان الامامية بعصمة الأنبياء–عليهم السلام– قال: "وهذه الوجوه كلها لا تجوز عندنا، لأن الأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم سيء من القبيح، لا قبل النبوة ولا بعدها، لا صغيرها ولا كبيرها، فلا يمكن حمل الآية على شيء مما قالوه ولا صرفها الى آدم لأن الكلام فيهم كالكلام في نبينا محمد صلى الله عليه وآله" ثم يوجه الآية بتقدير مضاف محذوف تقدير الآية: "ليغفرَ لكَ ما تقدّم من ذنبِ أمتكَ، وما تأخَّر بشفاعتكَ ولمكانكَ" قال: "وأضاف الذنبَ الى النبي وأراد به أمته، كما قال: "واسألِ القرَيةَ"[١] يريد أهل القرية فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه، وذلك جائز لقيام الدلالة عليه، كما قال: "وجاء ربك"[٢] والمراد جاء أمرُ ربّك"[٣].

ب– قوله تعالى: "ولَوْ تَرَى إذْ وقِفُوا على ربهمُ "[٤] وقوله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة"[٥]. وقوله تعالى: "وجاء ربُّك والملك صفاً صفاً"[٦] يقدر الطوسي مضافا محذوفا في هذه الآيات وما جاء على شاكلتها في القرآن الكريم مما ظاهره يوحي بجواز رؤية الله جل وعلا أو بأنه جسم سبحانه، انطلاقا من عقيدة الامامية في نفي الرؤية والجسمية عنه تعالى في الدنيا والآخرة. قال الطوسي: "وقد ظن من المشبهة أن قوله "إذْ وُقِفُوا على ربّهم" أنهم يشاهدونه، وهذا فاسد، لأن المشاهدة لا تجوز الا على الأجسام أو على ما هو حال في الأجسام، وقد ثبت حدوث ذلك أجمع، فلا يجوز أن يكون تعالى بصفة ما هو محدث. وقد بينا أن المراد بذلك: وقوفهم على عذاب ربهم وثوابه وعلمهم بصدق ما أخبرهم به في دار الدنيا دون أن يكون المراد به رؤيته تعالى ومشاهدته، فبطل ما ظنوه"[٧].

---

١– يوسف– ٨٢.

٢– الفجر– ٢٢.

٣– التبيان– ٩/٣١٤.

٤– الانعام– ٣٠.

٥– القيامة– ٢٢، ٢٣.

٦– الفجر– ٢٢.

٧– التبيان– ٤/١١٣.

ويقدر أيضا قوله تعالى: "الى ربّها ناظرة" مضافا محذوفا، والتقدير: الى نعمةِ ربّها ناظرة. ويفرق الطوسي بين النظر بمعنى الرؤية أصلا، بدلالة أنهم يقولون: نظرت الى الهلالِ فلم أره فلو كان بمعنى الرؤية لكان متناقضا ولأنهم يجعلون الرؤية غاية للنظر يقولون: مازلت أنظر اليه حتى رأيتَه، ولا يجعل الشيء غاية لنفسه لا يقال: مازلت أراه حتى رأيته"[١]. ويورد الطوسي أدلة –يطول المقام بذكرها– يستدل بها على نفي الرؤية عليه تعالى، ثم يخلص الى أن الرؤية غير النظر، ثم يفسر الرؤية بالإدراك فيقول: "فدل على أن النظر غير الرؤية، والمرئي هو المدرك، والرؤية هي الادراك بالبصر، والرائي هو المدرك، ولا تصح الرؤية وهي الادراك الا على الأجسام أو الجوهر أو الألوان، ومن شرط المرئي أن يكون هو أو محله مقابلا أو في حكم المقابل، وذلك يستحيل عليه تعالى، فكيف نجيز الرؤية عليه تعالى؟!!"[٢].

ويقدر الطوسي في قوله تعالى: "وجاءَ ربُّك" مضافا محذوفا أيضا، والتقدير: "وجاء أمرُ اللهِ أو عذابُ اللهِ"[٣].

جـ– قوله تعالى: "إنما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكُم الرجسَ أهل البيتِ ويطهرَكُم تطهيرا"[٤].

يؤيد الطوسي رواية أم سلمة زوج رسول الله–ﷺ–، التي تفيد اختصاص هذه الآية في خمسة وهم: رسول الله–ﷺ– والامام علي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين صلوات الله عليهم. ويستدل بهذه الآية على عصمة هؤلاء الخمسة من أهل البيت، ولا يجيز دخول غيرهم معهم في هذه الآية حتى نساء النبي–ﷺ– لجواز صدور الذنب منهن مستدلا بقوله تعالى: "إن تتوبا الى الله فقد صَغَتْ قلوبُكُما"[٥].

ثم يبين اختصاص الآية بهم فيقول: "على أن لفظة (إنما) تجري مجرى ليس، وقد دللنا على ذلك في ما تقدم وحكيناه عن جماعة من أهل اللغة، كالزجاج وغيره، فيكون تلخيص الكلام: ليس يريد الله الا اذهاب

---

١– التبيان– ١٠/١٩٨.

٢– التبيان– ١٠/١٩٨، ١٩٩.

٣– التبيان– ١٠/٣٤٧. هذا هو نص الطوسي في التبيان ولعله يقصد التقدير: جاء أمر ربك أو عذابربك.

٤– الاحزاب– ٣٣.

٥– التحريم– ٤.

الرجس على هذا الحد عن أهل البيت، فدل على أن اذهاب الرجس قد حصل فيهم. وذلك يدل على عصمتهم"[١]. وبعد استدلاله على عصمتهم يثبت أن الآية لا يجوز دخول غيرهم فيها-ويقصد غير أهل البيت- وذلك لعدم عصمتهم.

د- قوله تعالى: "إنَما وليُّكُم اللهُ ورسولُهُ والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاةَ ويؤتون الزكاةَ وهم راكعُوَن"[٢].

يستدل الشيعة الامامية ومنهم الطوسي على ولاية الامام علي على المسلمين كافة بعد رسول الله- ﷺ- قال الطوسي: "واعلم أن هذه الآية من الأدلة الواضحة على امامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- بلا فصل". ويستدل الطوسي على ذلك بأمور منها: أن الولي في الآية بمعنى الأولى والأحق ويستدل بأقوال وشواهد من أهل اللغة منها قول: "الولى الأولى والاحق والمولى بمعنى واحد" ومن أدلته على اختصاص الولي بالأولى وليس بالمحب والنصير: أن "إنما تفيد التخصيص" ويستشهد بشواهد لغوية ثم يقول: "ويدل أيضا على أن الولاية في الآية مختصة أنه قال: "وليكم" فخاطب جميع المؤمنين ودخل فيه النبي-ﷺ- وغيره، ثم قال ورسوله، فأخرج النبي-ﷺ- من جملتهم لكونهم مضافين الى ولايته، فلما قال "والذين آمنوا" وجب أيضا أن يكون الذي خوطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية. وإلا أدّى الى أن يكون المضاف هو المضاف اليه، وأدى الى أن يكون كل واحد منهم ولي نفسه، وذلك محال" ويذكر اجماع الشيعة والجمهور على نزول هذه الآية بحق الامام علي حيث تصدق بالخاتم وهو راكع[٣]، ويستمر بالاستدلال بما يقارب ست صفحات يطول المقام بذكرها.

### ٢ ـ الجانب الفقهي:

أ- قوله تعالى: "هَدْياً بالغَ الكعبةِ أو كَفَّارةٌ طعامُ مساكين أو عَدْلُ ذلكَ صِياما"[*]. أختلف في "أوْ" في الآية هل هي على جهة التخيير أم لا؟ .

---

١- التبيان- ٨/٣٤٠.

٢- المائدة- ٥٥.

*- المائدة- ٩٥.

٣- التبيان- ٣/٥٦٠، ٥٦١.

ويرجح الطوسي بأنها ليست للتخيير لكنها على الترتيب: قال: "أنه ليس على التخيير لكن على الترتيب. وإنما دخلت(أو) لأنه لا يخرج حكمه على أحد الثلاثة، على أنه ان لم يجد الجزاء فالإطعام، وان لم يجد الاطعام فالصيام"[١].

ب- قوله تعالى: "أوَ لامَسْتُمُ النساءَ"[٢].

قرأ حمزة والكسائي: "أو لمَسْتُمُ" بغير ألف، وجمهور القراء على "لامستم" ويرجح الطوسي قراءة لا مستم. لأنها قراءة الجمهور، إلا أنه يذهب الى أن "لامستم" معناها الجماع وليس المقصود منها المس، ومذهبه الفقهي أن الوضوء لا يبطل بالمس. قال: "فمن قرأ "لا مستم" بألف قال: معناه الجماع: وهو قول علي عليه السلام، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وأبو علي الجبائي، واختاره أبو حنيفة، ومن قرأ بلا ألف أراد اللمس باليد وغيرها بما دون الجماع، ذهب اليه ابن مسعود، وعبيدة، وابن عمر، والشعبي، وابراهيم، وعطاء، واختاره الشافعي، والصحيح عندنا هو الأول" ثم يشرح الطوسي المعنى اللغوي للملامسة واللمس فيقول: "والملامسة واللمس معناها واحد لأنه لا يلمسها الا وهي تلمسه"[٣]. وفي تفسير قوله تعالى: "أو لامَسْتُم"[٤] في سورة النساء يثير الطوسي سؤالا على نفسه ثم يجيب عليه فيقول: "فان قيل: ما معنى تكرير قوله: لامستم النساء ان كان معنى اللمس الجماع مع أنه قد تقدم ذكر الواجب عليه لقوله: "وإن كنْتم جنباً فاطّهروا" قلنا وجه ذلك أن المعنى في قوله: "وان كنتم جنبا" غير المعنى الذي ألزمه الله بقوله: أو لا مستم النساء، لأنه تعالى بيّن الحكم بقوله: "وإن كنتم جنباً فاطّهروا" معناه اذا كنتم واجدين للماء ممكنين لاستعماله، ثم بين حكمه اذا عدم الماء، أو لا يتمكن من استعماله أو هو مسافر غير مريض مقيم، فاعلمه أن التيمم هو فرضه، وهو طهارته"[٥].

---

١- التبيان- ٢٧/٤.

٢- النساء- ٤٣ ، المائدة- ٦.

٣- التبيان- ٢٠٥/٣، ٤٤٧.

٤- النساء- ٤٣.

٥- التبيان- ٤٥٨/٣.

جـ- قوله تعالى: "فإنْ كانَ له إخوَةٌ فلأمّهِ السدُسُ"[١].

أجمع الفقهاء أن الأخوين تحجب بهما الأم عن الثلث الى السدس وخالف في ذلك ابن عباس فقال: "أنه لا يحجب بأقل من ثلثه، لقوله: "اخوة" والثلاثة أقل الجمع". ويرى الطوسي أن لفظ اخوة جاء في الآية، ويراد به أخوان وليس على معنى الجمع ثم يقول: "وإنما قلنا إن إخوة بمعنى [٢] أخوين للأجماع من أهل العصر على ذلك، وأيضا فانه يجوز وضع لفظ الجمع في موضع التثنية إذا اقترنت به دلالة، كما قال: "إن تَتُوبا إلى اللهِ فَقَدْ صَغَت قلوبكُما" ويقول القائل: ضربت الرجلين أرؤسَهما، ومِنْ أخويْكَ ظهورهُمَا.

د- قوله تعالى: "فكَلُوا مِمَّا أمسَكنَ عليكُم"[٣].

أختُلِفَ في إعراب "مِنْ" من قوله تعالى "مِمَّا" فذهب بعضهم الى أنها زائدة وذهب آخرون الى أنها للتبعيض. وينشأ عن هذا الخلاف في الاعراب خلاف فقهي، وهو إن كانت "مِنْ" للتبعيض فليس كل ما يمسكه الكلب مباحا وإن كانت زائدة فكل ما يمسكه مباح ان لم يكن هناك دليل غير الآية.

ويقدر الطوسي "إعراب "من" بأنها للتبعيض ويذهب الطوسي من الناحية الفقهية أنه ليس كل ما أمسك الكلب مباح، قال: "والأقوى أن تكون "مِنْ" في الآية للتبعيض، لأن ما يمسكه الكلب من الصيد لا يجوز أكله جميعه لأن في جملته ما هو حرام من الدم، والفرث والغدد، وغير ذلك مما لا يجوز أكله، فإذا قال: فكلوا مما أمسكن عليكم، أفاد ذلك بعض ما أمسكن وهو الذي أباح اللهُ أكلهُ من اللحم وغيره"[٤].

من خلال هذه الأمثلة المتقدمة يتبين بوضوح أثر العقيدة والمذهب الفقهي على الجانب النحوي عند الطوسي باعتباره من الفرقة الامامية تختلف في بعض الفرعيات مع الفرق الاسلامية الأخرى ومع فرق السنة خاصة. وتتضح كيفية تقدير الاعراب عند الطوسي في بعض الآيات وفق ما يذهب اليه، وكيف يقف موقفا موضوعيا من بعض آخر من الآيات، ففي "أو لامستم" فيها قراءتان "لامستم" و"لمستم" وقراءة "لمستم" تطابق

---

١- النساء- ١١.

٢- التحريم- ٤.

٣- المائدة- ٥.

٤- التبيان- ٤٤٢/٣.

ما يذهب اليه الطوسي فقهيا من عدم بطلان الوضوء بمس النساء من غير جماع الا أنه مع ذلك رجّح قراءة "لامستم" لأنها قراءة الجمهور مع بعدِها عن مذهبه الفقهي. ويُلاحظ على الطوسي أنه لا يكتفي بعرض آراء الإمامية بالمسألة الفقهية أو العقيدية أو النحوية، بل يعرض آراء الفرق الاسلامية الأخرى وأدلتها.

### ٦- موقفه من أدلة الصناعة:

أدلة صناعة الاعراب، كما يصطلح عليها ابن الأنباري[١]، أربعة عند الطوسي وهي: النقل، والقياس، والاستصحاب، والاجماع، وقد اعتمد الطوسي هذه الأدلة الأربعة وعمل بها ورجح مسائله على أساسها. وعد ابن الأنباري ثلاثة منها وهي: النقل والقياس واستصحاب الحال، ولم يعد الاجماع رابعا لها، مع أهمية الاجماع في الاستدلال النحوي، وهو حجة في استنباط الأحكام الشرعية بأجماع المذاهب الاسلامية، وموقف الطوسي من كل دليل من الادلة الأربعة لصناعة الاعراب كالاتي:

#### *١- السماع:*

النقل من أقوى الأدلة في صناعة الاعراب عند الطوسي، وعليه المدار في المسائل الفقهية والتفسير والحديث، لا سيما أن الطوسي يهتم بالظاهر ولا يعدل عنه الا بقرينة بينة، أو ضرورة تقتضي ذلك[٢]. ويعرف الانباري النقل بأنه "الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح، الخارج عن حد القلة الى حد الكثرة. فخرج عنه ما جاء في كلام غير العرب من المولدين، وما شذّ من كلامهم بالجزم بلن والنصب بلم... وككسر نون "من" مع لام التعريف نحو: منِ اللام، وضم نون "عن" معه نحو: عنُ الرجل"[٣].

ولا شك أن نقول الطوسي وشواهده- كما تبين من موقفه من الشواهد- بعيدة عن أشعار المولودين والاستشهاد بالشاذ من كلام العرب.

وأغلب شواهده معروفة عند كبار النحاة بصريين وكوفيين.

---

١- الاغراب في جدول الاعراب- ابن الأنباري- ٤٥.

٢- فمن ذلك تمسكه بوجوب مسح الارجل بالوضوء بدلالة قراءة الجر أو النصب عطفا على موضع "رؤوس". ويرى أن الباء في قوله تعالى: "وامسحوا برؤسكم" توجب التبعيض، قال: "لأن دخولها في الموضع الذي يتعدى الفعل فيه بنفسه لا وجه له غير التبعض والا كان لغوا وحملها على الزيادة لا يجوز مع امكان حملها على فائدة مجددة" التبيان- ٤٥١/٣ وانظر (٢٨٦/٤) حيث يرى أن القراءة لا يجوز حملها على الشاذ القبيح. ويرى الطوسي أنه في حال اختلاف القراءات ما جاء بها خط المصحف الشريف هي الاولى. ففي قوله تعالى: "سل بني اسرائيل" (البقرة ٥١١) يذكر ثلاث قراءات قرأ أهل الحجاز بغير همزة وبعض أهل تميم يقولون: اسأل بالهمز وبعضهم يقولون: اسأل بالألف وطرح الهمز. قال الطوسي: "والأولى أحسنها لأنها خط المصحف" التبيان ١٩٠/٢ وانظر ٦٨/٨، ٣١٧.

٣- ابن الأنباري- لمع الأدلة في أصول النحو- ٨١.

وأغلب نقولات الطوسي متواترة لأنها إما من القرآن الكريم وهذا من أوضح المتواتر، وأما من الشواهد الشعرية المتواترة عند أهل هذا الفن، أو من كلام العرب المشهور والمستشهد به لدى كبار النحويين، والتواتر دليل قطعي في الأحكام الشرعية والأحاديث النبوية الشريفة، فدلالته القطعية أولى أن تكون في النحو لإفادته العلم. ذكر ابن الأنباري تعريفه للنقل أنه ينقسم الى قسمين، نقل متواتر، ونقل أحاد. واعتبر من المتواتر اللغة والقرآن الكريم وما تواتر من السنة وكلام العرب، و بين بأن المتواتر دليل قطعي من أدلة النحو المفيده للعلم[١]. وقد مرّ سابقا في موضع موقف الطوسي من الشواهد أمثلة واضحة على نقولاته[٢]. وهذه أمثلة أخرى توضح موقفه من المسموعات والترجيح عليها، والقراءات القرآنية واعتمادها وبعضا من شواهده:

فالطوسي عندما يوجه القراءة في قوله تعالى: "ليسَ البِرَّ أنْ تولّوا وجوهَكُم قِبَلَ المشْرِقِ والمغرِبِ"[٣]. يرجح قراءة حفص بالرفع في "البر" على قراءة حمزة بالنصب معضدا هذه القراءة بدليل نحوي وآخر من السماع.

فيقول: "والقراءة بالرفع أجود، وأقوى لأنه اسم "ليس" مقدم قبل الخبر لفائدة في الخبر، ولأنه قرأ "ليس البر بأن"[٤] ذكره الفراء"[٥].

وحين يعرب هذه الآية ويوجه قراءة حمزة بالنصب يستشهد أيضا بآيات من القرآن الكريم بإعرابه لقراءة النصب قال: "ومن قرأ (ليس البر) بالرفع، جعل البر اسما وجعل(ان) في موضع نصب، ومن نصب جعل

---

١- ابن الأنباري- لمع الأدلة في أصول النحو- ٨١، ٨٢.

٢- انظر موقفه من الشواهد.

٣- البقرة- ١٧٧.

٤- معاني القرآن للفراء- ٦٧/١.

٥- التبيان- ٩٩/٢.

(أن تولوا) في موضع رفع، وقدم الخبر. ومثله قوله تعالى: "ومَا كانَ حُجَّتَهُم إلاّ أنْ قالو"[١] "وما كانَ قولَهُمْ"[٢] "وما كانَ جوابَ قَومه"[٣] "فكان عاقِبَتَهُمَا"[٤] وما أشبه ذلك"[٥].

ولم يكتف الطوسي في دلالة الآيات وحدها بل يدعم ذلك بالشواهد الشعرية مضافة الى الآيات ونقله غالبا عن كبار النحويين ومن الشواهد المعروفة لديهم. فعند اعرابه لقوله تعالى: "الذينَ يظُنونَ أنهمْ ملاقُوا ربِّهم وأنهم إليه راجعون"[٦].

قال: "وحذفت النون من "ملاقوا ربهم" عند البصريين تخفيفا والمعنى على اثباتها، ومثله قوله: "إنا مرسِلوا الناقةِ"[٧] و "كل نفسٍ ذائقةُ الموتِ"[٨]، قال الشاعر:

هَلْ أنتَ باعثَ دينارٍ لحاجتِنا  أو عبدَ ربِ أخا عونِ بن مخراقِ[٩]

ولو أردت معنى الماضي لتعرف الاسم بالإضافة، لم يجز فيه اظهار النون البتة. وإذا كان الفعل غير واقع كان اثبات النون هو الوجه دون الاضافة. فلو قيل ملاقون كان صوابا". ثم يورد رأي الاخفش في المسألة مع الشاهد الذي أورده قال: "قال الاخفش: وجرى حذف النون هاهنا للاستثقال[١٠] كما قال الشاعر:

فإن الذي حانتْ بفلجٍ دماؤُهم  هُمُ القومُ كلُّ القومِ يا أمَّ خالِدِ[١١]

---

١- الجاثية- ٢٥.

٢- آل عمران- ١٤٧.

٣- الاعراف- ٨٢.

٤- الحشر- ١٧.

٥- التبيان- ٩٩/٢.

٦- البقرة- ٤٦.

٧- البقرة- ٢٧.

٨- آل عمران- ١٨٥.

٩- قال صاحب الخزانة: البيت من أبيات سيبويه التي لم يعرف قائلها وقيل هو لبر بن رالان السنبسي وقيل هو لجرير وقيل لتأبط شرا.

١٠- معاني القرآن لأخفش ورقة....

١١- البيت للأشهب بن رميلة. الكتاب- ٩٦/١. وروايته (وان الذي). ط بولاق، والبيان- ٥٥/٤.

فأسقط النون من(الذين) استثقالا وقال الاخطل:

أَبَني كُلَيْبٍ إنّ عَمّيَّ اللَّذا  قَتَلا الملوكَ وفَككا الأغلاَلا[١]

فأسقط النون"[٢]. فالطوسي كما ترى يأتي بالشاهد تلو الشاهد تدعيماً للرأي وشواهده كما هو واضح من الشواهد المعروفة والمشهورة ولم يستشهد بشعر المولدين أو المحدثين.

والطوسي كثيرا ما ينسب انشاد شواهده الى كبار النحويين من أمثال سيبويه[٣] والفراء[٤] والاخفش[٥].

ومن ذلك استدلاله على أن الضمير في قوله تعالى "بينهم" من قوله تعالى: "فَمَن خافَ مِنْ موصٍ جنفاً أو إثما فأصلحَ بينهُم"[٦]. عائد على معلوم بالدلالة عليه عند ذكر الوصي والاصلاح لأنه دل على الموصي لهم ومن ينازعهم وأنشد الفراء[٧]–في مثل "فأصلح بينهم"–:

أعمى إذا ما جارتي خَرَجَتْ  حتّى يوارى جارتي الخدرُ

ويصمُّ عما كان بينَهمـا  سمعي وما بي غيره وقرُ[٨]

وكنقله بيتي الاخفش شاهدا على عدم مجيء إلاّ بمعنى الواو إلاّ إذا تقدم استثناء قال: "وانشد الاخفش"[٩]:

وأرى لها داراً باغدرةِ اليـ  دانِ لم يَدَرْسِ لها رسمُ

الاّ رمـاداً هامداً دَفَعَتْ  عنه الرياحُ خوالدَ سحمُ

---

١- قائله الاخطل ديوانه- ٤٤. وفي كتاب سيبويه- ٩٥/١ وروايته (قتلا الملوك). ط بولاق.

٢- التبيان- ٢٠٨/١.

٣- التبيان- ٩٥/٧، ٢٠٣.

٤- التبيان- ٢٨٠/٣، ٤٠٠.

٥- التبيان- ٢٨/٢.

٦- البقرة- ١٨٢.

٧- التبيان- ١١٣/٢.

٨- أمالي الشريف المرتضى- ١٢٣/١.

٩- التبيان- ٢٧/٢.

وكبيت سيبويه الذي أنشده شاهدا على أن العطف على الضمير المجرور جائز في ضرورة الشعر[١] قال الشاعر:

فاليوم قرّبْتَ تهجونا وتشتُمُنا فاذهَبْ فما بِك والايامِ من عجبِ[٢]

ومنها بيت ثعلب الذي استشهد به على أنّ اللام في قوله تعالى: "لتعرضوا عنهم" ليست لام الغرض[٣]– يقصد بلام الغرض لام التعليل–.

ويعتمد الطوسي في الاستدلال النحوي بالشعر العربي اكثر من اعتداده بأقوال العرب يدل على ذلك كثرة شواهده الشعرية وندرة شواهده من أقوال العرب حتى أنه يهمل ذكرها أحيانا إذا اكتفى بالشاهد من الشعر الذي يؤدي نفس الغرض الذي أتى بالقول من أجله فعندما استشهد الطوسي على زيادة "كان" عند أبي عبيدة في قوله تعالى: "ما كانَ أبوكِ أمرأ سَوْءٍ وما كانتْ أمَّكِ بَغِياً"[٤]. قال: "وأنشد أبو عبيده في زيادة(كان):

الى كناسٍ كانَ مستعدّة

وقال آخر:

فكيفَ إذا رأيت ديارِ قومٍ وجيرانٍ لنا كانوا كرام[٥]

ولم يذكر الطوسي القول الذي سمعه أبو عبيدة من قيس بن غالب البدوي وهو: "ولدت فاطمةُ بنتُ الخرشُب الكَمَلَةَ من بني عبس لم يوجد كان مثلهم"[٦] فنقل عن أبي عبيدة الشاهدين الشعريين ولم يذكر قول قيس البدوي[٧].

---

١– التبيان– ٩٨/٣.

٢– الكتاب لسيبويه– ٣٩٢/١. ولم ينسبه، والشاهد فيه عطف الايام على المضمر المجرور. ط بولاق

٣– التبيان– ٢٨٢/٥.

٤– مريم– ٢٨.

٥– قائله الفرزدق– ديوانه– دار بيروت– ٢٩٠/٢.

٦– أبو عبيدة– مجاز القرآن– ٧/٢– ٨ وشرح ابن عقيل لألفية ابن مالك.

٧– التبيان– ١٢٢/٧، ١٢٣.

ومما نقله من الشواهد من أقوال العرب ما حكاه أبو عبيدة: "لبئس ما تزويج ولا مهر" نقله شاهدا على رأي الفراء بأن(ما) بمعنى شيء في قوله تعالى: "بئس ما اشتَرَوا به أنفسَهُم أنّ يَكْفُروا بما أنْزَل اللهُ"[١].

والتقدير: بئس الشيء اشتروا به أنفسهم أن يكفروا ف(ما) اسم بئس، و(ان يكفروا) الاسم الثاني[٢].

وفي نفس هذا الموضوع يستشهد الطوسي بحديث شريف على ان(ما) اسم قال: "وروي عن النبي- ﷺ- أنه قال: نعم المال للرجل الصالح فجعلت(ما) اسما"[٣].

وقد ذكرت رأي الطوسي في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف[٤].

### ٢ ـ القياس:

وللقياس أهمية كبرى في أدلة صناعة الاعراب. ويوليه أبو جعفر الطوسي عناية بالغة لا سيما وأنه أخذ بالقياس العقلي في علم الكلام وبالقياس المنصوص العلة بالاستنباط الشرعي. وهو المتضلع في علم الكلام وصاحب المؤلفات الكثيرة فيه. لذا فقد أخذ به في أدلة النحو وعمل به. وهناك تعريفات كثيرة للقياس، فيعرفه ابن الانباري: أنه "حمل غير المنقول على المنقول، كرفع الفاعل ونصب المفعول في كل مكان، وإن لم يكن كل ذلك منقولا عنهم"[٥]. وجعل ابن الأنباري العلاقة وطيدة بين القياس والنحو فلا ينفك أحدهما عن الآخر. فيعرّف النحو بأنه "علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب"[٦].

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس في بحث له عن القياس والاشتقاق في اللغة ان القياس له دلالتان:

---

١- البقرة- ٩٠.

٢- التبيان- ١/٣٤٦، ٣٤٧.

٣- التبيان- ١/٣٤٧.

٤- انظر صفحة ١١٨ من هذه الرسالة.

٥- ابن الانباري الاغراب في جدل الاعراب ٤٥.

٦- المصدر السابق- ٩٥.

١. عند علماء القرنيين الأول والثاني الهجريين وقد أرادوا به وضع الاحكام العامة للغة أي وضع القواعد والنصوص التي وصلت إليهم ولم يكن سيبويه يعني بالقياس أكثر من هذا، فهو يعني أن ظاهرة ما مما روى عن العرب قدر كاف لأن يوضع لها قاعدة عامة.

٢. المعنى الثاني قد برز في أواخر القرن الثالث حينما تعددت ضرورة الحياة الاجتماعية، واحتاجوا إلى دلالات جديدة تفي بذلك العصر، وكان ذلك مقياسا على ما تكلمت به العرب، وهذا ما سمي بالقياس والاستنباط وقد تبلور مثل هذا في القرن الرابع الهجري على يد أبي علي الفارس وتلميذة ابن جني"[١].

ويرى الدكتور محمد بدوي المختون أنه قد "تداخل المعنيان في فترة زمنية، ثم وجد لكلمة قياس معنى ثالث عند المتأخرين من النحاة، وهو مجرد المشابهة التي علّلوا بها كثيرا من الأحكام، كقولهم إن لا النافية للجنس عملت النصب في اسمها قياسا على "ان" لأن كلا منهما يفيد التوكيد"[٢].

والى هذا المعنى يشير الأشموني بقوله" وشبه الشيء بالشيء هي تلحقه به كـ "حم" فهي ممنوعة من الصرف عند سيبويه لشبهه ب "هابيل" في الوزن وكـ "حمدون" عند أبي علي حيث يمنع صرفه للعجمة والعلمية فهو يرى أن حمدون وشبهه من الاعلام لا توجد في الاستعمال العربي بل في استعمال عجمي حقيقة (وحكما، فألحق بما منع صرفه للتعريف والعجمة المخصصة"[٣].

ولدى تتبع آراء الطوسي في القياس وممارسته العلمية له في مسائلة النحوية لوحظ أنه لم يرد بالقياس الا هذا المعنى الأخير، وهو المشابهة التي عللوا بها الكثير من الأحكام، وبما أنه متكلم ومتأثر بالمنطق في أحكامه العقلية و"لأن العلة النحوية كالعلة العقلية"[٤] لذا فقد أخذ بالقياس النحوي وعده ضربا من القياس العقلي. ومن أمثلة أخذه بالقياس:

---

١- محاضرات الاستاذ الدكتور محمد بدوي المختون للسنة التمهيدية للماجستير لسنة ١٩٧٨.

٢- المصدر السابق.

٣- محاضرات الاستاذ الدكتور محمد بدوي المختون للسنة التمهيدية للماجستير لسنة ١٩٧٨، وانظر الاشموني١٩٧/٣.

٤- ابن الانباري- لمع الأدلة- ١١٢.

عند اعرابه لقوله تعالى: "إنّا أرسَلْنَاكَ بالحقِّ بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب الجحيمِ"[١] يقول: "وموضع "تسأل" يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون استئنافا ولا موضع له. والآخر أن يكون حالا، فيكون موضعه نصبا" ثم يذكر أن قوما أنكروا إعرابه حالا معتلين بقراءة أبي: "وما تسأل" وفي قراءة عبد الله: "ولن تسأل" ويرد الطوسي على انكار هؤلاء محتجا بالقياس فيقول معلقا على أنكارهم: "وهذا غير صحيح، لأنه ليس قياس(لا) قياس لن وما، لأنه يجوز أرسلناك لا سائلا، ولا يجوز ما سائلا، ولذلك احتمل مع لا الحال، ولن يحتمل مع ما ولن، لأن ل(لا) تصرفا ليس لهما، فيجوز أن يعمل ما قبلها في ما بعدها، ولا يجوز ذلك فيهما. تقول: جئت بلا خبر ولا يجوز بما خبر"[٢].

وحين يعرب الطوسي قوله تعالى: "ولا تَنْسَوا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ"[٣] يقول: "الواو مضمومة، لأنها واو الجمع وقياسها أن تكون مع الضم ما قبلها، فاذا لم يوصل اليه جعل الضم منها، وكان يجوز فيها الكسر، ومثله "اشتروا الضلالةَ"[٤] على ضعف فيه"[٥].

ويذكر الطوسي في اعراب "أن تبروا"[٦] ثلاثة أقوال: يرى الخليل، والكسائي: موضعه الخفض بحذف اللام مع أن خاصة. ويرى سيبويه وأكثر النحويين أن موضعه النصب ورأى النصب ورأى ثالث أن موضعه الرفع.

---

١- البقرة- ١٢٠.

٢- التبيان- ٤٣٧/١.

٣- البقرة- ٢٣٧.

٤- البقرة- ١٦، ١٧٥.

٥- التبيان- ٢٧٤/١.

٦- البقرة- ٢٢٤.

ويرجح الطوسي رأي سيبويه واصفا أياه بأنه القياس قال: "لأنه لما حذف المضاف وصل لفعل وهو القياس"[١].

ويمنع أبو جعفر الطوسي القياس على كلام الله تعالى في نحو: ضربت الا اخاك قياسا على قوله تعالى "ويأبى الله الا أن يتم نوره"[٢] قال: "لأن في الاباء معنى النفي، فكأنه قال: لا يمكنهم الله الا أن يتم نوره. وإذا لم يكن في اللفظ مستثنى منه لم تدخل (الا) في الايجاب، وتدخل في النفي على تقدير الحذف قال الشاعر:

وهَلْ لي أمّ غيرها إنْ تَركتُها  أبى اللهُ إلاّ أن أكونَ لها ابْنَما[٣]

والتقدير في الآية ويأبى الله كل شيء الا اتمام نوره. في قول الزجاج وأنكر أن يكون في الآية معنى الجحد"[٤].

ولم يجز الطوسي أن تقول: "هذا طريق ربك" قياسا على قوله تعالى: "وهذا صراطُ ربّك"[٥] يقول: "لأنه لم تجر العادة باستعماله كما أنهم استعملوا قولهم: هذا في سبيل الله، ولم يقولوا في طريق الله، لما قلناه"[٦] فاعتبر ما جرت عليه العادة أمرا يقاس عليه.

ويرجح الطوسي رأي الفراء على رأي البصريين اعتمادا على القياس وذلك عند اعرابه لقوله تعالى: "وقَالوا مَا في بُطُون هذهِ الأنعَامِ خالصة لذُكُورِنا"[٧]. قال: "وقوله(خالصة) رفع بأنه خبر الابتداء والمبتدأ قوله (ما في بطون) ولا يجوز عند البصريين النصب لأن العامل فيه لا يتصرف، فلا يتقدم عليه، وأجازه الفراء مع

---

١- التبيان- ٢٢٧/٢.

٢- التوبة- ٣٣.

٣- البيت من شواهد الفراء- معاني القرآن- ٤٣٣/١ ولم ينسبه. شرح شواهد شروح الألفية للعيني وقائله النمر بن تولب ٥٧٤/١.

٤- التبيان- ٢٠٨/٥.

٥- الانعام- ١٢٦.

٦- التبيان- ٢٧٠/٤.

٧- الانعام- ١٣٩.

قولهم إنهم لا يكادون يتكلمون به، لا يقولون: زيد قائما فيها، " ثم يعقب الطوسي على رأي الفراء بقوله: "ولكنه القياس"[١].

وعند اعرابه لقوله تعالى: "وأما ثمودُ فهدْينَاهُم"[٢] يرجح القراءة برفع الدال من "ثمود" على قراءة النصب، قياسا على قاعدة يذكرها ويضعف النصب لأنه يخالف تلك القاعدة، قال: "والرفع أجود، لأن(أما) لا يقع بعدها الا الاسماء، فالنصب ضعيف"[٣].

وعندما يعرب الطوسي قوله تعالى: "غُفْرانَكَ رَبَّنا وإليكَ المصير"[٤] يعتبر الاولوية هي علة القياس في النصب "غفرانك" قال: "وقوله (غفرانك) نصب على أنه نزل من الفعل المأخوذ منه، كأنه قيل: اللهم اغفر لنا غفرانك، فاستغنى بالمصدر عن الفعل في الدعاء، فصار بدلا منه معاقبا له. وقال بعضهم: معناه نسألك غفرانك والأول أقوى، لأنه على الفعل الذي أخذ منه أولى من حيث كان يدل عليه بالتضمين نحو (حمدا وشكرا) أي أحمد حمدا، واشكر شكرا"[٥].

### ٣- الاجماع:

يأخذ الطوسي بحجية الاجماع في الاحكام الشرعية وله مؤلفات في أدلة استنباط المسائل الفقهية يعد الاجماع من جملتها كما يتضح ذلك من كتابه "العدة" الذي يعرض فيه أصول الدين وأصول الفقه[٦]. فمن الاولى عد الاجماع من أدلة الصناعة في النحو. وهناك وشيجة قوية بين أصول الفقه وأصول النحو. ومن البيّن أن الاجماع لا ينعقد على أمر الا لحصول العلم به، وانكشاف دلالته لذا فقد عني الطوسي–وهو الاصولي البارع– بالأجماع في أدلة النحو. ولم يقصر الطوسي عد الاجماع دليلا في أصول الفقه وأصول

---

١– التبيان– ٢٩٢/٤.

٢– فصلت– ١٧.

٣– التبيان– ١١٥/٩، ١١٦.

٤– البقرة– ٢٨٥.

٥– التبيان– ٣٨٣/٢.

٦– انظر مؤلفاته وآثاره من هذه الرسالة ص٤١.

النحو فحسب، بل عده أيضا بالتفسير[١] والقراءة[٢]. ومن استدلاله بالإجماع بالتفسير عند تفسيره لقوله تعالى: "لا تُدرِكُه الأبصارُ وهُوَ يُدرِكُ الأبصارَ"[٣]. قال: "وإذا ثبت نفي إدراكه على كل حال، فكل من قال بذلك قال الرؤية مستحيلة عليه. ومن أجاز الرؤية لم ينفها نفيا عاما فالقول بنفيها عموما مع جواز الرؤية عليه قول خارج عن الاجماع"[٤] ويقصد بهذا الاجماع ما اشار اليه في بداية تفسير الآية بقوله: "إجماع الامة فإنه لا خلاف بينهم في أنه تعالى تمدّح بهذه الآية فقولنا: تمدّح بنفي الادراك عن نفسه لاستحالته عليه... فالأجماع حاصل على أن فيها مدحة"[٥].

ومن استدلاله على صحة الوجه الإعرابي بالإجماع ترجيحه بناء حروف الهجاء المقطعة في أوائل السور. قال: "وأجمع النحويون على أن هذه الحروف وجميع حروف الهجاء، مبنية على الوقف لا تعرف، كما بنى العدد على الوقف. ولأجل ذلك جاز أن يجمع بين ساكنين كما جاز في العدد. تقول: واحد اثنان ثلاثة أربعة، فتقطع ألف اثنين وهي ألف الوصل وتذكر الهاء في ثلاثه وأربعه. فلو لم تنو الوقف لقلت: ثلاث- بالتاء-"[٦].

والطوسي يلاحظ بدقة شمول الاجماع لكل الآراء، وإذا ما خالف فيه واحد ذكره مبينا أنه مخالف للأجماع، ومثال ذلك عند ذكره للعامل في "الذين" من قوله تعالى: "يا أيُّها الذين آمنو استَعينُوا بالصبرِ والصّلاةِ"[٧] فذكر: أن العامل فيها ما يعمل في صفة المنادى عند جميع النحويين، الا الأخفش، فانه يجعله صله لأي ويرفعه بأنه خبر ابتداء محذوف، كأنه قيل: يامن هم الذين آمنو"[٨].

---

١- التبيان- ٣٢٦/١، ٢٢٥/٧.

٢- التبيان- ٩٢/٧.

٣- الانعام- ١٠٣.

٤- التبيان- ٢٢٥/٧.

٥- التبيان- ٢٢٣/٧.

٦- التبيان- ٥٠/١.

٧- البقرة- ١٥٣.

٨- التبيان- ٣٤/٢.

ويورد الطوسي أحيانا الاجماع نتيجة لاستقراء الشخص لآراء النحويين لا بطريق النقل، وبعبارة أخرى، أن يكون ايراده للأجماع محصّلا لا منقولا، ومن ذلك أنه ادعى إجماع النحويين على أن اللام الثانية لام قسم من قوله تعالى: "ولَقَدْ علِموا لمَنْ اشتراه مالَهُ في الآخرةِ من خلاقٍ"[١].

قال: "فان قيل: ما اللام الأولى في قوله: "ولقد علموا" وما الثانية في قوله "لمن اشتراه" ومثله قوله "ولئن جئتهم بأية ليقولن"[٢]. قيل: الثانية لام القسم بالاجماع"[٣].

ويبدو أن الطوسي عند ايراده لهذا الاجماع لم يطلع على رأي الأخفش في هذه المسألة، حيث يرى أن: "لام الابتداء، تدخل بعد العلم وما أشبهه. ومبتدأ بعدها، تقول: لقد علمت لزيدٌ خيرٌ منكمُ"[٤].

وهذا مما يدل على أن الاجماع الذي أورده الطوسي محصّل لا منقول، ولما خالف الأخفش في هذه المسألة اذن فلا اجماع فيها. لأن الأخفش من كبار النحويين وإذا خالف في مسألة فإن الطوسي يعتبر خلافه ويذكره بدليل ذكره له بالمسألة التي سبقت هذه المسألة.

### ٤ـ استصحاب الحال:

ومن الأدلة النحوية التي قد يؤخذ بها في أدلة صناعة الاعراب استصحاب الحال، وهذا الدليل يأتي بدرجة متأخرة عن الأدلة الثلاثة السابقة له. وذلك لأن قوة دلالته لا ترقى الى حجية السماع والقياس والاجماع.

وحتى بالاستدلال الفقهي فان استصحاب الحال لا يصح الأخذ به ان وجد مانع، فان عدم المانع جاز الأخذ به، وهذا شرط الامامية الجعفرية في الأخذ باستصحاب الحال قال السيد الحيدري أنه يصح الاخذ به إذا استقرّت "سيرة العقلاء على الأخذ بالحالة السابقة ما لم يثبت خلافها"[٥]. والى هذا المعنى أشار ابن القيم

---

١- البقرة- ١٠٢.

٢- الروم- ٥٨.

٣- التبيان- ٣٨٣/١.

٤- الاخفش- معاني القرآن- ٦٤. نسخة مصورة عن مكتبة القدس الشريف محفوظة بمكتبة المشهد بإيران رقم (٢٢٠) تفسير، الرقم العمومي ١٥٢٢.

٥- الحيدري- أصول الاستنباط- ١٨٨.

بقوله "ان المستمسك بالاستصحاب يستمسك بالأصل الذي كان ثابتا، ولم يقم دليل على نفيه، فهو لا يقيم دليلا على صحة ما يدل عليه الأصل، ولكن يرد به كل مدح للتغيير، ما لم يكن مغير بالفعل"[١]. ولأجل ما تقدم فان الطوسي أخذ باستصحاب الحال في المسائل النحوية بشكل نادر، ولم يوله أهمية كبيرة كبقية الأدلة ومن أخذه بذلك. حين أعرب قوله تعالى: "ولَكنّي رسول من ربِ العالمينَ"[٢]، ذكر أن أصل "لكني" "لكنني" وعلل الحذف لاجتماع النونات ثم ذكر بناء على الاستصحاب أنه يجوز الاتمام، لأنه الأصل. قال "فأما(ليتني) فلا يجوز فيه الا إثبات النون، لأنه لم يعرض فيه علة الحذف. وأما (لعلي) فيجوز فيه الوجهان، لأن اللام قريبة من النون"[٣].

فالطوسي في هذه المسألة أجاز استعمال (لكنني) بناء على الاستصحاب ولم يجز حذف النون من (ليتني) لأنه لا توجد علة للحذف والاصل الابقاء عليها. وفي الحالة الثالثة جوز الوجهين. لوجود علة جواز الحذف–وهي قرب النون من اللام– وبناء على الاستصحاب ابقاء النون أصلا في الوجه الآخر.

وفي مسألة أخرى خطأ الطوسي بناء استصحاب الحال كلا من أبي القاسم البلخي المفسر المعتزلي وأبي جعفر الطبري، حين جعلا الاستثناء منقطعا في قوله تعالى: "لَنْ يَضُرُّوكم إلاّ أذىً"[٤]. قال معلقا على رأيهما "وهذا ليس بصحيح، لأنه إذا أمكن حمله على الاستثناء الحقيقي لم يجز حمله على المنقطع. والمعنى في الآية، لن يضروكم الا ضررا يسيرا، فالأذى وقع موقع المصدر الأول. وإذا كان الأذى ضررا، فالاستثناء متصل. والمنقطع لا يكون في الثاني مخصصا للأول، كقولك: ما في الدارِ أحدٌ الا حمارا، وكقولك: ما زاد إلاّ ما نقصَ وما نفعَ الاّ ما ضَّر"[٥].

---

١– أبو زهرة– أصول الفقه– ٣٠٠.

٢– الاعراف– ٦٠.

٣– التبيان– ٤٣٧/٤.

٤– آل عمران– ١١١.

٥– التبيان– ٥٥٩/٢.

- **موقفه من العامل:**

لقد واكبت نظرية العامل النحو منذ بدايته. وأخذ بها كبار النحويين وكأنها من المسلمات الأساسية ويقصد بالعامل في النحو "موجب لتغيير في الكلمة على طريق المعاقبة لاختلاف المعنى"[١] أو أنه "الأمر الذي يتحقق به المعنى المقتضى للإعراب"[٢] أو "ما أوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص"[٣]. وقيل إن أبا الاسود الدؤلي قال: "فكان ما وقع الى (أن) وأخواتها ما خلا(لكن) فلما عرضها على علي–عليه السلام– قال لي: وأين لكن؟ فقال: ما حسبتها منها فقال: هي منها"[٤]. وبناء على هذا القول فأن أبا الأسود اهتدى الى الرابط بين هذه الحروف وهو العمل المتشابه، وهذا يعني أنه عرف فكرة العمل[٥].

وتتجلى نظرية العامل في كتاب سيبويه فلا ينفك عنه في أغلب مسائله[٦] وتستمر نظرية العامل توجه النحو وتحدد مواقف النحاة حتى ظهر ابن مضاء في القرن السادس الهجري ونادى بإلغائها. وهذا يعني أن نظرية العامل كانت مسيطرة على كافة نحاة القرن الخامس الهجري. فالطوسي اذن ممن اهتموا بقضية العامل والمعمولات اهتماما كبيرا وظهرت لها عناية منه بينة في أكثر الاعاريب للآي الكريمة، ويذكر الطوسي ما إذا كان العامل لفظيا أم معنويا مشيرا لذلك في أثناء الاعراب، فعند اعرابه لقوله تعالى: "كُتِبَ عليكُم إذا حَضَرَ أحدَكُم الموتُ إن تركَ خيراً الوصيةُ للوالدينِ والأقربين"[٧] قال: "والوصية مرفوعة بأحد أمرين: أحدهما– ب(كتب)، لأنه لم يسم فاعله. الثاني– أن يكون العامل فيه الابتداء وخبره للوالدين. وفي نفس الآية الكريمة يذكر أن العامل في (إذا) معنوي "كتب على معنى إذا حضر أحدكم الموت أي عند المرض" أو "كتب عليكم

---

١– الحدود للرماني– ٣.

٢– شرح الكافية للرضي– ٢٥/١.

٣– التعريفات للسيد الجرجاني– ١٢٦.

٤– نزهة الألباء– ٥.

٥– أبو البركات الانباري ودراساته النحوية– ٢٤٣.

٦– سيبويه– الكتاب– ٤٦/١، ٩٩، ١٢٠.

٧– البقرة– ١٨٠.

الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف في حال الصحة قائلين: إذا حضرنا الموت فلفلان كذا"[١]. ويؤكد الطوسي في إعرابه دائما على العامل فعند اعرابه لقوله تعالى: "ولِتَصغى إليهِ أفئدةُ الذينَ لا يؤمنون بالآخرةِ"[٢].

يعرض الطوسي رأي الزجاج والبلخي والجبائي في "اللام" في الآية الكريمة وهل هي لام العاقبة أم لام الأمر أم لام الغرض؟

ومن خلال عرضه لآراء هؤلاء العلماء ومناقشته لهم يرد على آرائهم ويعطي رأيه، ويبدأ ببيان العامل ثم يرجح رأيه الاعرابي بناء على المعنى في الآية الكريمة فيقول: "العامل في قوله (ولتصغى) قوله (يوصي) واللام لام الغرض، وتقديره يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغرونهم، ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة، وتكون الهاء في قوله (اليه) عائدة الى القول المزخرف".

وبعد ذلك يرجح الطوسي(العامل) الذي ذكره على غيره من العوامل المحتملة، بناء على المعنى الذي يستخلصه من الآية الكريمة فيقول: "ولا يجوز أن يكون العامل فيها(جعلنا) لأن الله تعالى لا يجوز أن يريد منهم أن تصغى قلوبهم الى الكفر ووحي الشياطين، اللهم الا أن يجعلها لام العاقبة كما قال: (فالتقطه آل فرعون ليكونَ لهُم عدواً وحزنا)[٣]. غير أن هذا غير معلوم ان كل من أرادوا منه الصغو صغى، ولم يصح ذلك أيضا في قوله: (وليرضوا وليقترفوا ما هم مقترفون) لأنه غير معلوم حصول جميع ذلك".

ثم يعرض رأي الجبائي في اللام من "لتصغى" فيقول: "وقال الجبائي: ان هذه لام الأمر، والمراد بها التهديد، كما قال: "واستفزاز"[٤] وقال: "اعملوا ما شئتم"[٥]. قال: "لأن علامة النصب والجزم تتفق في سقوط النون في قوله: "وليرضوه وليقترفوا"[٦].

---

١- التبيان- ١٠٩/٢

٢- الانعام- ١١٣.

٣- القصص- ٨.

٤- الاسراء- ٦٤.

٥- فصلت- ٤٠.

٦- التبيان- ٢٤٣/٤.

ويرد الطوسي على رأي الجبائي وتعليلاته فيقول: "وهذا غير صحيح، لأنها لو كانت لام الأمر لقال: (ولتصغ) بحذف الألف، وما قاله، فما يمكن أن يقال في قوله "وليرضوه وليقترفوا" فأما في قوله "ولتصغى" فلا يمكن، فبان بذلك أنها لام كي".

وبعد ذلك يعرض الطوسي رأيا آخر للزجاج والبلخي ويناقشه مرجحا رأيه على رأيهما فيقول: "وقال الزجاج والبلخي: اللام في "ولتصغى" لام العاقبة، وما بعده لام الأمر الذي يراد به التهديد". ويعلق الطوسي على هذا الرأي بقوله: "وهذا جائز غير أن فيه تعسفا"[١].

وكذا عند قوله تعالى: "ومن تأخر فلا إثمَ عليه لِمَنْ اتقى"[٢] فانه يذكر عاملا معنويا للام في قوله تعالى: "لِمَنْ اتقى". قال: "والعامل في اللام في قوله "لمن اتقى" قيل فيه قولان: أحدهما- ذلك "لمن اتقى" فحذف ذلك لأن الكلام الأول دل على وعد للعامل. والثاني- أن يكون العامل معنى "لا إثم عليه" لأنه قد تضمن معنى جعلناه "لمن اتقى"[٣].

ويذكر الطوسي ثلاثة احتمالات للعامل في نصب المصدر "حقا" من قوله تعالى: "وللمطلقات متاعٌ بالمعروفِ حقا على المتقين"[٤] قال: "والعامل فيه "بالمعروف" كأنه قيل: عرف حقا، ويجوز أن يكون العامل الظرف.

ويجوز أن يعمل فيه معنى الجملة، كأنه قيل: أحق ذلكَ حقا"[٥].

ويشير الطوسي الى العامل اللفظي الظاهر والمقدر في نصب "بسم الله" من قوله تعالى: "وقَالَ أركبوا فيها بسمِ اللهِ مجراها ومَرساهَا"[٦].

---

١- التبيان- ٢٤٣/٤.

٢- البقرة- ٢٠٣.

٣- التبيان- ١٧٧/٢.

٤- البقرة- ٢٤١.

٥- التبيان- ٢٨١/٢.

٦- هود-٤١.

قال: "والعامل في (بسم الله) يحتمل ثلاثة أشياء: أحدهما- "اركبوا"، والثاني-"ابتدئوا ببسم"، والثالث- أجراها وأرساها"[١].

- **موقفه من العلل:**

واكبت العلة النحوية نشأة النحو وتطوره ونضجه. وعلل النحاة الأولون لكثير من المسائل النحوية "فكل حكم نحوي يعلل، وكل ظاهرة نحوية كلية أو جزئية، لابد لهل من علة عقلية، ولم يكتفوا بالعلل القريبة، فقد ذهبوا يغوصون على كوامن العلل وخفاياها ودقائقها، وكل نحوي بصري أو كوفي أو بغدادي، يجرب ملكاته الذهنية ويستنبط عللا جديدة"[٢].

وكان ابن أبي اسحاق الحضرمي "أول من بعّج النحو ومَدَّ القياس والعلل"[٣].

وأصبحت للعلة النحوية مكانة بارزة في أحكام الخليل بن أحمد الفراهيدي، فأرسى أسسها وتبلورت ونضجت معالمها على يده[٤].

واستنبط "سيبويه" عللا نحوية بنفسه إضافة لتعليلات شيوخه وخاصة الخليل "وإذا تأملنا هذه التعليلات وغيرها، مما امتلأ به كتاب سيبويه، وجدناها شبيهة بعلل الخليل والذين روى عنهم، من حيث عنايتها بالمعنى، واهتمامها بقياس الشبه بشبيهه وحمل النظير على نظيره، واعتمادها ذوق العرب في طلبه للخفة"[٥].

وكان لعلوم المنطق والفلسفة وأصول الفقه، أثر كبير في توسعة نطاق التعليل في النحو في القرن الخامس الهجري.

وقد اهتم الطوسي بالعلل النحوية وأولاها عناية كبيرة شأنه في ذلك شأن نحاة القرن الخامس الهجري وتعليلاتهم.

---

١- التبيان- ٤٨٨/٥.

٢- مقدمة الدكتور شوقي ضيف لكتاب الاتضاح للزجاجي.

٣- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي-٢٥.

٤- انظر ما نقله الزجاجي من كلام الخليل عن العلة النحوية في كتاب الايضاح في علل النحو- ٦٥، ٦٦.

٥- د. مازن المبارك- النحو العربي- ٦٣.

١. وتعليلات الطوسي كثيرة منها أنه علل قول الشاعر في جواز إضمار الفعل بعد حروف المجازاة–التي هي غير (أن)– للضرورة قال الشاعر:

فمتى واغلٌ يُنبهُم يحيوه ويُعطَف عليهِ كأسُ الساقي[١]

قال الطوسي تعقيبا على هذا الشاهد "فإنما هو ضرورة، لا يجوز مثله في الكلام".

٢. ومن تعليلاته بالضرورة أنه أجاز الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالظرف في ضرورة الشعر فقط ولم يجزه في غيره كقول الشاعر[٢]:

كما خُطَ الكتابُ بكفِ يوما يهوديٍ يقاربُ أو يزولُ[٣]

ومن تعليلاته بالخفة والمعنى أنه علل بذلك بناء "ثم" كالتي في قوله تعالى: "فثَمَّ وجهُ اللهِ"[٤]، قال: "وإنما بني، لأن فيه معنى الاشارة الى المكان لإبهامها، وبني على الحركة لالتقاء الساكنين هو فتح لخفة الفتحة في المضاعف"[٥].

٣. الأمن من اللبس:

يقدر الطوسي في قوله تعالى: "أنْ تَسترضِعُوا أولادَكُم"[٦] لاما محذوفة، فيكون تقدير الكلام: أن تسترضَعوا لأولادكم. قال: "ولا يجوز: دعوت زيداً، تريد لزيدٍ، لأنه يجوز أن يكون المدعو والمدعو له. إذ معنى دعوت زيداً لعمروٍ، خلاف دعوت زيدا فقط، فلا يجوز للألباس"[٧].

---

١– التبيان– ١٧٥/٥. قائله عدي بن زيد، كتاب سيبويه ٤٥٨/١ وروايته(وتعطف).

٢– التبيان– ٢٨٦/٤.

٣– شرح ابن عقيل ابن مالك– ٦٨/٢.

٤– البقرة– ١١٦.

٥– التبيان– ٤٢٦/١.

٦– البقرة– ٢٣٣.

٧– التبيان– ٢٦١/٢.

وقال في جواز حذف حرف الاستفهام إذا كان الكلام عوضا عنه: "قد يحذف حرف الاستفهام مع ثبوت العوض تارة وأخرى مع فقده إذا زال اللبس"[١].

٤. الاتباع:

أجاز الطوسي أن يكون قوله تعالى: "وإن تصبِروا وتتقوا"[٢]، في موضع جزم قال: "إنما جاز في موضع الجزم للاتباع"[٣].

٥. كثرة الاستعمال:

يعلل الطوسي حذف الهمزة في مضارع رأيت دون ماضيه بثلاثة علل قال: "لاجتماع ثلاثة أشياء: الزيادة في أوله، وكثرة الاستعمال لها، ولأن فيما بقي دليل عليها"[٤].

٦. الشبه والمشاكلة:

يرى الطوسي أن "إنَّ" إذا خففت لا تعمل لأنها يقل شبهها ب "كان" قال: "و(إنَّ) إذا شددّت عملت، ولا تعمل إذا خففت، لأنها مشددة تشبه(كان) فلما خففت قل الشبه الا أن يحمل على كان محذوفه، وليس قوة حملها عليها تامة كقوة حملها محذوفة"[٥].

٧. الخفة وكثرة الاستعمال:

قال الطوسي: "وصرف(هود) لخفته، ...، وهو أحق بالصرف لأنه أكثر في الاستعمال"[٦].

٨. الفائدة:

---

١- التبيان- ١٨٥/٤.

٢- آل عمران- ١٢٠.

٣- التبيان- ٢٦١/٢.

٤- التبيان- ٤٤٢/٤.

٥- التبيان- ٤٤٢/٤.

٦- التبيان- ٤٤١/٤.

علل الطوسي بالفائدة عند اعرابه لقوله تعالى: "وصيةً من اللهِ"[١] قال: "وقوله: (وصية) نصبه على المصدر بقوله (يوصيكم اللهُ) وصيةً. وقال الفراء: نصب بقوله: "فلكلِ واحدٍ منهُما السدُسُ" وصية، كما تقول: لك درهمان نفقة الى أهَلِكَ" قال الطوسي: "والأول أعم فائدة وأولى"[٢].

٩. الثقل:

وعلل الطوسي تحريك الراء من قوله تعالى: "لا يَضُرَّكُم"[٣] للثقل قال: "وقوله: "لا يضركم" يحتمل أن يكون جزما لأنه جواب الأمر، وحرّك الراء لأنها ثقيلة وأولها ساكن، فلا يستقيم اسكان آخرها، فيلتقي ساكنان"[٤].

١٠. الأصل:

قال الطوسي: "ولكنّي أصله (ولكنني) وحذفت النون لاجتماع النونات، ويجوز الاتمام، لأنه الأصل"[٥].

١١. اجراء شيء مجرى آخر:

يجّوز الطوسي دخول "إذا" على الاسم كما في قوله تعالى: "إنّكم إذاً لخاسرون"[٦] إذا ألغيت. قال: "و(إذا) من عوامل الأفعال، وإنما دخلت–ههنا– على الاسم لأنها ملغاة، وإذا ألغيت من العمل صلح ذلك فيها، لأنها حينئذ تجري مجرى ألف الاستفهام في أنها لا تختص، لأنها لا تعمل"[٧].

١٢. ومن تعليلاته بالخفة والاصل قال: "وأصل (إنّا) إننا وحذفت احدى النونين لكثرة النونات، فاذا قيل: إننا، فلأنه الأصل، وإذا قيل: (إنا) فللاستخفاف مع كراهة التضعيف"[٨].

---

١– النساء– ١٢.

٢– التبيان– ٣/١٣٦، ١٣٧.

٣– المائدة– ١٠٥.

٤– التبيان– ٤/٤١.

٥– التبيان– ٤/٤٣٧.

٦– الأعراف– ٨٩.

٧– التبيان– ٤/٤٧٠.

٨– التبيان– ٤/٥١٠.

ومن تعليلاته للفائدة أنه يمنع أن تكون الباء في قوله تعالى: "وامسحوا برؤوسِكم"[1] زائدة وعلة المنع عنده هي امكان حملها على فائدة فيقول: "وحملها على الزيادة لا يجوز مع إمكان حملها على فائدة مجددة"[2].

١- المائدة- ٦.

٢- التبيان- ٣/٤٥٢.

### ٧- مذهبه النحوي:

انتهت طبقات النحويين البصريين والكوفيين بوفاة علمين من أعلام المدرستين وهما المبرد البصري سنة ٢٨٥هـ، وثعلب بن يحيى الكوفي سنة ٢٩١هـ.

ويرى Howe١١ بأن المدرسة البصرية استمرت الى أواسط القرن الرابع الهجري "لأن ابن دريد الذي عاصر المبرد اثنين وستين عاما، ظل حيا حتى سنة ٣٢١هـ"[١].

وبانتهاء طبقات هاتين المدرستين اختلف العلماء في وجود مدارس أخرى غير مدرستي البصرة والكوفة. فذهب بعضهم الى وجود المدرسة البغدادية وأنكر بعض آخر وجود أي مدرسة غير المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية.

ويرى Howe١١ ان النحاة الذين جاءوا بعد وفاة ابن دريد "ممن خلف المبرد وثعلب يسمون بالبغداديين، كأبي بكر بن السراج وميرمان، لا لأنهم سكنوا وحاضروا بغداد، ولكنهم لقنوا مذهبا جديدا مزيجا من تعاليم المدرستين القديمتين من تفاوت وعلم في النزوع الى احداهما دون الأخرى"[٢].

ويرى بعض الباحثين وجود مدرسة بغدادية تقوم على أساس الاختيار والانتخاب من آراء المدرستين. ومن هؤلاء بروكلمان، فهو يرى أن من بقي من العلماء بعد نحاة طبقتي البصرة والكوفة، والذين اجتذبتهم عاصمة الخلافة "والذي تهيأت له فرصة الاستماع الى ممثلي كلا المدرستين، لم يلق كبير اهتمام للخلافات القديمة بل عمد الى انتخاب مزايا كلا المدرستين، وتوحيد هذه المزايا في مذهب جديد مختار"[٣].

ويذهب الاستاذ عبد الحميد حسن الى وجود مدرسة بغدادية أيضا فيقول: "أتيح للبغداديين بهذا أن ينظروا في المذهبين البصري والكوفي، ويوازنوا بين آراء الفريقين فأنشأوا لهم مذهبا كان أساسه المستحسن من

---

١- أبو علي الفارسي- ٤٤٥.

٢- أبو علي الفارسي- ٤٤٥.

٣- تاريخ الأدب العربي- ٢/٢٢١.

المذهبين، وأضافوا الى ذلك ما عنَّ لهم من آراء خاصة، وكانوا أول الأمر أكثر ميلا الى موافقة الكوفيين لمكانة نحاة الكوفيين عند الخلفاء، ولكنَّهم اتبعوا المذهب البصري في كثير من المسائل"[١].

ويقول أحمد أمين في هذا الصدد: "ومن هذا فقد كان التقاء البصريين والكوفيين في بغداد سببا في عرض المذهبين، ونقدهما، والانتخاب منهما، ووجود مذهب منتخب"[٢]. ويذهب الدكتور شوقي ضيف الى وجود مدرسة بغدادية قائمة في أسسها على الاختيار والخلط[٣].

وهناك رأي آخر يذهب الى نفي وجود أي مدرسة غير المدرستين البصرية والكوفية وممن يذهب الى هذا الرأي الأستاذ علي النجدي، فيتساءل فيما اذا كان للنحو مدارس أخرى غير مدرسة الكوفة والبصرة، ثم يقول: "قبل الاجابة عن هذا السؤال ينبغي أن أعرف المدرسة، فهي طائفة من العلماء أو الأدباء أو أهل الفن تؤلف بينهم في الانتاج أصول ومناهج يلتزمونها مع احتفاظ كلٌ بخصائص شخصية" ثم يتكلم عن كيفية التقاء آراء المدرستين وتلفيق نحويهما، ثم يتساءل بصيغة استفهام انكاري، "فهل يصح أن نطلق على أصحاب هذا التلفيق اسم مدارس، فتقول مثلا: مدرسة النحو البغدادية أو مدرسة النحو المصرية؟ وكيف وليس فيهم سمة من سمات المدارس كما تتمثل في دنيا العلوم والفنون"[٤].

وممن يذهب الى هذا الرأي "فايل" حيث يرى أن النحاة الذين جاءوا بعد المبرد "لم يكونّوا مدرسة ذات اتجاه خاص يسوغ تسميتها مدرسة مزج واختيار، بل يمثلون دراسة في دائرة النحو البصري..."[٥].

ويقول الدكتور فاضل السامرائي: "ولا نرجح أنّ هناك مدرسة نحوية مستقلة اسمها (المدرسة البغدادية) كما ذهب اليه قسم من الباحثين"[٦].

---

١- القواعد النحوية- ١٠٥.

٢- ضحى الاسلام- ٢٩٨/٢.

٣- المدارس النحوية: ٢٤٥، ٢٤٦.

٤- محاضرات الاستاذ علي النجدي للسنة التمهيدية للماجستير ١٩٧٨.

٥- مقدمة الانصاف- فايل- ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار عن الألمانية.

٦- الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري- ٣١٨.

وبعد استعراض رأي الفريقين وعدم عرض حججهم خوف الاطالة. فان القائلين بهذا أو ذاك قد يكون الخلاف بينهم لفظيا ليس غير.

والحقيقة أن هناك نحاة جاءوا بعد طبقات المدرستين ومزجوا من تعاليم المدرستين، وأضافوا لما انتخبوه مما اجتهدوا به وأبدعوا فيه، فسواء أطلق عليهم أنهم بغداديون وتضمهم مدرسة خاصة لها مميزات معينة. أو قيل عنهم أنهم علماء نحاة مجتهدون انتخبوا من المدرستين ومزجوا وأضافوا وتميّزوا عن كلا المدرستين السابقتين. فهذا لا يغيّر من الحقيقة الواقعة شيئا. أي أن التسمية اللفظية والاصطلاح اللفظي لا يزيد في حجم هؤلاء النحاة ومنزلتهم ولا ينقص منهم شيئا. وعلى ما يبدو أن النزاع بين القائلين بوجود مدرسة بغدادية وعدمها، إنما هو نزاع لفظي ليس إلاّ.

وعلى أي فرض من الفروض الثلاثة السابقة فالطوسي حسب ما تبين لي من دراستي لآرائه النحوية وترجيحاته وموقفه من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ودراسة مصطلحاته النحوية وموقفه من أدلة صناعة الاعراب وموقفه من الأسس التي اعتمدها كل من المدرستين تبين أنه يمزج بين آراء المدرستين البصرية والكوفية، وينتخب من آرائهم ويمزج حتى بين الاصول والأسس التي اعتمد عليها كل من المدرستين، فهو في الوقت الذي يكثر فيه الشواهد كالسيل لإثبات رأيه وبهذا يتابع البصريين آراءه يحتج بالقراءة الشاذة لإثبات مسألة نحوية متابعا بذلك طريقة الكوفيين. وقد تبين من دراسة موقفه من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، أنه يرجّح بعضا من مسائل البصريين وبعضا آخر من مسائل الكوفيين وإن كان ترجيحه لما يذهب اليه البصريون أكثر، وكأنه أميل الى البصريين منه الى الكوفيين[١].

وتبين من دراسة مصطلحاته النحوية أنه يمزج بين اصطلاحات المدرستين فعند استعماله لاصطلاح عماد الكوفي يشير الى أنه كوفي ما يقابله عند البصريين أي ضمير الفصل ويستعمل اصطلاحي الجر البصري والخفض الكوفي، وكذا اصطلاح العطف البصري واصطلاح النسق الكوفي وكذا اصطلاح التمييز

١- انظر موقفه من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين من هذه الرسالة صفحة ١٤٤.

البصري والتفسير الكوفي وهكذا في كثير من المصطلحات وقد تبين ذلك بوضوح من خلال بحث مصطلحاته النحوية[١].

والخلاصة أن الطوسي لا يمكن أن يُعَدَّ كوفيا ولا تسمح مسائله الخلافية مع البصريين ان يعتبر منهم ولما لم يكن من البصريين ولا من الكوفيين فهو إذن من البغداديين عند من يصطلح هذا الاصطلاح أو من النحاة الذي جاءوا بعد انتهاء نحاة طبقتي المدرستين البصرية والكوفية، وأخذ يمزج ويختار من آراء نحاة المذهبين ويجتهد فيما يراه مرجحا.

١- انظر مصطلحاته النحوية من هذه الرسالة صفحة ١٦٢.

# الفصل الرابع

## الاتجاهات الصرفية

١- الصرف.

٢- الاشتقاق.

٣- ضروب الاشتقاق.

٤- الاشتقاق من المصدر أو الفعل.

٥- المجرد والمزيد.

٦- اشتقاق الأسماء:

أ- المصدر. ب- اسم المصدر. جـ- اسم المرة واسم الهيئة. د- اسما الزمان والمكان. هـ- اسم الآلة. و- اسم الفاعل والصفة المشبهة. ز- اسم المفعول. ح- المصدر الميمي. ط- اسم التفضيل. ي- افعل التعجب.

٧- جمع التكسير.

٨- التصغير.

٩- الامالة.

١٠- الابدال.

١١- الادغام.

١٢- أثر الفقه على الجانب الصرفي عند الطوسي.

# الاتجاهات الصرفية

**١- الصرف:**

يعرف الأشموني التصريف، لغة "التغيير" ومنه تصريف الرياح "أي تغييرها".

أما في الاصطلاح فله معنيان أحدهما: تحويل الكلمة الى أبنية مختلفة لضرب من المعاني كالتصغير والتكسير. ويذكر هذا النوع عادة قبل النوع الثاني الذي يعرف بـ" تغيير الكلمة لغير معنى طارئ عليها، ولكن لغرض آخر كالإلحاق والتخلص من التقاء الساكنين ومنه اجتماع الواو والياء وسبق أحدهما بالسكون وكالزيادة والحذف والإعلال والإبدال والإدغام، وهو المقصود بالتصريف"[١].

ويعرف ابن عقيل التصريف بأنه: "علم يبحث فيه عن أحكام بنية الكلمة العربية وما لحروفها من أصالة وزيادة، وصحة واعلال، وشبه ذلك. ولا يتعلق إلا بالأسماء المتمكنة والأفعال، فأما الحروف وشبهها فلا تعلق لعلم التصريف بها".[٢]

ويعرف صاحب التصريح التصريف لغويا، بأنه تغيير مطلق، وفي الصناعة "تغيير خاص في بنية الكلمة لغرض معنوي كتغيير المفرد الى التثنية والجمع، أو لفظي كتغيير "قول" الى "قال"[٣].

يتضح مما تقدم من تعاريف القدامى للصرف، أنه يتعلق بتغيير بنية الكلمة بشكل مطلق، إلا ان الملاحظ عليهم–عند عرضهم لأبحاث المادة الصرفية– أنهم يفصلون، ويمزجون بين المسائل الصرفية، ويتناولون مسائل أطلق عليها المحدثون اصطلاحات جديدة، تعرض لها الأقدمون ولم يفردوا لها عناوين مستقلة، كما هو شأنهم في أغلب العلوم حيث كانت مختلطة مع بعضها. بل ويمزجون أحيانا بين القضايا الصرفية والنحوية.

وفي المباحث الصرفية الحديثة يطلق بعض المحدثين على علم الصرف اسم "المورفولوجيا" (Morpholagy) ويقصد به علم البنية، ويقسم الى ثلاثة أقسام هي:

---

١- الأشموني- ٤/٢٣٦.

٢- شرح ابن عقبل- ٤/١٩١.

٣- التصريح- ٢/٣٥٦.

١. المورفولوجيا التعليمي: ويبحث فيه في قواعد اشتقاق الكلمات وتصريفها وتغيير أبنيتها بتغيير المعنى. وهذا ما يقابل علم الصرف في اللغة العربية.

٢. المورفولوجيا التأريخي: وتدرس فيه القواعد الأصلية للغة ما دراسة تحليلية تأريخية تستهدف الوصول الى أقدم الاشكال وما صاحبها من تطور.

٣. المورفولوجيا المقارن: وتدرس فيه القواعد الأولية للغة ما دراسة مقارنة ضمن فصيلة من اللغات أو مجموع اللغات، وهذا القسم والذي سبقه يخص مباحث "علم اللغة"[١].

ويبدو من هذا التقسيم أن القسم الأول ينطبق على تعريف الصرف عند علماء الصرف في اللغة العربية كالتعاريف السابقة، وكما يعرفه ابن الحاجب حيث يقول: "التصريف علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست باعراب"[٢].

إن ظاهرة التخصص في مختلف العلوم حديثا، أبرزت مختلف العلوم بعناوين تميزها عن غيرها، مما كان سببا في نمو تلك العلوم وتطورها في شتى المجالات. في حين أن ظاهرة الخلط في الكثير من العلوم قديما سبب ضياع الكثير منها. والصرف كعلم من العلوم تندرج تحته علوم كثيرة أخرى برزت حديثا وأخذت تدرس مستقلة عنه. فعلم الصوت الحديث مثلا كانت مادته تعرض في ثنايا مباحث علم الصرف بل أن علم الصرف ذاته لم يأخذ بالاستقلال إلا في الطور الثالث من أطوار نمو النحو وهو طور النضج والكمال في أواخر القرن الثالث الهجري في عهد أبي عثمان المازني البصري ويعقوب بن السكيت الكوفي.

ورغم استقلال موضوعات الصرف عن النحو في عصر الطوسي، إلا أن هذا الاستقلال لا يوفر كثيرا من الجهد على الباحث في مثل هذه الدراسة، وذلك لأن طبيعة دراسة هذا الموضوع بهذه الكيفية تستلزم استقراء وجمع المسائل الصرفية المتناثرة في أجزاء التبيان– ميدان بحث هذه الرسالة– حيث ان الطوسي يذكر المسائل الصرفية عرضا في ثنايا مسائله اللغوية والنحوية المتعلقة بتفسير الآيات الكريمة.

---

١– علم اللغة– د.علي عبد الواحد وفي ص د.

٢– الشافية– ١/١، ٢.

### ٢- الاشتقاق:

عرّفَهُ الصرفيون بتعاريف عديدة، فعرفه الرضي بقوله: "الاشتقاق كون احدى الكلمتين مأخوذة من الأخرى، أو كونهما مأخوذتين من أصل واحد"[١] ويعرفه الرماني بأنه: "اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه حروف ذلك الأصل" أما الزجاج فيعرفه بقوله: "ان كل لفظين اتفقا ببعض الحروف وإن نقصت حروف أحدهما عن الآخر فهما مشتقان"[٢].

وبمقارنة هذه التعاريف الثلاثة يبدو أن تعريف الرضي أدقّها، وذلك لأن تعريف الرماني يؤاخذ عليه أنه غير متيسر دائما معرفة الأصل والفرع لكل كلمة.

وما يؤاخذ على تعريف الزجاج، أنه ليس كل لفظين اتفقا ببعض الحروف وأن نقصت حروف أحدهما عن الآخر مشتقين. فقد يتفق بعض الألفاظ ببعض الحروف وليس أحدهما مشتقاً من الآخر. فكلمة سأل تتفق مع كلمة سال بحرفين ومع ذلك فليس إحدى الكلمتين أصلاً للأخرى.

ويعّرف بعض المحدثين المشتق بأنه: ما أخذ من غيره والجامد: مالم يؤخذ من غيره. ويحدد د. عبد الصبور شاهين المشتق بتعريف دقيق يجمع كل مصاديقه ويمنع دخول غيرها فيه، فيعرف الجامد بأنه "ما يؤخذ من مادته على غير قياس" والمشتق: "ما يؤخذ من مادته على القياس".

حيث ان الجامد في الواقع مأخوذ من غيره أيضا، ويضرب مثالا على ذلك بقوله إنه "في اللغة مادة غير قياسية الصور، أي لا تتحقق لغويا الا في صورة كلمات قليلة، وذلك كمادة (ر ج ل) التي لا يؤخذ منها سوى كلمتي (رجل ورجل)، فهي إذن مادة غير مخصبة، أو هي عقيمة جامدة..." ثم يمثل أيضا بالفعل "ليس" بنفس النهج السابق فيقول: "وفي اللغة مادة قياسية الصور، ومثالها مادة: (ك ت ب) التي يمكن أن تؤخذ منها صور كثيرة قياسية مثل: كتب- يكتب- كتابة- تكاتب- مكاتبة- تكاتبا- كاتب- مكتوب- كتاب- كتب....الخ فهي إذن مادة مخصبة، لأن لكل صورة من هذه الصور قاعدة تصاغ على أساسها"[٣] وتكون هذه الصياغة اما

---

١- التبيان في علم البيان- ٣٣٤/٢.

٢- الأشباه والنظائر- ٥٦/١.

٣- المنهج الصوتي للبنية العربية- عبد الصبور شاهين ١٠٧.

على أساس تغيير حركات المادة الأصلية أم بالصاق زوائد خاصة بالصيغة المراد اشتقاقها، أم على كلا الأساسين.

يعتبر الاشتقاق مظهرا من مظاهر حيوية اللغة، ودليلا على قدرتها على التطور والتجديد. كما يعرف بالاشتقاق، وارجاع الكلمات الى أصولها الأصلية، الدخيل من الأصيل فينعزل اللفظ الدخيل لأنه لا يرجع للفظ أصيل. ولم تقتصر العربية وحدها على هذا المد اللغوي الكبير، بل تشاركها في ذلك لغات أخرى كالانجليزية والفرنسية، فكلمة الاشتقاق بالانجليزية Derivation وبالفرنسية Derivation وتعني "تكوين كلمة من كلمة أخرى أصل منها، أو من جذر في اللغة نفسها أو في لغة أخرى..."[١].

وبلغ التخصص أن أفردوا للاشتقاق علما خاصا، يطلق عليه بالإنجليزية Etymology، وبالفرنسية Etymologie، ويعني "ذلك القسم من اللغة الذي يعني بأصول الكلم واشتقاقها"[٢].

لقد تبلورت فكرة القياس بالاشتقاق عند أبي علي الفارسي بوضوح روى عنه تلميذه ابن جني أنه قال: "لوشاء شاعر، أو ساجع، أو متسع أن يبين بالحاق اللام اسما، وفعلا، وصفة، لجاز له، ولكان ذلك من كلام العرب. وذلك نحو قولك: خرجج أكرم من دخلل، وضربب زيد عمرا، ومررت برجل ضربب وكرمم ونحو ذلك. قلت له: افترتجل اللغة ارتجالا قال، ليس بارتجال لكنه مقيس على كلامهم، فهو اذا من كلامهم..."[٣].

يتعرض كل من الصرفيين واللغويين للإشتقاق بالدراسة، الا أن وجهة كل منهما تختلف عن الآخر "فنظرة الصرفي اليه راجعة الى هيئة الكلمة وصورتها فتقول إن اسم الفاعل من الثلاثي على زنة فاعل، ومن غير الثلاثي على صورة المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة مع كسر ما قبل الآخر: كمهاجر ومناضل "أما اللغوي فلا يهمه ما يهم الصرفي بل يهمه" التوليد المبني على أخذ لفظ من آخر ليدل على

---

١- The oxford English Dictionary vol III P.٢٢٨

٢- Encycl opaedia Britannica art. Etymlogy.

٣- الخصائص لابن جني- ٣٥٩/١.

المعنى المطلوب مع ملاحظة اشتراك الكلمتين في الحروف. والتناسب بينهما في المعنى دون التفات الى التناسب بينهما في الحركات والسكنات"[1].

فمادة (ج ن ن) في نظر اللغوي تتضمن معنى الاستتار، وتصدق على المجن والجنة والجنون، ومادة (ع ر ف) تتضمن معنى الانكشاف والظهور، وتصدق في كل ما يتفرع على هذه الكلمة من المعاني كالتعارف والمعرفة والعرف...الخ.

١- فقه اللغة العربية- د. ابراهيم محمد نجا- ٥٦ .

### ٣- ضروب الاشتقاق:

من الواضح أن طبيعة عمل النحويين يقوم–في جملة ما يقوم عليه– على القياس، والقياس يوجب التحديد بدقة ووضوح. لذلك سبق النحويون اللغويين في تحديد مفهوم الاشتقاق، حيث عمدوا الى تحديد الصلة اللفظية والمعنوية بين المشتق والمشتق منه. فقصروا الصلة اللفظية على الصيغ المعروفة للمشتقات. وجعلوا الصلة المعنوية محددة بالجوانب الخاصة من فاعلية ومفعولية وزمانية...الخ، وعملا بمفهوم هذا التحديد تعددت أنواع الاشتقاق.

إقتصر الاشتقاق في بدايته على الكلمات المتناسبة في اللفظ والمعنى وترتيب الحروف، أي ما عرف بالاشتقاق الصغير، واستمر هذا المفهوم للاشتقاق حتى أواخر القرن الرابع الهجري، حيث أضاف ابن جني بعد ذلك القلب اللغوي (الاشتقاق الكبير). وأضاف الحاتمي الابذال اللغوي (الاشتقاق الأكبر) وحديثا أضاف عبد الله أمين باب النحت (الاشتقاق الكبار).

وطبيعة البحث يقتصر على المتعارف من أنواع الاشتقاق في عصر الطوسي. وما يعرض في ثنايا البحث من موضوعات أضيفت بعد عصر الطوسي، انما عرضت بهدف المقارنة أو زيادة الايضاح.

#### *١ ـ الاشتقاق الصغير:*

وهو أكثر أنواع الاشتقاق استعمالا وورودا في العربية واذا أطلقت لفظة الاشتقاق فانها تنصرف الى الاشتقاق الصغير، وقد يسمى هذا الاشتقاق بالأصغر. عرفه علماء العربية بأنه "أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لاجلها اختلفا حروفا أو هيئة كتضارب من ضرب"[١]. ذكر هذا النوع من الاشتقاق ابن جني في "الخصائص" فقال: "وذلك أن الاشتقاق عندي على ضربين–كبير وصغير– فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلا من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تاخذ منه معنى السلامة في

---

١– المزهر للسيوطي– ٣٤٦/١.

تصرفه نحو مسلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والسليم وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته فذا هو الاشتقاق الأصغر"[١].

ويعرّف هذا الاشتقاق بعض المحدثين بقوله :"هو الذي يتحد المشتق والمشتق منه في الحروف. وفي الترتيب، مع الاتصال في المعنى كأكل من الأكل ومذهب من الذهب واستنسر من النسر"[٢].

ويحدد بعض المحدثين كيفية معرفة هذا الاشتقاق بقوله: "وطريقة معرفته، تقليب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها الى صيغة هي أصل الصيغ دلالة اطراد أو حروف غالبا كضرب فانه دال على مطلق الضرب فقط أما ضارب ومضروب ويضرب واضرب فكلها أكثر دلالة وأكثر حروفا، وضرب الماضي مساو حروفا وأكثر دلالة وكلها مشتركة في (ض ر ب) وفي هيئة تركيبها وهذا هو الاشتقاق الأصغر المحتج به"[٣].

والاشتقاق الصغير يعد أهم أنواع الاشتقاق، وذلك للحاجة الماسة اليه وخاصة في عصر النهضة الصناعية والتكنلوجية الحديثة حيث تزداد المخترعات، مما تستدعي الحاجة لوضع الفاظ لما يستحدث من المخترعات والمكتشفات. وكثيرا ما يلتجئ مجمع اللغة العربية الى الاشتقاق الصغير لتذليل تلك الصعوبات.

يشتق من المادة القابلة للاشتقاق الصغير مجموعة من الأسماء والأفعال فيشتق من صيغ الأفعال، الماض والمضارع والأمر، ومن الأسماء: المصدر، اسم المرّة، اسم الهيئة، المصدر الصناعي، اسم الفاعل، صيغ المبالغة، اسم المفعول، الصفة المشبهة، اسم التفضيل، أفعل التعجب، اسما الزمان والمكان، المصدر الميمي، اسم الآلة.

وسيأتي الحديث إن شاء الله تعالى عن هذه المشتقات وما يتعلق بها من خلال عرض اتجاهات الطوسي في الاشتقاق.

---

١- الخصائص- ٥٢٥/١.

٢- فقه اللغة العربية- ابراهيم محمد نجا- ٥٧.

٣- مجلة مجمع اللغة العربية- ٣٨١/١.

### ٢ ـ الاشتقاق الكبير:

ويعرف بأنه "انتزاع كلمة من كلمة بتغيير في ترتيب بعض أحرفها مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في الأحرف مثل (لكم وكلم وملك وكمل)[١] ". ويطلق ابن فارس على هذا النوع من الاشتقاق اسم القلب فيقول: "من سنن العرب القلب كقولهم (جبذ وجذب) و(بكل ولبك)[٢] ".

وممن سبق ابن جني في هذا المضمار أستاذه أبو علي الفارسي. بيد أن ابن جني توسع في هذا الموضوع وأبدع فيه. ويطلق بعض على هذا النوع من الاشتقاق "القلب المكاني". ويميز البصريون بين القلب المكاني وبين ما جاء في اللغة، حيث أن القلب يكون عندهم بتبديل مواقع الحروف في الكلمة، مما يؤدي الى تعدد اللفظ، فتكون إحدى اللفظتين أصلا للثانية، اما ما اتحدت حروفه وجاء في اللغة أصلا_ويمثلون له بجبذ وجذب_ فمثل هذا عندهم لغة وليس قلبا مكانيا.

ويلخص ابن النحاس رأيهم في هذه المسألة كما نقله عنه السيوطي بقوله: "قال النحاس في شرح المعلقات: القلب الصحيح عند البصريين مثل شاكي السلاح وشائك. وأما ما يسميه الكوفيون القلب نحو جبذ وجذب فليس هذا بقلب عند البصريين وإنما هما لغتان وليس بمنزلة شاك وشائك"[٣].

ويذهب الطوسي مذهب البصريين في هذه المسألة فيعتبر ما جاء ونحو "شاك وشائك" قلبا مكانيا. ويعد "جذب وجبذ" لغة. فحين يوجه قراءة ابن كثير "وكأين من قرية عتت عن أمر ربها"[٤]. وقراءة غيره "كأين" بالهمز يقول: "قرا ابن كثير "وكاين" خفيفة على وزن "كاهن" الباقون "وكأين" مشددة الياء، والأصل "أي" الا أنه حذف للتضعيف، كما يحذف من رب، وقدمت الياء وأخرت الهمزة نحو شاك وشائك. ثم قلبت الياء الفا، لأنها في موضع حركة وقبلها فتحة"[٥].

---

١- مجلة مجمع اللغة العربية العدد الأول- ٣٨١.

٢- الصاحبي لابن فارس- ١٧٢.

٣- المزهر- ٤٧١.

٤- الطلاق- ٩.

٥- التبيان- ١٠، ٣٥، ٣٦.

وعند تفسيره لقوله تعالى: "فخُذْ أربعة من الطيرِ فصرهُن إليكَ"[١].

يذكر أن "صاره يصيره صيرا" لغة "و"صراه" يصيره صريا" لغة وليست إحدى الكلمتين أصلا للأخرى. ويعرض رأي الفراء في هذه المسألة فيقول: "وقال الفراء: صاره يصيره بمعنى قطعه، من المقلوب من صراه يصريه وأنشد:

يقولون إن الشامَ يقتلُ أهلَه فمن لـي إذا لـم آتـه بخلـودِ

تعرَّب آبائي فهلا صراهم من الموتِ أن لم يذهبوا وجدودي[٢]

وبعد عرضه لرأي الفراء، يذكر رأي المبرد محتجا بسيبويه فيقول: "قال المبرد–معلقا على رأي الفراء–: لا يجوز ذلك، لأن سيبويه قال: إن كل واحد من اللفظين اذا تصرف في بابه لم يكن أحدهما أصلاً للآخر: نحو جذب يجذب جذبا، فهو جاذب، وجبذ يجبذ جبذا فهو جابذ. فلذلك لما تصرف صاره يصيره صيرا كما ينصرف صراه يصريه صريا، لم يكن أحدهما أصلا للآخر، ولكن المقلوب نحو قسى لأن بابه على تأخير السين نحو قوس، وأقواس وقويس"[٣].

ومما أورده سيبويه من أمثلة القلب المكاني نأى وناء، ووجه وجاه، وبئس وأيس فوزن نأى ووجه وبئس هو فَعَلَ وفَعْل وفَعِل على التوالي[٤].

### ٣ـ الاشتقاق الأكبر:

ويسميه بعض المحدثين بالاشتقاق الكبار بتخفيف الباء[٥]. ويقوم هذا النوع من الاشتقاق على الابدال– وسيأتي الكلام عن الابدال ان شاء الله تعالى– ويطلق ابن فارس اسم الابدال على الاشتقاق الأكبر[٦].

---

١– البقره– ٢٦٠.

٢– معاني القرآن للفراء– ١٧٤/٤.

٣– التبيان– ٣٢٩/٢، ٣٣٠.

٤– ووزن ناء وجاه وآيس هو فلع وعفل وعفل. الكتاب ٣٦٣/٢. المنصف ٢٧٧/٢.

٥– مجلة مجمع اللغة العربية– ٣٨١/١، ٣٨٢.

٦– الصاحبي– ١٧٣.

ويعرف هذا الاشتقاق بأنه: انتزاع كلمة من كلمة بتغيير في بعض أحرفها مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في الأحرف الثابتة ومخارج الحروف المغيرة، وصفاتها، او فيهما معا، نحو: مدحة ومدهمة، وعنوان الكتاب وعلوانه، وازّ وهزّ[١].

وقد أفرد ابن جني لهذا النوع من الاشتقاق بابا بعنوان "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" فقال: "وهذا باب واسع من ذلك قول الله سبحانه: "إنّا أرسَلْنا الشياطينَ على الكافرينَ تؤزهم أزّا"[٢] أي تزعجهم وتقلقهم فهذا في معنى تهزهم هزا والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز لأنك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك، ومنه العسف والأسف والعين أخت الهمزة"[٣].

وذكر ابن فارس الاشتقاق الأكبر فقال: "من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، مدحة ومدهة وفرس وفعل ورفن وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء..."[٤].

وهناك فرق بين الابدال اللغوي والابدال الصرفي، فالابدال اللغوي يتم في اثنين وعشرين حرفا، أما الصرفي فحروفه اثنا عشر حرفا يجمعها "طال يوم أنجدته"[٥].

### ٤ـ الاشتقاق الكبار:ـ

وتسميته هذه حديثة، أطلقها عبد الله أمين[٦]. والعلماء يسمونه سابقا "النحت"[٧]. وذلك أن تعمد الى كلمتين أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمة تدل على ما كانت تدل عليها الجملة نفسها[٨].

---

١- الاشتقاق واثره في النحو اللغوي. د. عبد الحميد محمد أبو سكين – ١٠٧.

٢- مريم- ٨٣.

٣- الخصائص- ٥٣٨/١.

٤- المزهر- ٤٦١، الصاحبي- ١٧٣.

٥- الأشموني- ٢١١/٤.

٦- الاشتقاق- ٣٩١.

٧- الصاحبي- ٢٧١.

٨- الاشتقاق والتعريب المغربي- ١٣.

ذكر الخليل هذا النوع من الاشتقاق ورواه عنه ابن فارس قال: "والاصل في ذلك، ما ذكره الخليل من قولهم "حَيْعَلَ الرجل اذا قال حي على"[١].

ويعرف هذا الاشتقاق حديثا بالاختزال لأنه يتم فيه اختصار عدة كلمات بكلمة، قال ابن فارس: "العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار"[٢]. ويندر هذا الاشتقاق في لسان العرب في حين يكثر عندهم الاشتقاق الصغير والكبير والأكبر. ويقسم العلماء هذا النوع من الاشتقاق الى أربعة أقسام وهي:

١. النحت الفعلي: وهو أن تنحت من الجملة فعلا يدل عليها النطق به مثل: بَسْمَلَ: أي قال بسم الله الرحمن الرحيم.

وسبحل: أي قال سبحان الله، وحيعل أي قال حي على، وهلل قال: لا إله إلآ الله، ورجّع "أو استرجع" قال: إنا للهِ وإنا إليه راجعون وكل الفاظ هذا القسم إسلامية[٣].

٢. النحت الاسمي: وهو أن يُنحت اسم من كلمتين مثل: الجلمود: الصخر القاسي من جلد وجمد، وبلحارث من بني حارث.

٣. النحت الوصفي: وهو نحت كلمة واحدة من كلمتين تدل على صفة بمعناها أو بأشد منه. مثل الصلدم: الشديد الحافر من الصلد والصدم، والصهصلق: الشديد من الأصوات من صهل وصلق[٤].

---

١- الصاحبي- ٢٧١.

٢- الصاحبي- ٢٣٧، المزهر- ٤٨٢/١.

٣- الاشتقاق- عبد الله أمين- ٣٩٧.

٤- الاشتقاق- عبد الحميد أبو سكين- ١٣٠.

### ٤- الاشتقاق من المصدر أو الفعل:

يذهب البصريون الى أن المصدر أصل والفعل مشتق منه وفرع عليه، ويعتبرون أن أصل المشتقات جميعها هو المصدر. أما الكوفيون فيرون أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه. ويتابع الطوسي البصريين في هذه المسألة حيث يرى اشتقاق الفعل من المصدر. ويطبق هذا الرأي عمليا فيذكر أحيانا في تفسيره للآيات الكريمة التي ترد فيها أفعال، أصل تلك الأفعال. فعند تفسيره لقوله تعالى: "قُل تَعالوا أتلُ ما حرّم ربُّكم عليكم"[١] يقول الطوسي: "و(تعالوا) معناه أدنوا، وهو مشتق من العلو.... وقوله (أتلُ) مشتق من التلاوة مثل القراءة"[٢].

ولكل من البصريين والكوفيين أدلة على ما يذهبون اليه، فمن حجج الكوفيين على أصالة الفعل. قالوا: لأن المصدر يصح بصحة الفعل ويعتل لاعتلاله، ألا ترى أنك تقول: "قاوم قواما"، فيصح المصدر لصحة الفعل، ونقول: "قام قياما"، فيعتل لاعتلاله. ولكون المصدر يصح بصحة الفعل ويعتل باعتلاله فهو إذن فرع عليه، ودليلهم الثاني أن رتبة العامل قبل رتبة المعمول والفعل عامل بالمصدر فلزم كون المصدر فرع عليه. وقالو أيضا أن رتبة المؤكد قبل رتبة المؤكد. والمصدر يذكر تأكيدا للفعل إذن فهو فرع عليه. وقالوا: أنه لا تصور للمصدر بدون فعل فاعل فلابد من أسبقية الفعل للمصدر. ويرد الكوفيون على البصريين قولهم: أن المصدر سمي مصدرا لصدور الفعل عنه بقولهم: سمي مصدرا لأنه مصدور عن الفعل[٣].

ومن حجج البصريين على أصالة المصدر هو أن المصدر يدل على زمان مطلق والفعل يدل على زمان معين، فكما أن المطلق أصل للمقيّد فكذلك المصدر أصل للفعل. وقالوا: إن المصدر اسم والاسم مستغنى عن الفعل في حين لا يقوم الفعل بنفسه بل يفتقر الى الاسم، والمستغنى أولى بالاصالة من المفتقر إذن فالمصدر أصل.

---

١- النعام- ١٥١.

٢- التبيان- ٣١٤/٤.

٣- الانصاف في مسائل الخلاف- ١٣٥.

وقالوا: الفعل يدل بصيغته على شيئين الحدث والزمان، والمصدر يدل بصيغته على الحدث فقط، ولأن الواحد أصل الاثنين، فكذلك المصدر أصل الفعل. وقالو إن الفعل يدل على ما يدل عليه المصدر، والمصدر لا يدل على ما يدل عليه الفعل، إذن فالمصدر أصل لأن الفرع لابد أن يكون فيه الأصل .

وقالوا: لو كان المصدر مشتقا من الفعل لدل على معنى ثالث إضافة للحدث والزمان، ولما دل المصدر على حدث فقط، دل على أنه هو الأصل[١].

الى غير ذلك من الأدلة. والذي أراه مرَجّحا هو أصالة الفعل، وذلك لأن أول ما ينطبع في ذهن الانسان في أول نشأته هو الحركة، والحركة لا تنفك عن الفعل حيث أنها حدث مستمر، إذن فأول ما ينطبع في ذهن الانسان الفعل والمصدر متأخر عليه وجودا. كما أن ادراك مفهموم المصدر يحتاج الى درجة من رقي الادراك أعلى من درجة ادراك الفعل. وتطور إدراك الانسان يبدأ من البسيط الى الأعقد إذن فالانسان يدرك مفهوم الفعل فيصطلح له قبل ادراكه لمفهوم المصدر لأنه أعقد من الفعل.

١- الانصاف في مسائل الخلاف- ٢٣٧/١، ٢٣٩.

### ٥- المجرد والمزيد:

المجرد من أبنية الأسماء والأفعال، هو ما كانت جميع حروفه أصلية "غير زائدة"، وأبنيته من الأسماء ثلاثية ورباعية وخماسية، ومن الأفعال ثلاثية ورباعية[١].

والمزيد هو ما ضوعف أحد أحرفه الأصلية، أو أضيف اليه حرف أو أكثر من حروف الزيادة[٢]. فالفعل الثلاثي قد يزاد عليه حرف واحد أو أثنان أو ثلاثة: كأكرم وانتظر واستعلم، وقد يزاد على الرباعي حرف واحد نحو: تبعثر أو أثنان نحو: احرنجم. ويزاد على الاسم الثلاثي حرف واحد أو أثنان أو ثلاثة أو أربعة، نحو: ضارب ومضروب ومستخرج واستخراج. ويزاد على الاسم الرباعي حرف واحد أو أثنان أو ثلاثة نحو: مدحرج ومتدحرج واحرنجام[٣].

وأحرف الزيادة عشرة يجمعها "سألتمونيها" وأمهات الزوائد حروف المد واللين وهي الألف والواو والياء، تتبعها الحركات، فلا تخلو الكلمة منها أو من بعضها في كثير من الرباعي والخماسي والملحق بالسداسي خاصة[٤].

ولكي يميز بين الزائد وبين الأصلي من حروف الكلمة، فأنها توضع بالميزان الصرفي. حيث أصطلح النحاة على التعبير عن حرف الكلمة الأول بالفاء والثاني بالعين والثالث باللام، وما زاد على ثلاثة أحرف عبر عن الزائد بلام ثانية وثالثة، هذا كله مقابل الأحرف الأصلية.

أما الحروف الزائدة فيعبر عنها بلفظها، إلآ المبدل من تاء الافتعال فيعبر عنه بالتاء نحو اصطفى فوزنها افتعل، وكذا المكرر لإلحاق غيره فيعبر عنه بما تقدمه نحو قردد فوزنه فَعْلَلَ وعثنون فعلول[٥]. والقلب الذي

---

١- الكتاب- ٣٢٩/٢، ٣١٢.

٢- شرح الرضي على الشافية- ٩/١.

٣- شرح الرضي على الشافية- ٩/١.

٤- جمهرة اللغة- ١٠.

٥- شرح الرضي على الكافية- ١٠/٢، ١١.

يقع في الكلمات، يقع مثله في الوزن فيقال في وزن أشياء "لفعاء" على رأي سيبويه بالقلب حيث يرى أن أصلها شيئاء وقلبت للاستثقال.

والكلمات التي يحذف منها شيء يجوز وزنها على أصلها: كما يجوز أن توزن على هيئتها وهي محذوف منها نحو: شيه ويد فتوزن باعتبار الاصل: فعله أو فعل، وباعتبار الحذف: عله وفع[1].

١- همع الهوامع- ٢١٣/٢.

### ٦- اشتقاق الأسماء:

ويكون الحديث في هذا المبحث عن المشتقات التي تطرق الطوسي لذكرها، من خلال تفسيره اللغوي للآيات الكريمة دون التي لم يتطرق لذكرها. ومن هذه المشتقات:

١. المصدر.

٢. اسم المصدر.

٣. اسم المرة واسم الهيئة.

٤. اسما الزمان والمكان.

٥. اسم الآلة.

٦. اسم الفاعل والصفة المشبهة.

٧. اسم المفعول.

٨. المصدر الميمي.

٩. اسم التفضيل.

١٠. أفعل التعجب.

### ١ ـ المصدر:

ويعرفه ابن هشام بانه: "اسم الحدث الجاري على الفعل"[١] فأخرج بقوله "الجاري على الفعل" اسم المصدر الذي يشارك المصدر في دلالته على الحدث ويغايره بأنه لا يجري على الفعل لعدم استيفائه لحروفه–وسيأتي الحديث عن اسم المصدر إن شاء الله تعالى– وهناك أوزان كثيرة يصاغ عليها المصدر من الفعل الثلاثي، وأغلب هذه الأوزان مردها الى السماع. اختلف النحويون في عدد هذه الأوزان، فذكر بعضهم اثنين وثلاثين صيغة[٢]. وعدها آخرون خمسة وعشرين[٣] وزاد ابن الحاجب على أوزان سيبويه وزنين وهما "فُعالَةٌ" كبغاية و "فَعالِيةٌ" ككراهية: وعلق الرضي على هذه الأوزان –الأربعة والثلاثين– بأنها الكثيرة الغالبة[٤].

وأوزان الفعل الثلاثي عند سيبويه هي: "فَعْل" قتل، "فُعْل" فسق، "فُعُل" شغل، "فَعْلَة" رحمة، "فَعْلَة" نشدة، "فِعْلَة" كدرة، "فَعْلى" دعوى، "فِعْلى" ذكرى، "فُعْلى" بشرى، "فَعْلان" لَيّان، "فِعْلان" حرمان، "فُعْلان" غفران، "فَعْلان" نزوان، "فَعَل" طلب، "فَعْل" خنق، "فِعَل" صفر، "فُعَل" هدى، "فَعَلَة" غلبة، "فَعِلَة" سرقة، "فَعَال" ذهاب، "فِعَال" صراف، "فُعال" سؤال، "فَعالَة" زهادة، "فِعالة" دراية، "فُعُول" دخول، "فَعول" قبول، "فَعيل" وجيف، "فَعُولة" صهوية، "مَفْعل" مدخل، "مِفْعل" مرجح، "مَفْعَلَة" مسعاة، "مَفْعَلة" محمدة[٥].

وزاد الطوسي على هذه الأوزان التي أوردها سيبويه صيغة "فَعالية" نحو كراهية[٦]. ذكر عند تفسيره لقوله تعالى: "كتبَ عليكُم القتالُ وهو كرهٌ لَكُم"[٧] قال: "يقال: كره كراهة، وأكرَههُ إكراها إذا أجبره، وتكرّه تكرّها، واستكره

---

١– شرح شذور الذهب– ٣٨١.

٢– الكتاب– ٢١٤/٢.

٣– السيوطي– المزهر– ٩٦/٢، ابن قوطية– كتاب الأفعال– ٣.

٤– شرح الشافية– ١٥٢/١.

٥– الكتاب– ٢١٤/٢.

٦– التبيان– ٢٠٢/٢.

٧– البقرة– ٢١٦.

استكراها، وكرّهه تكريهاً.... والكريهة: الشديد في الحرب، لأنه يدخل فيها على كرهٍ. وكراهية الدهر: نوازلهُ، وكرهت الأمرَ كراهةَ وكراهية ومكرهة، وكرّه إلى هذا الأمر تكريها: أي صيّره إلى حال كريهة"[١].

ومما أورده الطوسي من مصادر الفعل الثلاثي صيغة "فُعَلان" قال: "والطغيان الفعلان، من قولك طغى فلان يطغى طغيانا"[٢]. و"فاعِل" و"فاعِلة" فقال: "ويكون طائف مثل العاقبة والعافية، مما جاء المصدر منه على فاعل وفاعلة، فالطيف أكثر، لأن المصدر على هذا الوزن أكثر منه على وزن فاعل"[٣]. وأورد صيغة "فَعال، فَعْل، فُعُول، فُعْلان" قال: "وزال الشمس عن مكانه يزول زولا "فَعالا".... وزالت الشمس زوالا وزيالا، وزالت الخيل بركبانها زيالا. وحبط عمل الرجل يحبط حبطا "فَعْلا" وحبوطا "فَعُولا" .... وهجره يهجره هجرا وهجرانا"[٤].

ويعلل الطوسي مجيء المصدر "قبول" في قوله تعالى: "فتَقبّلَها ربُها بقَبُول حسن"[٥]، بقوله: "وإنما جاء مصدر تقبلها على القبول دون التقبل لأن فيه معنى قبلها" ثم يورد رأي أبي عمرو في المسألة فيقول: "وقال أبو عمرو: لا نظير للقبول في المصادر، ففتح فاء الفعل والباب كله مضموم الفاء، كالدُخول والخُروج" ثم يورد رأي سيبويه بقوله: "وقال سيبويه: جاءت خمسة مصادر على فَعُول: قَبول ووضوح وظَهور ووَلوع، ووَقود، إلا أن الاكثر في وقود الضم إذا اريد المصدر" قال الطوسي: "وأجاز الزجاج في القبول الضم"[٦].

وأوزان المصدر من غير الثلاثي كلها مقيسة، فان كان الفعل صحيحا على وزن "فَعَّل" كقدس فمصدره على "تَفْعيل" كتقديس، ويأتي على وزن فعّال نحو كذَب كِذّابا، ويأتي أيضا على فِعَال بتخفيف العين. وقد أورد

---

١- التبيان- ٢٠٢/٢.

٢- التبيان- ٨١/١.

٣- التبيان- ٦٤/٥.

٤- التبيان- ٢٠٨/٢، ٢٠٩.

٥- آل عمران- ٣٧.

٦- التبيان- ٤٣٦/٢.

الطوسي كلا الصيغتين، عند تفسيره لقوله تعالى: "لا يسمعونَ فيها لغْوا ولا كِذّابا"[١] قال: "(ولا كِذّابا) أي و لا تكذيب بعضهم لبعض. ومن قرأ "كذابا" بالتخفيف، أراد مصدر كاذَبَه مكاذبةً، وكِذابا قال الشاعر:

فَصَدّقتني وكَذّبتني والمرءُ ينفعه كذابَه[٢]

وقال الفراء: قال أعرابي في طريق مكة: ياربّ القصار أحب اليك أم الحَلْقُ، يريد أقصِّر شعري أم أحلق".[٣]

أما المعتل فيصاغ منه المصدر على تفعيل، إلاّ أنه يحذف ياء التفعيل ويعوض عنها بالتاء، فيصبح تفعلة نحو: زَكَى تَزْكِية، ويندر مجيئه على تفعيل كقوله:

باتت تَنزّى دلوَها تَنزِّيا كما تَنَزّى شهلةٌ صبيا[٤]

واذا كان الفعل على وزن "أَفعَل" وغير معتل العين نحو "أكرم" فيصاغ منه المصدر على "إفْعال" أكرام. فان كان معتل العين، نقلت حركة عينه الى فاء الكلمة وحذفت، وعوض عنها تاء التأنيث غالبا نحو أقام إقامة[٥].

وان كان الفعل على وزن "تفعل" فمصدره "يأتي على التفعل نحو: التضرب، وعلى التفعال نحو: تجمال. وان كان على فعلل فمصدره يأتي على فعللة نحو: دحرجة. وقد يجئ على فِعلان بكسر أوله نحو: دحراج. وقد يجوز في المضعف نحو: زلزال"[٦].

---

١- النبأ- ٣٥.

٢- اللسان مادة"صدقا".

٣- التبيان- ٢٤٨/١٠.

٤- شرح ابن عقيل- ١٢٨/٣.

٥- "أصل إقامة مثلا: إقوام كإكرام، نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها، ثم يقال: تحركت الواو بحسب أصلها وانفتح ما قبلها الآن فقلبت هذه الواو الفا، فاجتمع ألفان، فحذفت احداهما وعوض منها التاء فصار إقامة، وقد ذهب سيبويه الى أن المحذوفة من الألفين هي الألف الزائدة، وذهب الفراء والأخفش الى أن المحذوفة هي المنقلبة عن العين." شرح ابن عقيل- تعليق محيي الدين عبد الحميد- ١٢٩/٣.

٦- المقرب لابن عصفور- ١٣٤/٢.

واذا كان الفعل على وزن "فاعَلَ" فمصدره يأتي على "فِعَال ومفاعلة" نحو "ضارب، ضرابا ومضاربة"[١]. وما ألحق من الفعل الثلاثي بالرباعي فهو جار مجراه. واذا كان المصدر محذوف العين أو الفاء لزمته التاء عوضا منه، نحو: إقامة، واستقامة، وعدّة وحذفها شاذ[٢] نحو قوله تعالى: "وإقام الصلوة"[٣].

ويأتي المصدر على وزن "فِعّال" للفعل غير الثلاثي على وزن "فعل" أورد الطوسي هذا الوزن عند تفسيره لقوله تعالى: "وكذّبُوا بآياتِنا كِذّابا"[٤] قال: "وإنما جاء المصدر على فِعّال للمبالغة مع اجرائه على نظيره الذي يطّرد قبل آخره ألف نحو الانطلاق والاقتدار والاستخراج والقتال والكرام والمصدر الجاري على فَعّل التفعيل نحو التكذيب والتحسين والتقدم. وقد خرج التفعيل عن النظير لما تضمن من معنى التكثير، كما خرج التفاعل والمفاعلة للزيادة على أقل الفعل، فانه من اثنين، ومثل كِذّاب، حملّته حِمّالا وحرّقته حرّاقا"[٥].

ومما أورده الطوسي من صيغ مصادر الفعل غير الثلاثي: "إفْعَال، إسْتِفْعَال، تَفَعُّل، تَفَاعُل، مُفَاعله، تَفْعيل" فعند تفسيره لقوله تعالى: "إلاّ إبليس أبى واستكْبَر وكانَ من الكافرين"[٦] قال: "... وأكبر إكبارا، واستكبر استكبارا، وتكبر تكبرا، وتكابر تكابرا، وكابره مكابرة، وكبّره تكبرا" قال: "والتكبير في الصلاة تفعيل" وقال: "اسجد اسجادا"[٧].

هناك قواعد وضعها بعض النحاة يقيسون عليها بعضا من أوزان المصادر إلاّ أن هذه القواعد ليست شاملة، ولا يصح القياس عليها مع وجود السماع، ويصح مع الجهل بالمصدر[٨]. ومن هذه القواعد:

---

١- شرح ابن عقيل- ١٣١/٣.

٢- المقرب لابن عصفور- ١٣٤/٣. شرح الشافية- ١٦٥/٢.

٣- البقرة- ١٧٧.

٤- النبأ- ٢٨.

٥- التبيان- ٢٤٥/١٠.

٦- البقرة- ٣٤.

٧- التبيان- ١٤٨/١، ١٤٩.

٨- الاشموني- ٣٤٧/٢

١. الوزن "فَعْل" يأتي مصدر غالبا للفعل المتعدي المفتوح العين كضرب ضربا وكذا مكسور العين كفهم فهما. أما اذا كان الفعل لازما مكسور العين فيأتي المصدر منه غالبا على "فَعَل" كفرح فرحا، الا ما دل على لون فان مصدره غالبا يأتي على "فَعلة" كشهب شهبة، وسمر سمرة.

٢. الفعل اللازم المفتوح العين يأتي مصدره غالبا على "فُعول أو فُعال، كقعد قعودا أو ثبت ثباتا"[١]. ويستثنى من هذه القاعدة حالات وهي:

أ- ما دل على امتناع فمصدره على "فِعال" كجمح جماحا ونفر نفارا.

ب- ما دل على حركة واضطراب فمصدره على فَعَلان كجال جولان وطاف طوفانا.

حـ- ما دل على داء فمصدره على فِعَال كسعل سعالا وعطس عطاسا.

د- ما دل على صوت فمصدره على فُعَال أو فَعيل، كصرخ صراخا وصهل صهيلا.

هـ- ما دل على سير فمصدره على فَعِيل كرحل رحيلا.

و- ما دل على حرفة أو ولاية فمصدره على فِعَالَة، كزرع زراعة وأمر امارة.

٣. الفعل المضموم العين الغالب في مصدره وزنا فُعُولة وفَعالة نحو: سهل سهولة وكرم كرامة. والفعل المضموم العين لا يأتي الا لازما[٢].

قد يأتي المصدر بمعنى اسم فاعل عند استعماله كوصف، نحو رجل عدل أي عادل. وماء غور أي غائر ورجل نوم أي نائم[٣]، أورد الطوسي هذه المسألة عند تفسيره لقوله تعالى: "قُلْ أرأيتُم أنْ أصبَحَ ماؤكُم غورا" فقال عن كلمة "غورا": "أي غائرا، وصف الغائر بالغور الذي هو المصدر مبالغة، يقال ماء غور، وماءان غور ومياه غور، كما يقال: هؤلاء زور فلان وضيفه لأنه مصدر"[٤].

---

١- الكتاب- ٢١٤/٢، شرح الشافية- ١٥١/١.

٢- شرح ابن عقيل- ١١٢/٢.

٣- فصيح ثعلب- ٤١، المخصص- ١٥٦/١٤.

٤- التبيان- ٧٢/١٠.

وأحيانا يستعمل المصدر حالا نحو أتيته ركضا أي راكضا[١]. وقد يأتي بمعنى اسم المفعول، كالميسور والمعسور والمعقول والمرفوع والموضوع[٢].

ويذهب أكثر النحويين الى أن مثل هذه الكلمات، إنما هي مصادر جاءت على وزن مفعول. في حين يذهب سيبويه الى خلاف ذلك، فيحمل هذه الأسماء على ظاهرها فيرى أن الميسور والمعسور زمانا يوسر ويعسر فيه، والمرفوع والموضوع ما ترفعه وتضعه، والمعقول من "عقلت الشيء"، أي عقلته وشددته ويذهب الى أنه يستغنى بهذه عن المفعل الذي يكون مصدرا لأن فيها دليلا عليه[٣].

ويتابع الطوسي في هذه المسألة جمهور النحويين، فعندما يعرب قوله تعالى: "وجاءوا على قميصِهِ بِدَمٍ كَذِب"[٤] يقول: "ومعنى (كذب) مكذوب فيه، كما قيل الليلةُ الهلال فيرفع، وكما قال: "فما ربحتْ تجارتُهم"[٥] أي ما ربحوا في تجارتهم إلاّ أنه وصف في المصدر، وتقديره بدم ذي كَذِبَ، لكن اذا بولغ في الصفة أجرى على هذه الصفة"، ثم يورد الطوسي رأي الفراء في هذه المسألة بقوله: "وقال الفراء: يجوز أن يكون المصدر وقع موقع مفعول، كما يقع مفعول موقع المصدر في مثل قول الراعي القطامي:

حتّى إذا لم يتركوا لعظامِهِ  لَحْما ولا لفؤادِهِ معقولا[٦]

ثم يورد الطوسي رأي سيبويه فيقول: "ولا يجيزه سيبويه، ويقول مفعول لا يكون مصدرا، ويتأول قولهم: خذ ميسوره، ودع معسوره أي خذ ما يسر ودع ما عسر عليه، وكذلك: ليس لفؤاده معقولا أي ما يعقل به"[٧].

وقد يقصد المبالغة في معنى المصدر الثلاثي فيأتي على وزن "تِفعال" نحو: التهدار والتلعاب[٨].

---

١- الأشموني- ٣٥١/٢.

٢- شرح ابن يعيش- ٥٠/٦، ٥٣.

٣- الكتاب- ٢٥٠/٢.

٤- يوسف- ١٨.

٥- البقرة- ١٦.

٦- مجاز القرآن- ٣٠٣/١، جمهرة أشعار العرب- ١٧٥.

٧- التبيان- ١١١/٦، ١١٢.

٨- الكتاب- ٢٤٥/٢.

### ٢ ـ اسم المصدر:

يمكن تعريف اسم المصدر بأنه: اسم يدل على الحدث ولا يجري على فعله. ويعرفه الاشموني بأنه اسم يساوي المصدر في الدلالة على الحدث، غير أنه يختلف عنه بخلوه من بعض أحرف فعله لفظا وتقديرا[١]. من غير عوض، نحو أعطى عطاء، وتوضأ وضوءا، وتكلم كلاما، فالعطاء والوضوء والكلام أسماء مصادر وليست مصادر وذلك لخلوها من بعض أحرف أفعال هذه المصادر لفظا أو تقديرا.

وتختلف نظرة اللغوي حديثا عن النظرة القديمة، فاللغوي الحديث يرى أن اسم المصدر اسم يدل على معنى المصدر فقط ولا يشترط تساوي أحرفه وأحرف فعله. في حين يرى اللغوي سابقا أن المصدر من حقه تساوى أحرفه وأحرف فعله أو زيادتها أو نقصها لفظا لا تقديرا.

فالمصدر المتساوي مع فعله مثل ضرب ضربا، والزائد عليه مثل استدرج استدراجا والذي ينقص عنه لفظا لا تقديرا مثل جاهد جهادا، وقد ينقص المصدر عن فعله لفظا وتقديرا ويعوض عن الناقص بغيره نحو: وعَدَ عِدّة وسلّم تسليما، –فالتاء في عدة عوض عن الواو في وعد والتاء في تسليم عوض عن اللام المحذوفة في سلّم–[٢].

ويذكر ابن الحاجب الفرق بين المصدر واسمه في أماليه فيقول: "الفرق بين قول النحويين مصدر واسم مصدر، أن المصدر الذي له فعل يجري عليه كالانطلاق في انطلق، واسم المصدر هو اسم المعنى وليس له فعل يجري عليه كالقهقرى فانه لنوع من الرجوع ولا فعل له يجري عليه من لفظه".

ويفرق الطوسي بين المصدر واسم المصدر فيقول في القيام والقوام: "واصل القيام: القوام، فقلبت الواو ياء للكسرة التي قبلها، كما قالوا: صمت صياما، وحلت حيالا، ومنه فلان قوام أهله، وقيام أهله، ومنه قوام الأمر وملاكه، وهو اسم مصدر والقيام مصدر"[٣].

---

١– الأشموني– ٣٣٥/٢.

٢– الأشموني– ٣٣٥/٢.

٣– التبيان– ١١٤/٣.

وفي موضع آخر يقول: "والضرورة اسم لمصدر الاضطراب"[١]. ويقول أيضا: "والمصدر البيت والاسم البيات"[٢].

### ٣ـ اسم المرّة واسم الهيئة:

اسم المرة هو المصدر الذي يدل على الفعل مرّة واحدة، أما اسم الهيئة فهو المصدر الدال على هيئة الفعل. ويبنى اسم المرة من الفعل الثلاثي "على "فَعْلَة" على أصل مصدره، وهو فعل نحو: ضربة و وثبة. أما إذا كان المصدر مختوما بتاء بالأصل فانه يوصف بلفظ واحد. وهذا الرأي لم يخالف فيه سوى ابن الحاجب، حيث يذهب الى أن المصدر إذا لم يكن بوزن فَعْلَة وأُريد به بيان المرة جيء به على حاله فيقال في دريت درية ونشدت نشدة.

وعند وجود مصدرين للفعل الثلاثي أو الرباعي فيصاغ اسم المرة من أشهر المصدرين، فلا يقال كَذّبت كِذّابة بل تكذيبة.

ويصاغ اسم المرة من غير الثلاثي من أصل المصدر مضافا له تاء نحو انطلق انطلاقة وسبح تسبيحة[٣].

ويصاغ اسم الهيئة من الثلاثي على "فِعْلة" نحو جِلسة ومِشية، ويصاغ من الثلاثي المزيد أو الرباعي من نفس المصدر مضافا له تاء . إذن هي نفس صيغة اسم المرة، الا أنه يميز بينهما بالوصف نحو قشعرارة واحدة للمرة وشديدة للهيئة.

ولم يخالف الطوسي رأي الجمهور في بناء اسم المرة واسم الهيئة وقد أورد خلال تفسيره للآيات الكريمة تلك الأوزان. فعند تفسيره لقوله تعالى: "إلاّ من اغتَرَفَ غرفةً"[٤] قال: "والغَرفة بالفتح المرة من الغرف، والغُرفة بالضم ملء الكف من الماء، فالغُرفة اسم للماء المغروف، والغَرفة اسم للفعل" ثم يعرض رأيا لمخالفيه ويرد عليه فيقول: "وقال بعضهم: الاختيار الضم لأنه لو جاء على معنى المرة لكان اغترافة. وهذا ليس بشيء، لأنه

---

١- التبيان- ٣٧٩/١.

٢- التبيان- ٤٥٠/١.

٣- شرح ابن يعيش- ٥٦/٦. الكتاب- ٢٢٩/٢. شرح الشافية- ١٧١/١.

٤- البقرة- ٢٤٩.

اذا كان المعنى واحدا جاز اغترافه، لأنه الأصل وجاز غرفة، لأنه أخف، وكلاهما حسن"[١]. وقال في اسم المرة من اللبس: "يلبس لبسا ولَبْسة واحدة"[٢] و"زل زلة"[٣] وقال: "حاضت المرأة تحيض حيضا ومحيضا... والمرة حَيْضة"[٤] وقال: "فالكرة المرة من المر وهي الواحدة من الكر، كر يكر كرةّ، وهي كالضَربة الواحدة من الضرب".

ويورد الطوسي وزن اسم الهيئة بنفس وزن المرة مع كسر الفاء قال: "والإربة الحاجة، وهي فِعلة من الأرب، كالمِشية من المشى والجِلسة من الجلوس"[٥]. ويرى الطوسي أن "القبلة مثل الجلسة التي يجلس عليها ثم صار علما على الجهة التي تستقبل في الصلاة"[٦].

### ٤ـ اسما الزمان والمكان:

اسمان يدلان على زمان ومكان وقوع الفعل. ويصاغان من الثلاثي على صيغة "مَفْعَل" على أن يكون الفعل مفتوح العين أو مضمومها في المضارع، وكذا اذا كان الفعل معتل اللام مطلقا نحو سعى. ويصاغان على وزن "مَفْعِل": اذا كان الفعل مكسور العين في المضارع وصحيح اللام نحو مجلِس ومحبِس ومضرِب. وكذا اذا كان مثالا واويا صحيح الآخر نحو موعد وموجِل.[٧]

ويصاغان من غير الثلاثي على صيغة المضارع مع ابدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر نحو: مُستخرج ومصلًّى. وقد يشتق اسم المكان من الاسم الجامد للمكان الذي يكثر فيه ما اشتق منه وصيغته "مَفْعَله" نحو: مسبعة للمكان الذي يكثر فيه السباع ومَحياة للمكان الذي تكثر فيه الحيات ومَنعاة

---

١- التبيان- ٢/٢٩٥.

٢- التبيان- ١/١٩٠.

٣- التبيان- ١/١٦٠.

٤- التبيان- ٢/٢٢٠.

٥- التبيان- ٧/ ٤٣٠.

٦- التبيان- ٢/٣.

٧- الكتاب- ٢/٢٤٦، ٢٤٧.

ومَقتاة. وعد سيبويه ذلك سماعيا ولم يقس عليه[١]. الا أن مجمع اللغة العربية قرر قياسية تلك الصيغة فنص على أنه " تصاغ "مَفْعَلَه" قياسا من أسماء الاعيان الثلاثية الاصول للمكان الذي تكثر فيه هذه الأعيان سواء أكانت من الحيوان أم من النبات"[٢].

وهناك ألفاظ جاءت على خلاف القاعدة السابقة واختلف في قياسيتها نحو: مسجِد ومشرِق ومسقِط. ومنها ما جاء بوجهين كالمَطْلِع والمنْسِك والمسكِن "كلها بالفتح والكسر". ومن مكسور العين كمأوى ومن مفتوح العين مجمَع ومرجَل. ومما جاء بثلاثة أوجه نحو مقبِرة، ومقبَرة ومقبُرة[٣].

ويوافق الطوسي جمهور النحويين في الأوزان القياسية من اسمي الزمان والمكان ويفصّل الرأي في ما شذّ من هذه الألفاظ أو اختلف في قياسه. فهو يرى أن اسمي الزمان والمكان يأتيان من الثلاثي المفتوح الفاء والعين على وزن "مُفْعل" كمُدْخل ومُخرج، ومن الثلاثي المضموم العين على وزن "مَفْعَل" نحو: مَشْرب ومَذْهب. ويستثنى الطوسي من هذه القاعدة ما يراه شاذا نحو المسجد من سجد يسجد، قال: "المصدر من "أفعَل" والمكان يجيء على "مُفْعَل" كقوله: "ادخلني مُدْخَل صِدْق"[٤]. كذلك أهلكهه الله مُهْلَكا. وكل فعل كان على "فَعل يَفْعِل" فالمصدر مضرَب بالفتح، والزمان والمكان"مَفْعِل" بكسر العين، وكل فعل كان مضارع "يَفْعَل" بالفتح نحو يَشْرَب ويَذْهَب، فهو مفتوح أيضا نحو المَشْرَب والمَذْهَب.

وكل فعل كان على "فعُل يفعُل" بضم العين في المضارع نحو يدخُل ويخرُج، فالمصدر والمكان منه بالفتح نحو: المُدْخَل والمُخرَج الا ما شذَّ منه نحو المسجد فانه من سَجَدَ يسجُد. وربما جاء في "فَعَل يفعُل"

---

١- الكتاب- ٢/٢٤٩. الشافية- ١/١٨٩.

٢- مجلة المجمع- ٢/٣٥، ٥٠، ٥٣.

٣- المقرب- ٢/١٣٥.

٤- الاسراء- ٨٠.

المصدر بالكسر كقوله: "إلى اللهِ مَرْجِعُكُم"[١] أي رجوعكم، ونحو قوله: "ويسئلونَكَ عن المَحِيضِ"[٢] ونحو قوله: "وجعلنا النهارَ مَعَاشا"[٣] فهذا مصدر وربما جاء على المعيش مثل المحيض كما قال الشاعر:

إليك أشكو شدةَ المعيشِ ومرَّ أيامٍ نَتَفْنَ ريشي[٤]

ورأى سيبويه في ارجاع هذه الألفاظ للقياس أمثال المسَجِد والمنَسِك والمفَرِق بالكسر والفتح. إنها لم يذهب بها مذهب الفعل بل جعلت مختصة في أزمنة وأمكنة مخصوصة. قال الرضي: "قال سيبويه: لم تذهب بالمسجد مذهب الفعل، ولكنك جعلته اسما للبيت يعني أنك أخرجته كما يكون عليه اسم الموضع وذلك لأنك تقول: المقتِل في كل موضع يقع فيه الفعل ولا تقصد به مكانا دون مكان، وكذلك المسجد فانك جعلته اسما لما يقع فيه السجود بشرط كونه مبنيا على هيئة مخصوصة فلم يكن مبنيا على الفعل المضارع كما في سائر أسماء المواضع وذلك لأن الفعل لا اختصاص فيه بموضع دون موضع. ولو أردت موضع السجود وموقع الجبهة من الأرض سواء كان في المسجد أو غيره فتحت العين يكون اذن مبنيا على الفعل لكونه مطلقا كالفعل وكذلك يجوز أن يقال في المنسك وغيرها"[٥]. فالمسجد وما جاء مثله على وجهين على هذا الرأي شاذا وانما هو راجع للقياس إذ لم يذهب به مذهب الفعل.

وممن شذّذ مثل هذه الألفاظ –أي المكسورة العين في المكان– ابن عصفور قال: "شذّ من ما مضارعه يَفْعُل بضم العين احدى عشرة لفظة، فجاءت مكسورة العين في المكان وهي: المثبِت، والمجزِر، والمسقِط، والمسكِن، والمطلِع، والمشرِق، والمغرِب، والمرفِق، والمفرِق، والمنسِك أو المسجِد"[٦].

---

١– المائدة– ٥١.

٢– البقرة– ٢٢٢.

٣– عم– ١١.

٤– التبيان– ٦٥/٧.

٥– شرح الكافية– ١٨٣/١، ١٨٤.

٦– المقرب لابن عصفور– ١٣٦/٢.

ولم يخالف الطوسي جمهور الصرفيين في اشتقاق اسمي الزمان والمكان من غير الثلاثي، حيث يرى أنه على صيغة المضارع مع ابدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر. قال: "فالمغتَسَل موضع الاغتسال"[١].

ومما أورده الطوسي من أسماء الزمان والمكان "المنظرة"، قال: "والمنظرة موضع في رأس جبل يكون فيه رقيب ينظر فيه الى العدو"[٢].

وقال: "يكون الموعد وقتا للحين، والمَوْعِدَة اسم العدة، والميعاد لا يكون الا وقتا أو موضوعا"[٣]. وقال: "المَرْقِد كل ما رقدت فيه... والمسيل الذي يحمل الماء الى الروضة... والمَشْعِر مأخوذ من شعرت به أي علمت"[٤].

### ٥ـ اسم الآلة:

ويصاغ من "مصادر بنات الثلاثة اسما للآلة التي يعالج بها... على وزن مِفْعَل نحو: مِحْلَب، ومِنْجَل، ومِصفَى، ومِخْيَط، ومِحْرَز، وقد تلحقه التاء نحو: مِكْشَحة، ومِسَلّة، ومِسْرَجَة وقد يجيء على: مِفْعال نحو: مِقْراض، ومِفْتَاح، ومِصْبَاح"[٥].

وقد أورد الطوسي الصيغ الثلاث لاسم الآلة، وهي نفس الصيغ التي أوردها سيبويه. ومما أورده الطوسي على صيغة "مِفْعَل" –المِشْعَر– بكسر الميم– فذكر أنها الحديدة التي يشعر بها أي يعلّم بها فكسرت لأنها آلة كالمِخْرَز.

---

١– التبيان– ٥٦٨/٨.

٢– التبيان– ٢٢٨/١.

٣– التبيان– ٢٣٢/١.

٤– التبيان– ٢٦٢/١، ٢٦٥، ٤٥٣.

٥– المقرب لابن عصفور– ١٣٨/٢.

ويفرق الطوسي بين المِفْعَل –بكسر الميم– والمَفْعل –بفتح الميم– فيجعل الأولى اسم آلة ويعتبر الثانية اسم مكان في حين لا يفرق الكسائي بين ما جاء من هذه الصيغة بالفتح والكسر[١].

ومما أورده على صيغة "مِفْعَلَة" مثل مضلة قال: " تتخذ من خشب وغيره يستضل بها"[٢] و"المِنْسَأَة لأنها ينسأ بها. أي يؤخّر بها ما يساق عن مكانه"[٣] و"المِقْراة: الجفنة التي يعد فيها الطعام للأضياف"[٤] و"المقامع جمع مِقْمَعَة وهي مِدَقَّة الرأس ومثله المِنْقَعَة"[٥].

ومما أورد من صيغة "مِفْعال" كالمنفاخ والمفتاح، قال: "والمرصاد هو المعد لأمر على ارتقابه الوقوع فيه وهو مِفْعال من الرصد"[٦].

ويبدو أن الطوسي يعتبر صيغة "فاعُول" نحو شاطور وناقوس من أسماء الآلة وليست آلة قال: "والناقور على وزن "فاعول" من النقر، كقولك: هاضوم من الهَضْم وحاطوم من الحَطْم، وهو الذي من شأنه أن ينقر فيه للتصويت به"[٧].

وهذه الصيغة أضافها مجمع اللغة العربية الى اسم الآلة وأضاف معها صيغا أخرى مثل "فَعّالة" كغَسّالة وثَلّاجة وخَرّامة ودَرّاجة وكذلك "فَاعِلَة" كساقية.

### ٦ ـ اسم الفاعل والصفة المشبهة:

وهما شيء واحد إلاّ أن التفريق بينهما يقوم على أساس نحوي وليس صرفيا–كما سيتضح بعد قليل– واسم الفاعل: هو الاسم المشتق من الفعل المضارع المبني للمعلوم للدلالة على من قام بالفعل أو تعلق به. والصفة المشبهة: اسم مشتق من الفعل اللازم للدلالة على اتصاف الذات بالحدث على وجه اللزوم. والصفة

---

١– التبيان– ١٦٧/٢.

٢– التبيان– ٢٥٧/١.

٣– التبيان– ٣٩٦/١.

٤– التبيان– ٢٦٢/١.

٥– التبيان– ٣٠٣/٧.

٦– التبيان– ٢٣٣/١٠.

٧– التبيان– ١٧٤/١٠.

المشبهة إنما سميت كذلك لأنها أشبهت في العمل اسم الفاعل فهي "إنّما تعمل فيما كان من سببها معرفا بالألف واللام أو نكرة لا تجاوز هذا"[١].

وعلى هذا فالصفة المشبهة تضاف الى فاعلها في المعنى في الوقت الذي لا تتم فيه هذه الاضافة في اسم الفاعل حيث لا يضاف الى فاعله في المعنى[٢].

والأساس النحوي الذي يتم به التفريق بين الصفة المشبهة واسم الفاعل هو أن الأصل في اسم الفاعل أن يجري على هيئة مضارعه بينما الاصل في الصفة المشبهة أن لا تجري على هيئة المضارع وهذا الفرق- كما هو واضح- نحوي لا صرفيا. وبالرغم من اعتبار هذا الفرق، إلاّ أن هناك صيغة فاعل وردت جارية مجرى المضارع إلاّ أنهم اختلفوا في اعتبارها هل هي اسم فاعل أم صفة مشبهة؟ فعدها بعضهم صفة مشبهة مثل. سالم وقاعد وجالس وقائم وواقف وماشي وسائر وطائر وشامخ وباذخ وسام وعاقر وحائف ونائم وساه وغافل وضامر وماجد وطاهر وناعق وناحل وجاد وهازل وغيرها[٣].

وهناك أمر آخر يفَرَّق به بين الصفة المشبهة واسم الفاعل وهو الدلالة على تغير نسبة الحدث الى المحدث وثبوتها، فالصفة المشبهة تدل على الثبوت لذا تصاغ من الفعل اللازم أما اسم الفاعل فيدل على التغير ولذلك يشتق من الفعل المتعدي غالبا، وهذا الفرق يتحدد من السياق، فالسياق في الدلالة هو الذي يحدد دلالة صيغة فاعل أو فعيل وفعل هذه الأوزان المشتركة في الدلالة على الفاعل والصفة من حيث الثبوت والتغير. فالصيغة بمفردها لا تدل إلاّ على شبه الحدث للمحدث، والسياق هو الذي يحدد ثبوت هذه النسبة وعدم ثبوتها وهذا أمر لا علاقة له بالصرف.

وعلى هذا الاساس فاسم الفاعل هو محل البحث الصرفي وليس الصفة المشبهة وهذه ليست إلاّ لون من ألوان اسم الفاعل يراد بها ثبوت نسبة الحدث الى المحدث.

---

١- الكتاب- ٩٩/١، ١٠٠.

٢- الاشتقاق- عبد الله آمين- ٢٦٠.

٣- أصول اللغة- شوقي آمين ومصطفى حجازي- ١٠/٢.

ويصاغ اسم الفاعل من الثلاثي المجرد لازما أو متعديا على وزن فاعل ككاتب وجالس، ويستثنى من ذلك الأجوف المهموز اللام نحو جاء وشاء وساء حيث تحول في الحالة الأخيرة لامه ياء إذا همّزت عينه وذلك لالتقاء همزتين[١]. وأصل جاء وشاء جائي وشائي، وبعض العرب يجمع بين الهمزتين فيقول: "جائي" إلاّ أنه قليل لا يؤخذ به[٢].

ويذهب الطوسي مذهب الخليل حيث يرى أن اللام في جاء وشاء ونحوهما مقلوبة[٣]. فعنده أن وزن مثل هذه الكلمات "قالع" لا "فاعل".

والفعل الثلاثي المعتل اللام المجرد من ال الاضافة تحذف لامه في حالتي الرفع والجر نحو داع ومنتش من دعا وانتشى.

ويصاغ اسم الفاعل من غير الثلاثي على صورة المضارع المبني للمعلوم مع ابدال حرف المضارعة ميما مضمومة[٤]. والطوسي يوافق آراء الجمهور في صيغ اسم الفاعل من غير الثلاثي وقد أورد صيغا كثيرة منها نحو مُفْعَل ومُفاعِل ومتفاعِل ومتفَعِّل ومُستَفْعِل ومَفْعُول.

أورد الطوسي في التبيان بعض المسائل تتعلق باسم الفاعل منها: مجيء فعيل بمعنى مُفْعِل، مثل بديع بمعنى مُبدع وأليم بمعنى مُؤلم[٥]. ويرى أن اسم الفاعل من "فَعَّل" إنّما يجيء على "فَعل" في الأكثر[٦].

ويلحق الصرفيون صيغ المبالغة باسم الفاعل لأنه يحول اليها عند قصد المبالغة في الوصف وتكثيره.

---

١- التصريف للمازني "عن المنصف ٥١/٢".

٢- المنصف- ٥٢/٢.

٣- التبيان- ٣٦/١٠، الكتاب- ٣٣٨/٢.

٤- شرح الكافية- ١٩٩/٢.

٥- التبيان- ٧٢/١.

٦- التبيان- ٢٦٤/٤.

وتشتق صيغ المبالغة غالبا من الثلاثي المجرد، ونادرا من غير الثلاثي نحو: سأّار وترّاك وسميع ونذير وزهوق[١]. من اسأر وأدرك وأسمع وأنذر وأزهق. وصيغ المبالغة: فَعّال نحو عَقّار، وفَعِل نحو فَطِن، وفِعَال مثل جِحاف، وفِعال مثل هِجان، وفَعُول مثل لَعوب، وفَعِيل مثل عَليم، ومُفْعِل مثل مُكِر، ومِفْعَال مثل مقدام. وقد أورد الطوسي هذه الصيغ خاصة عند ذكره لأسماء الله تعالى من خلال تفسيره للآيات الكريمة ومن ذلك قوله "والتوّاب فيه مبالغة أما لكثرة ما يقبل التوبة، واما لأنه لا يرد تائبا منيبا أصلا"[٢].

وقال: "ومِفْعال من ألفاظ المبالغة يقال ديمة مِدْرارا إذا كان مطرها غزيرا حادا كقولهم امرأة مذكار: اذا كانت كثيرة الولادة للذكور ومِئْناث في الاناث، ومِفْعال لا يؤنث يقال: امرأة مِعْطار ومِئْناث ومِذْكار بغير هاء"[٣].

وقال: "البديع هو المُبْدِع وهي صفة معدولة عن "مُفْعِل" الى "فعيل" و الذى تعدى "فعيل" لأنه يعمل عمل ما عدل عنه، فاذا لم يكن معدولا للمبالغة لم يتعد نحو طويل وقصير"[٤]. وقال عند تفسيره لقوله تعالى: "وهُو اللّطيفُ الخبيرُ"[٥] :"إنّه اللاطف لعباده بسبوغ الأنعام، غير أنه عدل من وزن "فاعل" الى "فعيل" للمبالغة"[٦].

### ٧ـ اسم المفعول:

وصف مشتق من مضارع الفعل المبني للمجهول ليدل على من يقع عليه الفعل، ويصاغ من الثلاثي على وزن "مفعول".

---

١- الاشموني- ٢٩٨/٢.

٢- التبيان- ٤٩/٢.

٣- التبيان- ٨١/٤.

٤- التبيان- ٢٢٠/٤.

٥- الانعام- ١٠٣.

٦- التبيان- ٢٢٦/٤.

ويرى الخليل وسيبويه: أن صياغة اسم المفعول بالنسبة للفعل المعتل العين بالواو: تتم بتسكين العين والفاء حركتها على الفاء ثم حذف واو مفعول مثال ذلك: مَقّوول تصبح مَقْوُوْل ثم مَقُول. وهذه التغيرات نفسها تجري على الفعل المعتل العين بالياء، إلاّ أن الفرق هنا كسر فاء الفعل لتناسب الكسرة الياء نحو: مَبْيوع تصبح مَبْيُوْع ثم مبيع وأخيرا مبيع. وفي الفعل المعتل اللام أمران، أما قلب الواو الى ياء أو إبقاء الياء. وهذا ما يرجحه سيبويه إلاّ أنه لم ينكر قلب الواو بل وصف ذلك بأنها عربية كثيرة[١].

وهناك صيغ تنوب عن صيغة مفعول من حيث المعنى ومنها صيغة فَعيل[٢]. بمعنى فَاعل، فان كان له فعيل بمعنى فاعل لم ينب فعيل عن مفعول[٣].

ويرى الطوسي مجيء فعيل بمعنى مفعول، ويذكر أمثلة كثيرة على ذلك منها قوله: "وأما الرجيم فهو فعيل بمعنى مفعول كقولهم كف خضيب ولحية دهين، ورجل لعين، يراد مخضوبة ومدهونة، وملعون"[٤]. ويقول عن كلمة "نبيذ" "وهي فعيل بمعنى مفعول"[٥]. وعن كلمة "مسيح" قال: "وأصل مسيح ممسوح عدل عن مفعول الى فعيل"[٦]. وله رأيان في "معين" قال: "يحتمل أن يكون "فعيلا" من العين وهو الماء الشديد الجري من أمعن في الأمر اذا اشتد دخوله فيه، ويحتمل أن يكون وزنه "مفعولا" من عين الماء لأنه يجري ظاهرا للعين"[٧]. وقال في "الرقيم" :"والرقيم فعيل أصله مرقوم صُرف الى فعيل مثل جَريح بمعنى مجروح وقتيل بمعنى مقتول"[٨].

---

١- الكتاب- ٣٦٣/٢.

٢- المخصص- ١٤٩/١٦.

٣- شرح ابن عقيل- ١٣٨/٢.

٤- التبيان- ٢٣/١.

٥- التبيان- ٣٦٧/١.

٦- التبيان- ٤٦١/٢.

٧- التبيان- ٤٩٥/٨.

٨- التبيان- ١٢/٧.

ويجيز الطوسي أن ينوب المصدر أحيانا عن المفعول فعندما يفسر قوله تعالى: "وهُو كُرْهٌ لَكم"[١] يقول: "ويجوز أن يكون معناه: وهو مكروه لكم، فوقع المصدر موقع اسم مفعول، ومثله قولهم: رجل رضي بمعنى ذو رضى ويجوز أن يكون بمعنى مرضى"[٢] وهذا يوافق قول الزجاج.

وعند تفسيره لقوله تعالى: "وجاءوا على قميصِهِ بدمٍ كَذب"[٣] قال: "ومعنى "كذب" مكذوب فيه، كما قيل الليلة هلال فيرفع، وكما قال: "فما ربحت تجارتُهم"[٤]، أي ما ربحوا في تجارتهم، الا انه وصف في المصدر، وتقديره بدم ذي كذب، لكن اذا بولغ في الصفة، أجرى على هذه الصفة" ثم يورد الطوسي رأي الفراء في المسألة فيقول: "وقال الفراء: يجوز أن يكون المصدر وقع موقع مفعول، كما يقع مفعول موقع المصدر في مثل قول الراعي القطامي:

حتّى إذا لم يَتركوا لعظامهِ  لحما ولا لفؤادِهِ معقولا[٥]

ثم يورد الطوسي رأي سيبويه في المسألة فيقول: "ولا يجيزه سيبويه، ويقول: مفعول لا يكون مصدرا، ويتأول قولهم: خذ ميسوره، ودع معسوره أي خذ ما يسر ودع ما عسر، وكذلك: ليس لفؤاده معقولا أي ما يعقل به"[٦].

---

١- البقرة- ٢١٦.

٢- التبيان- ٢٠٣/٢.

٣- سورة يوسف- ١٨.

٤- سورة البقرة- ١٦.

٥- جمهرة اشعار العرب ١٧٥، مجاز القرآن- ٣٠٣/١، أمالي الشريف المرتضى- ١٠٦/١.

٦- التبيان- ١١٢/٩.

### ٨- المصدر الميمي:

وهو اسم بمعنى المصدر، بدئ بميم زائدة لغير المفاعلة[١]. كالمضرب والمنطلق بمعنى الضرب والانطلاق. ويصاغ هذا المصدر من الفعل الثلاثي على وزن "مَفْعَل" كمَسْمَع ومَكْتَب ومَفْكَر[٢]. وبكسر العين اذا كان مثالا واويا صحيح اللام[٣]. كمَوقِف ومَوْعِد. وأحيانا تدخله التاء بكلا الوزنين فيصبح مَفْعِلة ومَفْعَلة.

وهناك مصادر ميمية جاءت من الثلاثي خلافا للقاعدة السالفة. فجاء بالكسر: المسير والمحيض والمعيب والمزيد. وجاء بالفتح والضم الميَسُرة وجاء بالفتح والكسر: المحمِدة والمظلَمة والمهَلِك والمهْلِكة والمقدِرة والمأدبة[٤].

أما صيغة المصدر الميمي من غير الثلاثي فهي على وزن الفعل المضارع المعلوم باستبدال حرف المضارعة ميما مضمومة مع فتح ما قبل الآخر مطلقا نحو: مفَعَلَ كمخرج ومَفْعَل كمسرح ومُفاعَل كمقاتل ومتُفَاعَل كمتعَارَك ومَفْتَعل كمعترف ومُنْفعل كمُنْطَلق ومُتفَعَل كمُتقَدم ومَفْعَل كمحمر ومُسْتَفْعَل مستخرج ومفعول مجلوذ ومفعَوْعَل محدودب ومُفْعَلَل مدحرج ومتَفعلل متدحرج ومفعنلل محرنجم ومُفْعلَل مقشعر.

وقد أورد الطوسي الكثير من هذه الصيغ كصيغة "مَفْعِلَة" كالموعدة[٥]. وقال: "والمخمصة مَفْعلة مثل المَجْنَبة والمَنْحَلَة من خمص البطن وهو طيه"[٦] ويخالف الطوسي أبا عبيدة في وزن "مثوبة" فيقول: "وقوله "مثوبة" معناها الثواب الذي هو الجزاء ووزنها مَفُولة مثل مَقُولة ومجوزة و مضوفة على معنى المصدر وقال الشاعر:

وكنت إذا جاري دعا لمضُوفَةٍ  أشمَّر حتّى ينصف الساقَ مئزري[٧]

---

١- الزهري- ٢٦٢/٢ ط٢.

٢- الكتاب- ٢٤٦/٢، ابن القطاع- ٥١٢/١.

٣- شرح الشافية- ١٧٠/١.

٤- ابن القطاع- ١٢/١، المزهر- ٩٧/٢.

٥- التبيان- ٢٣٢/١.

٦- التبيان- ٤٣٦/٣.

٧- أشعار الهذليين – ٩٢/٣، مجاز القرآن لأبي عبيدة- ١٧٠، قائله أبو جندب الهذلي.

ثم يورد الطوسي رأي أبي عبيدة فيقول: "وقال أبو عبيدة هي "مَعْقَلة" مثل مَكْرَمة ومَعْقَلَة ومَشْغَلَة"[١].

ويرى الطوسي ان وزن "معيشة" هو "مَفعُلَة" قال: " وزنها "مَفعلَة" مثل سورة ومساور، ومن همزها–يقصد تهميز معايش جمع معيشة– اعتقدها "فعيلة" على وزن صحيفة "فعائل" مثل صحائف وذلك غلط، لأن الياء أصلها، لقولهم: عاش يعيش عيشا ومعيشة"[٢].

وقال الطوسي في صيغة "مَفْعَل": "كل فِعل كان على (فَعَلَ يَفْعَل) مثل ضَرَبَ يَضْرَب فالمصدر مَضْرَب بالفتح، والزمان والمكان "مَفْعل" بكسر العين، وكل فعل كان مضارعه "يفعل" بالفتح نحو يشرب ويذهب فهو مفتوح أيضا نحو المشرب والمذهب. وكل فعل كان على (فَعَلَ يفعُل) بضم العين في المضارع نحو يدخل ويخرُج، فالمصدر والمكان منه بالفتح نحو المُدْخَل والمُخْرج الا ما شذ منه نحو المَسْجَد، فانه من سجد يسجد، وربما جاء في "فَعَلَ يفعِل" المصدر بالكسر كقوله "الى اللهِ مرجِعكم"[٣] أي رجوعكم، ونحو قوله: "ويسئلونك عن المحيضِ"[٤]، ونحو قوله: "وجعلنا النهار معاشا"[٥] فهذا مصدر وربما جاء على المعيش مثل المحيض"[٦].

### ٩ - اسم التفضيل:

ووزنه "أَفْعَل" وهو وصف يدل على اشتراك شيئين في صفة وزيادة أحدهما على الآخر فيها، ويشتق من الفعل الثلاثي المجرد المتصرف التام المثبت بشرط أن لا يكون مبنيا للمفعول وان لا يدل على لون أو عيب. وشذّذ الصرفيون أقوالا وردت عن العرب تخالف القاعدة السالفة ومن ذلك قولهم: "هو اعطاهم للدينار والدرهم، وأولاهم للمعروف، وأنت أكرم لي من زيد أي أشد اكراما، وهذا المكان أفقر من غيره أي أشدّ افقارا وهذا الكلام اخصر، وفي أمثالهم، أفلس من ابن المذلق"[٧]. ومنها "هذا أسود من حلك الغراب وأبيض من اللبن وأحمق من

---

١- التبيان–٣/٥٧٥، وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة– ١٧٠.

٢- التبيان– ٤/٣٥٤.

٣- المائدة– ٥١.

٤- البقرة– ٢٢٢.

٥- عم– ١١.

٦- التبيان– ٧/٦٤.

٧- المفصل– ٢٣٢، ٢٣٣.

هبنقة، ومنها: هو احنك البصريين، وآبل من حنيف الحواتم، وسبب الشذوذ عندهم أن أفعل التفضيل هنا أخذ مما لا مصدر له". ويرد سيبويه على ذلك، اذ لا يقال هو أيداً من فلان ولا أرجل منه بأخذهما من يد ورجل بل يقال: هو أشد منه يدا وأقوى رجلا[١]. وأسلوب سيبويه هذا هو أسلوب التفضيل المتبع في الافعال المخالفة للقاعدة السالفة.

ويشذذ الصرفيون ذلك لأن أفعل التفضيل في الأقوال والأمثال المتقدمة، أخذ مما لا مصدر له. وفيها ما أخذ من أفعال دالة على حلية أو عيب.

ويورد الطوسي في التبيان ثلاثة أوجه للفظة "أفعل" فيقول:

أحدهما:- ما فيه معنى: يزيد كذا على كذا، فهذا لا يجوز فيه التأنيث والتذكير والتثنية والجمع مضافا كان أو على طريقة "افعل من كذا" كقولك: أفضل من زيد وأفضل القوم لتضمنه معنى الفعل، والمصدر كقولك افضل القوم بمعنى يزيد فضله على فضلهم.

الثاني:- ما لم يقصد فيه معنى يزيد كذا على كذا، فهذا يجوز فيه كل ذلك كقولك: الأكبر والكبرى والأكابر.

الثالث:- "أفعل" من الألوان والعيوب الظاهرة للحاسة، فهذا يجيء على "افعل، فعلاء" وجمعه "فعل" نحو أحمر، وحمراء، وحمر، وأعرج وعرجاء وعرج"[٢].

ويرى الطوسي أن: " صيغة "أفعل" من كذا لا تتعدى لأنها غير جارية على الفعل ولا معدولة عن الجارية، كعدل ضروب عن ضارب ومنحار عن ناحر"[٣].

---

١- الكتاب- ٢/٢٥١، ٢٥٢.

٢- التبيان- ٤/٣٩٨، ٣٩٩.

٣- التبيان- ٤/٢٥٠.

### ١٠ - أفعل التعجب:

ويصاغ بنفس الشروط التي تشترط في صياغة "أفعل التفضيل". وذكر بعضهم سبعة شروط لصياغة فعل التعجب وهي: أن يكون الفعل ثلاثيا متصرفا تاما مثبتا مبنيا للمعلوم ومعناه قابلا للمفاضلة والوصف منه على غير أفعل[١].

وللتعجب صيغتان وهما: "ما أفعله" و "أفعل به" نحو: ما أكرمه وأكرم به. ويورد الطوسي هاتين الصيغتين ويضيف لهما أسلوبا آخر للتعجب فيقول: "وصيغة التعجب في اللغة ما أفعله، وأفعل به، الا أنه قد يجيء كلام متضمن بمعنى التعجب، وان لم يكن في الأصل مما وضع له"[٢].

ويورد مثالا على ذلك قوله تعالى: "وكيفَ تكفرُون وأنتمُ تتلى عليكم آياتُ اللهِ وفيكُم رسولُه"[٣]. فيقول: (وكيف) موضوعة للاستفهام، ومعناها ها هنا التعجب وإنما استعملت في ذلك، لأنها طلب للجواب عما حمل على الفساد فيما لا يصح فيه الاعتذار[٤].

---

١- شرح ابن عقيل- ١٥٤/٣.

٢- التبيان- ٤٢/٢.

٣- آل عمران- ١٠١.

٤- التبيان- ٥٤٢/٢.

### ٧- جمع التكسير:

للعرب طرق عديدة للتعبير عن الدلالة على أكثر من اثنين واثنتين. منها صيغة جمع السلامة التي تتم للمذكر بزيادة واو ونون، وللمؤنث بزيادة ألف وتاء.

وهناك طريقة أخرى للتعبير عن الجمع، جاء بها العرب على بناء صيغة المفرد مع احداث بعض التغيير من زيادة أو نقص أو تبديل بالاحرف والحركات يتم هذا التغيير ظاهرا أو تقديرا، اصطلح علماء اللغة على تسمية هذه الطريقة من صيغ الجمع بـ "جمع التكسير". وهناك طرق أخرى للتعبير عن الجمع وهي "اسم الجمع" و "اسم الجنس" و"جمع الجمع".

ذكرت أن جمع التكسير يتم ببعض التغيير على بنية المفرد، فالتغيير الذي يحصل على بنية المفرد تارة يكون ظاهرا، فيتم بالزيادة كصُنو صُنْوان، أو بالنقص نحو تخمة وتُخُم، أو بتبديل الحركات نحو أسَد وأسْد، أو بالزيادة وتبديل الحركات نحو رَجُل ورِجال، أو بالنقص وتبديل الحركات نحو: قَضيب وقضُب، أو بالزيادة والنقص وتبديل الحركات نحو غُلام وغِلْمان[١].

ويتم الجمع بالتغيير المقدر على الكلمات التي تدل على الواحد والجمع في نفس اللفظة "... فيقدر فيها زوال حركات المفرد أو إبدالها بحركات مشعرة بالجمع، فلفظة فُلْك اذا كانت مفردة تكون كقُفْل. واذا كانت جمعا بُدْن، وغصان. اذا كانت مفردة كسَرْحان واذا كانت جمعا كغِلْمان، ودلاص وهِجان وشِمال اذا كانت مفردة ككتاب، واذا كانت جمعا كرِجال..."[٢].

وهناك صيغ كثيرة لجموع التكسير، رغم وجود خلاف في بعض أبنيتها ومن هذه الصيغ:

١. فِعال: كرِحال وجِمال، ورأي سيبويه ومن تابعه في هذه الصيغة أنها تأتي جمعا لـ"فعل" اسما أو صفة نحو: رَحْل رِحال، ودَلْو دِلاء، ثَوْب ثِياب. وتأتي جمعا لفعل اسما أو صفة نحو جَمَل جِمال وحَسَن حِسانا. وحَسَنة حِسان. وتأتي جمعا لفِعل وفُعْل نحو: ريح رياح وقرط قراط. وتأتي جمعا لفَعْلان وفعلى وفعلاء وفعيل وفعيلة وفَعْلان وفَعْلانه اذا كن صفات نحو: عطشان عطشى وعطِاش. ونُفْساء نِفاس.

---

١- الكتاب- ٢/١١٤، ١١٨.

٢- ابنية الصرف في كتاب سيبويه- خديجة الحديثي- ٢٩٣.

وخمصان وخمصانه خِماص، وندمانه نِدام. وتأتي قليلا جمعا لفعل المعتل العين نحو دار ديار، ولفعله نحو جُفْرة جِفار، وقبّة قِباب، ولفَعلة نحو أمَة إماء وشِفة شِفاه ولفِعلان اسما سِرحان سِراح ولفعل نحو أنثى إناث، ولفاعل وفعال وفَعْلة وفيعل وفعلاء اذا كن صفات نحو صاحب وصحاب وجائع وجياع وناقة هجان ونوق هِجان، للمفرد والجمع، ورَيْعة ورياع، وجيّد جياد وبطحاء بِطاح[١].

وقد أورد الطوسي من هذه الصيغ، نحو "فَعَل"، جبل جبال فقال: "والاغلب على بابه فعال نحو جِبال وجِمال"[٢]. وصيغة "فَعَلَة" فقال: "أكمة اكام، وجذبة وجِذاب ورقبة ورِقاب"[٣]. ويرى الطوسي أن أمَه على وزن "فَعَلَة" لذا فهي تجمع على "فِعال"، قال: "وجمع أمة إماء وآآم، وأصل الباب العبودية وأصل أمة فَعَلَة بدلالة قولهم أماء وأم في الجمع نحو أكمة وآكام"[٤].

٢. أفعال:

ويجمع على هذه الصيغة كل ما لا يطرد في جمعه "أفعل" وهو فعل المعتل العين نحو ثوب أثواب. وفَعُل نحو قفل أقفال وفِعْل نحو حمل أحمال، وفعل نحو جَمَل أجمال، وفَعُل نحو عَضُد أعضاد، وفِعَل نحو عِنَب أعناب وفَعَل نحو أيل أيال. ويرد فَعَل الصحيح العين على أفعال شذوذا نحو فَرَخ أفراخ. وقد اثبتت أبحاث محمد فريد أبو حديد وابراهيم أنيس، هذه الظاهرة[٥].

ومما أورده الطوسي على هذه الصيغة، فَعَل نحو بار ابرار، قال: "وواحد الابرار بار مثل صاحب وأصحاب، ويجوز أن يكون بَرْ وابرار –على فَعْل وافعال– تقول بررت والدي فأنا بَرْ. وأصله برر لكن ادغمت الراء للتضعيف"[٦].

---

١– الكتاب– ١٧٩/٢، ١٨٢، ١٨٧، ١٩٠، ١٩١، ١٩٤، ١٩٨، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٢.

٢– التبيان– ٢٥٩/٣.

٣– التبيان– ٢١٥/٤.

٤– التبيان– ٢١٨/٢.

٥– نظرات في جموع الثلاثي لمحمد فريد– مجلة مجمع اللغة العربية– ٥٣/٩. المقرب– ١١٠/٢.

٦– التبيان– ٩٢/٣.

وأورد صيغة "فَعَل" نحو سفر أسفار قال: "الاسفار الكتب واحدها سفر"[١] وكذلك وَتَد أوتاد[٢]. وكذا صيغة "فِعْل" نحو تِرْب اتراب[٣]. وصيغة فَعِل نحو رَحِم أرحام[٤].

٣. فعُول: وتأتي جمعا للاسم الذي بوزن "فَعِل" غير واوي العين نحو برر برور، وكذا "فَعْل" غير واوي العين نحو حمل حمول. وفَعْل غير واوي العين ولا مضاعفا، ولا يائي اللام نحو: برد برود، و"فَعْل" غير أجوف ولا مضاعف نحو أسد وأسود و"فَعِل" نحو كبد وكبود[٥].

واختلف النحاة فيما خرج عما ذكر. فيرى الرضى أن وزن فوج وساق هو فَعُل وهذا خلاف ما اتفق النحاة على قياسه. وله رأي آخر يشذذ فيه جمع فوج وساق على فؤوج وسؤوق[٦]. ولابن مالك رأيان في هذه المسألة. ففي الألفية والتسهيل يرى: جمع فعيل على فعول كنمر نمور، ووعل وعول، قياسا وفي شرح الشافية يعده سماعا[٧].

ومما أورده الطوسي في الجمع على صيغة "فعول" جمع فَعَل، فعند تفسيره لقوله تعالى: "ثلاثة قروء"[٨]، يعلل السبب في مجيء جمع قرء على قروء دون أقرء بقوله: "ولم يقل: ثلاثة أقرء على جمع القليل، لأنه لما كانت كل مطلقة يلزمها هذا، دخله معنى الكثرة، فأتى ببناء الكثرة للاشعار بذلك، فالقروء كثيرة، إلاّ أنها ثلاثة في القسمة ووجه آخر، أن بناء الكثير فيه أغلب في الاستعمال، لأنه على قياس الباب في جمع فَعُل الكثير،

---

١- التبيان- ٥/١٠.

٢- التبيان- ٣٣١/٢.

٣- التبيان- ٣٣٧/٢.

٤- التبيان- ٣٩٣/٢.

٥- الكتاب- ١٧٨/٢، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٥، ١٨٧، ٢٠٢.

٦- الشافية للرضي- ٩٣، ٩٤.

٧- الكتاب- ١٧٨/٢، شرح الشافية للرضي- ٩٣، ٩٤ شرح ابن عقيل- ٤٦٦/٢، تسهيل الفوائد- ١٩٠.

٨- البقرة- ٢٢٨.

فأما القليل فقياسه، أفعل دون أفعال، فصار بمنزلة ما لا يعتد به فجاء مجيء قولهم: ثلاثة شسوع فاستغنى فيه ببناء الكثير عن القليل"[١].

ومما أورد الطوسي جمعه على فعول، فَعْل كشمس شموس وعرش عروش[٢].

٤. فُعْل:

وهذه الصيغة تأتي جمعا مطردا لفعل على رأي سيبويه نحو كث كُث وجَوْن جُون، ورجال صُدق وفرس[٣]. أما الطوسي فيفصل بين فُعْل وفُعُل ويتابعه في ذلك الطبرسي فيقول: "إن ما كان على فُعُل من الجموع مثل كتب ورُسُل، قد استمر فيه الوجهان حتى جاء ذلك في المعتل الواوي نحو سُوُر الآكل قال:

وفي الأكفِ اللامعات سُوُر

وحكى أبو زيد قول وقوم، وأما فُعْل في جمع أفعل نحو أحَمر وحُمْر فكأنهم ألزموه للفصل"[٤] ولا يجيز الطوسي ضم عين "فُعْل" الا في ضرورة الشعر يقول في جمع أغلف: "وجمعها غُلْف وكذلك كل لغة على وزن أفعل والانثى فعلاء، ويجمع على فُعْل مضمومة الأول ساكنة الثاني نحو أحمر وحُمْر واصفر وصفر فيكون ذلك جمعا للتذكير والتأنيث، ولا يجوز تثقيل عين الفعل الا في ضرورة الشعر قال طرفة:

أيها الفتيان في مجلسِنِا  جرّدوا منها وِرادا وشقرٌ[٥]

---

١- التبيان- ٢/٢٤٠.

٢- التبيان- ٢/٣١٨، ٣٢١.

٣- الكتاب- ٢/١٧٧، ١٩٢، ٢٠٤، ٢١١.

٤- مجمع البيان- للطبرسي: ١/١٣١، المزهر- ٢/١٠١.

٥- ديوان طرفة- أشعار الستة الجاهلين.

فحرك لضرورة الشعر... ويجوز أن يكون التسكين هو عين التثقيل مثل رُسْل ورسُل"[١] وفي موضع آخر يذكر الطوسي ضم العين من فُعْل فيقول: "يقال رسول ورُسُل كما يقال صبور وقوم صبُر ورجل شكور وقوم شُكُر"[٢] وايراد الطوسي لهذا الرأي يوضح ترجيح الطوسي لما يذهب اليه سيبويه أو إقترابا نحو الترجيح.

٥. فواعِل:

ويجمع عليه "فاعِلَة" اسما أو صفة، كناصية وكاذبة وكذلك ما جاء على فَوْعَل وفَوْعَلَة، كصومعة صوامع وكوكبة كواكب، وكذلك ما جاء على فعل وفاعل نحو كاهل وخاتم وقالب، وما جاء على وزن فاعل وصفا لمؤنث كحائض، أو مذكر غير عاقل، كصاهل وصواهل، وفاعلاء كقاصماء ونافقاء قواصع ونوافق.

وشذّذ الصرفيون ما جاء على "فواعل" من "فاعل" للمذكر العاقل نحو: فارس وفوارس وناكس نواكس. وذكر المبرد أن فواعل في فاعل الغالب أصل، فقد جاء حادث وحوادث مثل نواكس وحاجب وحواجب وقيل حواجي ودواجي جمع حاج وداج، ورافد وروافد وخاشع وخواشع[٣]. ومما أورده الطوسي من الجمع على هذه الصيغة داهية دواهي[٤]. ويذهب الطوسي الى عدم القياس في جمع فاعل للمذكر العاقل على فواعل قال: "ولم يأت في "فاعل" "فواعل" صفة الا.. فارس وفوارس، وهالك وهوالك"[٥].

٦. مَفاعِل: نحو محامِد ومبارِد واورد الطوسي على هذه الصيغة مَناسِك[٦].

٧. فَعائِل: نحو تمائم وعمائم. ومما أورد الطوسي على هذه الصيغة، تربية ترائِب[٧]، وحمار حمائِر من اللون الاحمر، وبهيمة بهائِم[٨]. ويرى الطوسي أن "خطايا" وزنها "فعائِل"، قال: "... وتقديره خطائي، فقلبت الهمزة

---

١- التبيان- ٣٤٢/١.

٢- التبيان- ٣٩٩/١.

٣- الشافية- ١٥٣/٢. محاضرات د. محمد بدوي المختون للسنة التمهيدية للماجستير ١٩٧٨.

٤- التبيان- ٢٥٣/٢.

٥- التبيان- ٢٧٥/٥.

٦- التبيان- ٤٦٤/١.

٧- التبيان- ٣٣٧/٢.

٨- التبيان- ٣٢٥/٢، ٣٣١.

الاخيرة ياء على حركة ما قبلها، فصارت خطائي، ثم فعل بها ما فعل بمداري حتى قيل مَداري فصارت: خَطاءي. فاستثقل همز بين الفين، لأنه بمنزلة ثلاث الفات فقلبت الهمزة ياء، وإنما أعلت هذا الاعلال، لأن الهمزة التي بعد الألف عرضت في جميع فعل القياس. تقول في جمع مرآة مراءي، فلا تُعَل ثم يعرض الطوسي رأي الخليل في المسألة فيقول: "والخليل يقول: وزنه فعالى على قلب الهمزة"[١].

ولا يجيز الطوسي جمع "معيشة" على فعائل، وينقل اجماع النحويين على ذلك فيقول: "وعند جمع النحويين أن "معايش" لا يهمّز، ومتى همّز كان لحنا، لأن الياء فيها أصلية، لأنه من عاش يعيش، ولم يعرض فيها علة كما عرض في "أوائل". وهي في "مدينة" زائدة و لا تدخلها الحركة كما لاتدخل الألف، ومثله: "مسألة، ومسائل، ومنارة ومنائر، ومقام ومقاوم" قال الشاعر:

وإني لقوّامٌ مقاومُ لم يكن جريرٌ ولا مولى جريرٍ يقومُها

ثم يورد الطوسي وزن "معيشة فيقول: "مَفْعَلَة" مثل مسورة ومساور، ومن همّزها اعتقدها "فعيلة" على وزن "صحيفة" فجمعها على "فعائل" مثل "صحائِف" وذلك غلط، لأن الياء أصلها، لقولهم عاش يعيش عيشا ومعيشة " ثم يعلل الطوسي تعليلا صرفيا سبب مجيء معيشة على مَفْعَلَة فيقول: "ف "معيشة" موافقة للفعل في البناء، (يعيش) في الزنة، وتكسيرها يزيل مشابهتها في البناء، فقد علمت بذلك زوال المعنى الموجب للاعلال في الواحد وفي الجمع، فلزم التصحيح في التكسير لزوال المشابهة في اللفظ، لأن التكسير معنى لا يكون في الفعل، وانما يختص الاسم به، فاذا زالت مشابهة الفعل وجب تصحيحه: ومن همّز "مصايب" فانه غلط، كما غلط من همز "معايش" ..."[٢].

٨. أَفْعُل: نحو زمن أزمن وذئب أذؤب وأعين وأنفس واضلع، واورد الطوسي على هذه الصيغة جمع قرء أقرء[٣].

---

١- التبيان- ٢٦٦/١.

٢- التبيان- ٣٥٣/٤، ٣٥٤.

٣- التبيان- ٢٤٠/٢.

٩. فُعُل: نحو سرير سرر وسبل واورد الطوسي على هذه الصيغة "رسول رُسُل وصبور وقوم صبر ورجل شكور وقوم شُكُر"[١].

١٠. فِعْلان: نحو غلمان وجيران وحيتان واورد الطوسي أمثلة على هذه الصيغة بقوله: "والولدان جمع ولد على مثال خَرِبْ خِربان وبرق برقان وورل ورلان"[٢] ويرى الطوسي خلافا للكسائي ان: "الصفوان واحده صفوانة مثل مرجان ومرجانة وسعدان وسعدانة" ثم يورد رأي الكسائي والمبرد فيقول: "وقال الكسائي: جمع صفوان صفى. وأنكر ذلك المبرد وقال: انما هو صفاء وصفى مثل عصا وعصى وقفا وقفى"[٣].

١١. فعالى: نحو حبلى حبالى وعذارى وطهارى، ومما أورده الطوسي على هذه الصيغة "فرادى" قال: "وهو جمع فرد وفريد، وفرد فردان" ثم يورد رأي يونس فيقول: "وكان يونس يقول: فرادى جمع فرد كما قيل: توأم وتؤم" ثم يورد أمثلة على هذه الصيغة فيقول: "ومثل الفرادى الردانى والعرابى"[٤].

١٢. أفاعيل: نحو حديث أحاديث، أسلوب أساليب وأباطيل، وأورد الطوسي اسطورة أساطير[٥].

وهناك صيغ أخرى مثل: فَنَاعل، مفاعِيل، فْعَل، فُعَلَة، فُعْلى، فَعْلة، أفاعِل، أفاعِلَة، فَعال، فعَّل، فعيل، فعاليل، فَعال، فُعَلاء، تَفاعِل، فَعَلَة، فَعَاله، فِعْلى، فَعْل، مفعلَه، فِعال، فَعالى، فَعُولة، افاعِلة، فَعايل، تفاعُل، فعائِل، مفاعل، فُعالى، فعالين، فَعْليت، فَعاعيل، فَياعيل، تَفاعيل، فواعِيل وغير ذلك من صيغ جمع التكسير.

### جمع الجمع:

وهي أوزان يجمع عليها بعض صيغ الجموع للدلالة على التكثير وهي ليست مطّردة. ويرى سيبويه أن جموع القلة وردت بكثرة عند العرب، لذا فيمكن القياس على بعضها، أما جموع الكثرة، فلا يصح القياس فيها،

---

١- التبيان- ٣٣٩/١.

٢- التبيان- ٢٥٩/٣.

٣- التبيان- ٣٣٧/٢.

٤- التبيان- ٢٠٦/٦، ٢٠٧.

٥- التبيان- ٧٨/١٠.

بل يقتصر في ذلك على النقل. ويقول: "واعلم أنه ليس كل جمع يجمع كما أنه ليس كل مصدر يجمع"[١] لقد تابع أغلب النحاة سيبويه في هذا الرأي وذهب بعضهم كالمبرد والرماني الى امكانية قياس جمع الجمع في كثير من الجموع[٢].

وهناك أسلوبان للعرب في جمع الجمع، فهم اما يكسرون صيغة الجمع على ما يشابهها من صيغ المفرد وذلك في صيغة "أفعل" جمع "فعل" فتجمع على "أفاعِل" نحو أوطب أواطِب تشبيها لها بأفعل أفاعل نحو أفضل أفاضل. وصيغة "أفاعيل" التي هي جمع جمع لصيغة الجمع "أفعال" للمفرد "فَعْل" فالمفرد مثلا قول وجمعه أقوال وجمع الجمع أقاويل تشبيها لها بأفعال مفرد أفاعيل نحو اعصار أعاصير.

والأسلوب الثاني أن تجمع صيغة جمع الجمع بالألف والتاء نحو بيوت بيوتات وطرق طرقات. ومما أورده الطوسي على صيغة "أفاعِل" نحو "أراذِل" قال: "رَذل وجمعه أرذل ، وجمع الجمع أراذِل مثل كلب وأكلب وأكالب"[٣].

ومما أورده "أساور" فيعده جمع جمع لسوار وجمعه أسوار[٤].

ويحسن الطوسي أن تكون "أساطير" جمع أسطر التي هي جمع سطر[٥].

وأورد من صيغ جمع الجمع "فَعَل" و "فعايِل" قال: "... جمع ثمار على ثمر فيكون ثمر جمع الجمع، وجمعوه على "فعل" كما جمعوه على "فعايل" في قولهم جمال وجمايل"[٦].

---

١- الكتاب- ٢/١١٤، ١١٨، ١١٩.

٢- الكتاب- ٢/٢٠٠.

٣- التبيان- ٥/٤٧١.

٤- التبيان- ٨/٤٠.

٥- التبيان- ٤/١٠٣.

٦- التبيان- ٤/٢١٦.

وأورد "أسارى" فقال: "و أسرى جمع أسير وأسارى جمع أسرى" ثم يورد، رأى أبي عمرو فيقول: "قال أبو عمرو بن العلاء: الأسارى هم الذين في الوثاق والأسرى الذين في اليد. وان لم يكونوا في الوثاق"[1].

١- التبيان- ١/٣٣٥.

### ٨- التصغير:

ويسمى أيضا التحقير، وهو لغة التقليل، وفي الاصطلاح: تغيير مخصوص[١]. وللتصغير ست فوائد، وهي تقليل تحقير الشيء نحو زبيْد، وتقليل ذاته نحو بُغَيْل، وتقليل عدده أو كميته نحو دُرَيْهِمات، وتقريب زمانه نحو قبيْل المغرب وبعَيْد الظهر، وتقريب مسافته نحو فُوَيْق المرحلة وتحيْتَ البريد، وتقريب منزلة نحو صُدَيْقي.

وذكر ابن عصفور خمسا من هذه الفوائد فلم يذكر تقريب المسافة[٢].

وزاد الكوفيون معنى سابعا وهو التعظيم نحو دُوَيْهية كما جاء في قول لبيد:

وكلُّ اناس سوف تدخلُ بينَهُم  دُوَيْهيةٍ تَصْفرَّ مِنْها الأناملُ[٣]

وقول بعض الانصار عند خطبته في سقيفة بني ساعده طالبا للخلافة: "أنا جُذَيْلُها المحكك ومذيقها المرجب"[٤].

وللتصغير ثلاث علامات وهي: ضم أوله، وفتح ثانية، وزيادة ياء ثالثة بعده[٥].

وصيغ التصغير للاسم الثلاثي ثلاثة وهي: فُعَيْل وفعيعل وفُعَيْعِيل، نحو: فُلَيْس ودُرَيْهَم ودُنَيْنير. وهناك اسماء تصغر على غير هذه الصيغ الثلاث نحو: أجمال أجَيْمال، وما في أخره ألف تأنيث نحو حُبلى وحُميراء، وما في آخره ألف ونون مضارعتان كسُكَيران.

ولا يصح تصغير غير الثلاثي والرباعي، ويكره تصغير الخماسي كما يكره تكسيره وذلك لسقوط خامسه. فيصغر فرزدق فُرَيْزَدْ أو فُرَيْزَقْ بحذف الميم، لأنها من الزوائد والدال لشبهها بما هو منها[٦].

---

١- الاشموني- ١٥٥/٤، التصريح- ٣١٩/٢.

٢- المقرب- ٨٠/٢، ٨١.

٣- مغني اللبيب- الشاهد رقم ٦٢ حـ ١ – ٤٨.

٤- المراجعات- شرف الدين الموسوي- المراجعة ٨١ – ٢٥٣.

٥- شرح ابن عقيل- ١٣٩/٤. ويقول ابن عصفور أنه: "لا يصغر اسم من الأسماء الا بالياء، فأما قولهم دُوابة وشُوابة، في التصغير: دابة وشابة، فعلى ابدال الألف من الياء، والأصل شُوَيبة ودُويبة" المقرب ٨١/٢".

٦- الشافية- ١٨٩/١، ٢٠٢.

وللتصغير شروط أربعة، وهي: أن يكون اسما[١]، وأن لا يكون متوغلا في البناء (أو شبه الحرف)، وأن يكون خاليا من صيغ التصغير وما شابهها، فلا يصغر مثل: كُمَيْت. ويذهب بعضهم الى أن المصغّر والمكبّر في هذه الحالة بلفظ واحد والتصغير والتكبير اعتباريان.

ومن شروط التصغير قابليته للتصغير، فلا يصح تصغير الاسماء المعظمة كأسماء الله تعالى وأنبيائه وملائكته وما شاكلها ولا جمع الكثرة، ولا المحكى وكذا غير وسوى والبارحة والغد والأسماء العاملة[٢].

ومن مسائل التصغير التي أوردها الطوسي: يرى أن: معزا وركبا وصحبا انما هي أسماء للجمع وليست جمعا، ويستدل على ذلك بتحقير معز على لفظه من غير أن يرد الى الواحد الذي هو فاعل "ماعز". ودليله الثاني هو الحاق الواو والنون أو الياء والنون به فيقال في تحقير "رَكْب" رُوَيْكبون وفي "تَجْر" تُوَيْجرون، ثم يورد رأي سيبويه فيقول: "وسيبويه يراه اسما من أسماء الجمع، وأنشد أبو عثمان حجة لقول سيبويه:

بنَيتهُ بعصبةٍ من ماليا  أخشى رُكَيْبا أو رُجَيْلا عاديا[٣]

ويعلق الطوسي على رأي سيبويه بقوله: "فتحقيره- أي تحقير سيبويه لمصدر فعله على لفظه من غير أن يرده الى الواحد الذي هو فاعل- والحاق الواو والنون أو الياء والنون، يدل على أنه اسم للجمع وأنشد أبو زيد:

وأين رُكَيْب واضعون رحالَهُمْ  إلى أهل نارٍ منْ أُناسٍ بأسودِ[٤]"

في حين يرى أبو الحسن الاخفش ان: رَكْب، صَحْب، تَجْر، مَعْز هي جمع لراكب وصاحب وتاجر وماعز[٥].

---

١- يرى ابن عصفور ان الافعال لا حقر منها شيء الا فعل التعجب لشبهه بالاسم- المقرب- ٨٢/٢.

٢- الأشموني- ١٥٦/٤. التصريح- ٣١٥/٢.

٣- البيت لـ(احيحة بن الجلاح) وقد أنشده أبو عثمان شاهدا على البيت الذي يأتي بعده من أن يقال في تصغير (ركب) رُكَيْب بضم الراء وفتح الكاف وتسكين الياء.

٤- التبيان- ٢٩٨/٤.

٥- التبيان-٢٩٨/٤، ٢٩٩.

ويرى الطوسي أن تصغير "ثُبَة" يأتي على صيغتين حسب موقعها بالمعنى فان كان معناها عصبة منفردة من "عصب" ثبية وان كانت ثبة الحوض فتصغر على ثويبة، ويستدل على جواز جمع ثبة وما شابهها على ثبون بردها الى تصغيرها فيقول: "وإنما جاز أن يجمع ثُبَة ثبون –وإن كان هذا الجمع يختص ما يعقل– للعوض من النقص الذي لحقه، لأن أصله ثَبوة. ومثله عضين وسنين وعوين. فان صغرت قلت: ثُبيات وسُنَيات لأن النقص قد زال"[١].

ويرجح الطوسي أن يكون "زبور" جمع مما يجمع بحذف الزيادة ويستدل على هذا الجمع بقياسه على التصغير فيقول: "أن يكون جمع زبور بحذف الزيادة على زبور، كما قالوا: ظريف وظُروف، وكَروان وكُروان، ووَرْشان وورشان ونحو ذلك مما يجمع بحذف الزيادة، يدل على قوة هذا ان التكسير مثل التصغير. وقد اطرد هذا الحذف في ترخيم التصغير نحو أزهر وزهير، وحارث وحُريث وثابت وثبيت، والجمع مثله في القياس وإن كان أقل منه في الاستعمال"[٢].

ويضعّف الطوسي أن يكون وزن آية "فاعلة" منقوصة فيقول: "لأنهم صغروها أُييه ولو كانت فاعلة لقالوا أويّة"[٣].

---

١– التبيان– ٤٥٥/٢.

٢– التبيان– ٣٩١/٣، ٣٩٢.

٣– التبيان– ٤٥٥/٢.

### ٩- الامالة:

وتعرف الامالة بالكسر والبطح والاضجاع، فاذا أملت الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء فكأنك بطحتها أي رميتها وأضجعتها اليها[١]. ويعتبر سيبويه وابن جني الإمالة من جنس الادغام، ويعبر عنها سيبويه بالألف فيقول: "هذا باب ما تمال فيه الألفات" وقال: "فالألف تمال اذا كان بعدها حروف مكسورة وذلك قولك: عابد عالم ومساجد ومفاتيح وهابيل" ثم يعلل سيبويه سبب إمالة أمثال تلك الكلمات فيقول: "وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الادغام الصاد من الزاي حين قال: صدر فجعلوها بين الزاي والصاد"[٢].

أما ابن جني فيعتبر الإمالة من ابواب الادغام فيقول: "وأما الادغام الأصغر فهو تقريب الحرف من الحرف، وإدناؤه منه، من غير إدغام يكون هناك وهو ضروب: فمن ذلك الإمالة" ثم يشير ابن جني إلى فائدة الامالة في الكلام وكيفيتها فيقول: "وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت، وذلك نحو عالم وكتاب وسعى وقضى واستقضى، ألا تراك قربت فتحة الياء، وكذلك سعى وقضى، ونحوت بالألف نحو الياء التي انقلبت عنها: "كما عد من قبيل الادغام الصغير قلب السين قبل الحرف المستعلى صادا"[٣].

ويعرّف ابن الحاجب الامالة ويذكر أسبابها فيقول: "الامالة أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة، وسببها قصد المناسبة لكسرة أو ياء، أو لكون الألف منقلبة عن مكسور أو ياء، أو صائرة الى ياء مفتوحة، وللفواصل، أو الامالة قبلها على وجه، فالكسرة قبل الألف في نحو عماد وسملال، ونحو درهمان سوغه الهاء مع شذوذه، وبعدها في نحو: عالم. ونحو: من الكلام قليل لعروضها، بخلاف نحو: من دار للراء وليس مقدرها الأصلي كملفوظها على الافصح كجاد وجواد، بخلاف سكون الوقف، فالغرض منها المناسبة بين الفتحة والكسرة في النطق، أو بين الفتحة والياء سواء كانت الكسرة أو الياء قبل أو بعد، أو المناسبة بين فاصلين أميلت أولاهما

---

١- حاشية الخضري- ١٧٩/٢.

٢- سيبويه- ٢/باب الامالة

٣- الخصائص- ١٤١/٢، ١٤٣.

أو بين امالة وأخرى أو بين الألف وأصلها الواوي المكسور أو اليائي، أو ما يصير اليه الألف في نحو حبلى ومعزى"[١].

ويرى الطوسي أن الامالة أن تميل بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء. ويرى أن الفتحة الممالة بمنزلة الكسرة. وعند توجيه الطوسي لقراءة نافع "فلما رأى القَمَرَ بازغاً"[٢] بامالة رأى يقول: "فلا يخلو ان يريد الفتحتين اللتين على الراء والهمزة، أو الفتحة التي على الهمزة وحدها، فان كان فتحة الهمزة فإنما أمالها نحو الكسرة ليميل الألف التي في "رأى" نحو الياء كما أمال الفتحة التي على الدال من "هدى" والميم من "رمى" وان كان يريد أنه أمال الفتحتين جميعا التي على الراء والتي على الهمزة، فإمالة فتحة الهمزة على ما تقدم ذكره، وأما إمالة الفتحة التي على الراء فإنما أمالها لاتباعه إياها إمالة فتحة الهمزة، كأنه أمال الفتحة كما أمال الألف في قولك: رأيت عمادا. إذ الفتحة الممالة بمنزلة الكسرة فكما أميلت الفتحة في قولك من عامر، لكسرة الراء كذلك أميلت فتحة الراء من "رأى" لامالة الفتحة التي على الهمزة، والتقديم والتأخير في ذلك سواء"[٣].

ويوجه الطوسي في موضع آخر قراءة من قرأ الآية المتقدمة بترك الامالة فيقول: "ومن ترك الإمالة إذا لقيها ساكن فانهم كانوا يميلون الفتحة لميل الألف نحو الياء فلما سقطت الألف بطلت إمالتها بسقوطها وبطلت بذلك إمالة الفتحة نحو الكسرة لسقوط الألف التي كانت الفتحة الممالة لميلها نحو الياء في مثل "رأى الشمس" و "رأى القمر" ونحوهما في جميع القرآن، ومن وافق بعض ذلك دون بعض أحب الأخذ باللبس"[٤]. ولم يجز الطوسي الامالة في الحروف وما جرى مجراها نحو "حتى" و "لكن" و "مما" ويعد الحروف بمنزلة بعض الكلمة.

ويجيز الطوسي الامالة في نحو "إنا لله" معللا ذلك بكثرة الاستعمال فيقول: "وأجاز الكسائي والفراء في"إنا لله" الامالة ولا يجوز ذلك في غير اسم الله مثل قولك: "انا لزيد".. وإنما جازت الامالة مع اسم الله لكثرة الاستعمال حتى صارت بمنزلة الكلمة الواحدة، وإنما لم يجز الامالة في غير ذلك، لأن الحروف كلها وما جرى

---

١- شرح الشافية- ٣/٤.

٢- الأنعام- ٧٧.

٣- التبيان- ٤/١٧٩.

٤- التبيان- ٤/١٨٠.

مجراها لا يجوز فيها الامالة مثل "حتى" و "لكن" و "مما" وما أشبه ذلك لأن الحروف بمنزلة بعض الكلمة من حيث امتنع فيها التصريف الذي يكون في الأسماء والأفعال"[١].

ويرى الطوسي أن حروف الحلق اذا جاءت في كلمة على زنة "فِعِلْ" كسرت فيها الفاء لكسر العين في الاسم والفعل ويضرب أمثلة على ذلك في الاسم نحو: غير قعر، ورجل حبر، وفحل، وفي الفعل: "نحو شَهِد ولعِب ونعم فكسرة الياء على هذا كسرة مخلصة محضة، وليست بفتحة ممالة وأما كسرة الهمزة فانه يراد بها امالة فتحتها الى الكسرة، لتميل الألف نحو الياء"[٢].

---

١- التبيان- ٢/٤٠.

٢- التبيان- ٤/١٨٠.

### ١٠- الابدال:

يعرّف ابن الحاجب الابدال بأنه: "جعل حرف مكان حرف غيره، ويعرف بأمثلة اشتقاقه، كتراث وأجوه، وبقلة استعماله كالثعالي. وبكونه فرعا والحرف زائد. كضويرب، وبكونه فرعا وهو أصل كمُويه، وبلزوم بناء مجهول نحو: هراق واصطبر وادارك"[١].

ويعرّفه صاحب التصريح بأنه "جعل حرف مكان آخر مطلقا"[٢].

ويقسم الابدال حسب حروفه على أربعة أقسام أولها ما يبدل ابدالا شائعا للادغام، وهو جميع الحروف الا الألف، والثاني ما يبدل ابدالا نادرا، وهو ستة أحرف: الحاء والخاء والعين المهملة والقاف والضاد والذال المعجمتان، والثالث مايبدل ابدالا شائعا لغير ادغام، وهو قسمان: غير ضروري في التصنيف وهو اثنان وعشرون حرفا يجمعها هجاء قولك: "لجد صرف ثكس أمن طي ثوب عزته" والآخر ماهو ضروري في التصريف وهو تسعة يجمعها: "هدأت موطيا"[٣].

ومما أورده الطوسي في ابدال الذال بالدال في قوله تعالى: "ومما تدخرون"[٤] قال: "وإنما أبدلت الدال عن الذال في "تدخرون" لتعديل الحروف أو أبدلت الدال من الذال بوجهين الجهر واختلاف المخرج، فبدل ذلك بالدال، لأنها موافقة للتاء بالمخرج والدال بالجهر...". ثم يورد الطوسي نظائر لهذا الابدال فيقول: "وكان يجوز تذخرون بالذال على الأصل ونظير ذلك في التعديل بين الحروف: وازدجر، فمن اضطر، واصطبر، لموافقة الطاء للضاد والظاء بالاستعلاء والأطباق".

ثم يورد الطوسي في أثناء تعليله لهذه المسألة في الابدال مسائل أخرى تتعلق بالأصوات فيقول: "ولم يجز ادغام الزاي في الدال، لأنها من حروف الصفير. ولكن يجوز مزجر. ولم تدغم الضاد في الطاء لأن فيها استطالة..." ثم يعرف الطوسي المجهور والمهموس من الحروف فيقول: "والمجهور من الحروف: كل حرف

---

١- الشافية- ١٩٧/٣.

٢- التصريح- ٣٧٠/٢.

٣- نسخة خطية للتصريح رقم ٦٧ بدار الكتب المصرية.

٤- آل عمران- ٤٩.

أشبع الاعتماد عليه في موضعه ومنع النفس أن يجري معه. والمهموس: كل حرف أضعف الاعتماد عليه في موضعه وجرى معه النفس"[١].

ويقول الطوسي حول ابدال التاء بالطاء في كلمة "اصتفى": "قلبت التاء طاء لتعدل الحروف في الاطباق والاستعلاء بما هو من مخرج التاء، فالطاء وسط بين الحرفين لمناسبتها التاء بالمخرج، والصاد بالاستعلاء والاطباق"[٢].

***الاعلال:***

ويشمل القلب والحذف والاسكان، ويعرفه ابن حاجب: "تفسير حرف العلة للتخفيف، ويجمعه للقلب والحذف والاسكان. وحروفه الألف والواو والياء، ولا تكون الألف أصلا في المتمكّن ولا في فعل، ولكن عن واو أو ياء"[٣].

ويتجاوز الاعلال عند ابن جني الظواهر الثلاث القلب والحذف والاسكان ليشمل ظاهرة القلب المكاني وظاهرة الادغام فيقول: "والادغام نفسه يكون في الصحيح سببا للاعلال، ألا تراهم كيف جمعوا حرة بالواو والنون فقالوا حرون، لأن العين اعلت بالادغام، فعوضوا من ذلك الجمع بالواو والنون"[٤]. ويضرب ابن جني أمثلة على القلب المكاني الذي يعده اعلالا نحو: صبر وبصر وصرب وربص، وما أطيبه وايطبه، واضمحل وامضحل وبعد ايراده هذه الأمثلة يقول: "وهذا كله اعلال لهذه الكلم وما جرى مجراها"[٥].

ويختص الاعلال عند الرضي بالقلب والحذف والاسكان فيقول: "الاعلال في اصطلاحهم مختص بتغيير حرف العلة أي الألف والواو والياء، بالقلب أو الحذف أو الاسكان ولا يقال لتغيير الهمزة بأحد الثلاثة اعلال نحو راسي، في رأسي بل تخفيف للهمزة، ولا يقال الابدال غير حروف العلة والهمزة نحو "هيّاك وعلج" في

---

١- التبيان- ٤٦٩/٢.

٢- التبيان-٥٣٣/٨.

٣- الشافية- ٦٦/٣.

٤- الخصائص- ٥٥/٣.

٥- الخصائص- ٦٤/١.

"إياك وعلى" ولا لحذفها في حرفي "حرج" ولا لإسكانها في نحو إبل في ابل، ولفظ القلب مختص في اصطلاحهم بابدال حروف العلة والهمزة بعضها مكان بعض، والمشهور في غير الأربعة لفظ الابدال"[١].

ويفرد ابن عصفور القلب والحذف والنقل تحت باب واحد فيقول: "وإنما أفردت لذلك بابا واحدا، لأن جمعه إنما يتصور باطراد في حروف العلة، فان جاء شيء من ذلك في غيرها حفظ ولم يقس عليه"[٢].

ويعد الطوسي القلب ضربا من الاعتلال، وكذلك الحذف واختصاصه بحروف العلة وما شابهها، فعند إعرابه لقوله تعالى: "لم أك بغيا"[٣] يذكر سبب حذف النون، ويعدد أمثلة على الحذف لحروف العلة فيقول: "و(لم أك) أصلها لم أكن لأنه من "كان، يكون" وإنما حذفت النون لاستخفافها على ألسنتهم، ولكثرة استعمالهم لها، كما حذفوا الألف في "لم أبل" وأصله "لم أبالي" لأنه من المبالاة، وكقولهم: "لا أدر وقولهم: "أيش" وأصله أي شيء، ومثله: لا أب لشانئك وأصله لا أبا لشانئك، ومثله كثير"[٤].

وفي موضع آخر يرد الطوسي "تك" الى أصلها فيقول: "وأصل "تك" تكون، فحذفت الضمة للجزم، والواو لسكونها وسكون النون، لكثرة الاستعمال، وقد ورد القرآن باثباتها، قال الله تعالى: "إنْ يَكُنْ غنياً أو فقيرا"[٥]، فاجتمع في النون أنها ساكنة وانها تشبه حروف اللين، فحذفت لكثرة الاستعمال كما قالوا لا أدر ولم أبل والأجود لم أبال ولا أدرى"[٦].

---

١- الشافية- ٦٧/٣.

٢- المقرب لابن عصفور- ١٨٣/٢.

٣- مريم- ١٩.

٤- التبيان- ١١٥/٧.

٥- النساء- ١٣٤.

٦- التبيان- ١٩٩/٣.

ومما أورده من حذف ما يشبه حروف اللين تجويزه حذف النون من "أتحاجوننا" فيقول: "ويجوز في "أتحاجوننا" ثلاثة أوجه من العربية الاظهار والادغام والحذف، فالادغام تشديد النون والحذف تخفيف النون الواحدة"[١].

ومما أورده في القلب. قال: ويجوز في "يا أبت" ثلاثة أوجه من الاعراب: أحدهما: الكسر على حذف ياء الاضافة.

الثاني: "يا أبتَ" بفتح التاء على حذف الألف المنقلبة عن ياء الاضافة كأنه أراد يا أبتا، فحذف الألف كما تحذف الياء، فتبقى الفتحة دالة على الألف، كما أن الكسرة دالة على الياء، قال رؤبة:

يا أبتا عَلَّك أو عساكا[٢]

فلما كثرت هذه الكلمة في كلامهم ألزموه القلب"[٣].

ويرى الطوسي أن الألف في "باب" منقلبة من الواو لقولهم: "بُوَيْب وأبواب" [٤] ويعلل سبب كتابة "بصطة" بالصاد وبسطة بالسين بقوله: "لأن القلب على الساكن أقوى منه على المتحرك"[٥].

ومما أورده الطوسي في الوقف مسألة حذف حرف العلة من الاسم المنقوص مع الألف واللام عند الوقوف عليه مثل قوله تعالى: "الكبير المتعال"[٦] فقراءة ابن كثير "المتعالى" بياء في الوصل والوقف وقرأ غيره[٧] بياء في الوقف دون الوصل والباقون بغير ياء في الحالين. ويرى أبو علي الفارسي: "اثبات الياء في الحالين هو القياس، وليس ما فيه الألف واللام من هذا الباب كما لا ألف فيه ولام نحو قاض وغاز " أما سيبويه

---

١- التبيان- ٤٨٧/١.

٢- تفسير القرطبي- ١١٩/٩، وصدر البيت تقول قد انى انا كا.

٣- التبيان- ١١٩/٦.

٤- التبيان- ٩٤/٦.

٥- التبيان- ٢٨٧/٢.

٦- الرعد- ١٠.

٧- روى المالكي والعطار عن الزبيدي ويعقوب بياء في الوقف دون الوصل "التبيان- ٢٢٣/٦".

فرأيه أنه: "اذا لم يكن في موضع تنوين يعني اسم الفاعل فان الاثبات أجود في الوقف نحو: هذا القاضي، وهذا الغازي لأنها ثابتة في الوصل" ويعلق الطوسي على رأي سيبويه هذا شارحا فيقول: "يريد أن الياء مع الألف واللام تثبت ولا تحذف كما تحذف من اسم الفاعل إذا لم يكن فيه الألف واللام، نحو هذا قاض".

ويرى الطوسي أن: "الياء مع غير الألف واللام تحذف في الوصل، فاذا حذفت في الوصل كان القياس أن تحذف في الوقف. وهي اللغة الأقيس... فأما حذفهم لها في الوصل فلم يكن القياس، لأنه لم يضطر الى حذفه لشيء كما اضطر ما لا ألف ولام فيه لالتقاء الساكنين، فكرهوا حركة الياء بالضم والكسر لكن حذف، كما حذف في الفواصل وما أشبه الفواصل تشبيها بالقوافي"[١].

ويرى الطوسي كراهية الوقف على العدد الأخير قبل أن يميز نحو قوله تعالى: "فانْفَجَرَتْ منهُ اثْنتا عشرة عيناً"[٢] ويشمل هذا الحكم عنده التمييز الملحوظ. ويذكر أمثلة لذلك، قوله تعالى: "خيرٌ ثواباً وخيرٌ مَرداً"[٣]، "وملءُ الأرض ذهبا"[٤]، "وعدلُ ذلك صياما"[٥]، "وخيرٌ حافظا"[٦]، "خَيرٌ ثواباً"[٧]، وما شابه ذلك"[٨].

وعند تفسيره لقوله تعالى: "إنها بقرةٌ صفراء فاقعٌ لونُها تسرُّ الناظرين"[٩] يقول: "ومن القرّاء من اختار الوقف على قوله: "صفراء" والصحيح أن الوقف إنما يجوز عند تمام النعت كله"[١٠].

---

١- التبيان- ٦/٢٢٣، ٢٢٤.

٢- البقرة- ٦٠.

٣- مريم- ٥٧.

٤- آل عمران- ٩١.

٥- المائدة- ٩٨.

٦- يوسف- ٦٤.

٧- الكهف- ٤٤.

٨- التبيان- ١/٢٧٠.

٩- البقرة- ٦٩.

١٠- التبيان- ١/٢٩٨.

### ١١- الادغام:

وهو لغة الادخال، واصطلاحا له تعاريف عديدة، فيعرفه أبو علي الفارسي بقوله: "أن تصل حرفاً ساكنا بحرف مثله، من غير أن نفصل بينهما بحركة أو وقف، فيرتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة وذلك قولك مد وجر"[١].

ويعرفه صاحب التصريح بقوله: "رفْعَك اللسان ووضعك إياه بالحرفين دفعة واحدة بعد إدخال أحدهما في الآخر"[٢].

ويوضح الطوسي العلاقة بين ارتفاع اللسان عن المدغم والمدغم فيه وبين تسكين الحرف المدغم فيقول: "الحرف المدغم لا يكون الا ساكنا، ولا يمكن الادغام في الحرف الذي يدغم حتى يسكن، لأن اللسان يرتفع عن المدغم والمدغم فيه ارتفاعة واحدة، فاذا لم يسكن لم يرتفع اللسان ارتفاعة واحدة، واذا لم يرتفع كذلك لم يمكن الادغام، فإذا كان كذلك لم يسغ الادغام في الساكن لأن المدغم إذا كان ساكنا والمدغم فيه كذلك التقى الساكنان، والتقاء الساكنين في الوصل في هذا النحو ليس من كلامهم، فأظهر الحرف الأول في حركة وأسكن الثاني من المثلين، وهذه لغة أهل الحجاز، فلم يلتق الساكنان"[٣].

ويعرف ابن الحاجب الادغام بقوله: "الادغام أن تأتي بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد من غير فصل، ويكون في المثلين والمتقاربين"[٤]. والادغام من الناحية الصوتية: نوع من تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، "تأثرا" تخلفياً Regressive وهو نوع من التماثل أو ما يسمى Assimilation"[٥]، فاذا تجاور صوتان مختلفان في مخارجهما أو متقاربان، فقد يتحول أحدهما–وهو الأول– الى صوت من نوع الصوت الآخر[٦].

---

١– الايضاح للفارسي– ١٨٩.

٢– التصريج– ٤٠٢/٢.

٣– التبيان– ٥٥٥/٣.

٤– الشافية– ٢٣٤/٣.

٥– مجلة مجمع اللغة العربية– ٢١٥/١٦.

٦– علم اللغة د. وافي– ٢٧٢، وابن الحاجب وأثره في الدراسات الصرفية– رسالة ماجستير– عبد القادر أبو سليم– ١٩٢.

ويضرب الطوسي مثلا على الادغام لتقارب مخرج الحرف بكلمة "يطوف" فيقول: "ويطوف اصله يتطوف فأدغمت التاء في الطاء لأنها من مخرجها والطاء أقوى بالجهر منها"[١].

ويورد الطوسي عدة أمثلة أخرى على الادغام لتقارب مخرج الحرفين فيقول: "والتاء مدغمة في الطاء في قوله: "إذ هَمَّتْ طائفتان"[٢] لأنها من مخرجها فصارت بمنزلتها مع مثلها نحو: همت تفعل، ومثله وإذ قالت طائفة"[٣] ويجوز أيضا ادغام الطاء في التاء، إلا أنك تبقى الاطباق نحو "أحطْتُ بما لمْ تُحط"[٤] والأول أحسن"[٥].

ولا يجيز الطوسي ادغام الراء في اللام قياسا فيقول: وقوله "ويغفر لكم"[٦] لا يجوز في القياس ادغام الراء في اللام كما جاز ادغام اللام في الراء في: "هل رأيت". ثم يعلل الطوسي علة المنع في هذا الادغام فيقول: "لأن الراء مكررة ولا يدغم الزائد في الناقص للاخلال به، وقياسها في ذلك قياس الضاد، لأنه لا يجوز "هل ضربت" بالادغام ولا يجوز "انقض له" الا بالاظهار لما في الضاد من الاستطالة". ثم يورد رواية عن أبي عمرو باجازته ادغام الراء في اللام ورد الزجاج عليه فيقول: "وقال الزجاج: روى عن أبي عمرو ادغام الراء في اللام، وغلظ عليه لأنه خطأ فاحش باجماع العلماء النحويين الموثوق بهم، وأجاز الفراء ادغامهما في اللام كما يجوز ادغام الياء في الميم"[٧].

---

١- التبيان- ٤٣/٢.

٢- آل عمران- ١٢٢.

٣- الحزاب- ١٣.

٤- النمل- ٢٢.

٥- التبيان- ٥٧٧/٢.

٦- آل عمران- ٣١.

٧- التبيان- ٤٣٩/٢.

### ١٢- أثر الفقه على الجانب الصرفي عند الطوسي:

١. يرى الطوسي أن "قَيُوم" أصله "قيووم" على وزن فَيعول فقلبت الواو الأولى ياء، لأن ما قبلها ياء ساكنة، وأُدغمت نحو سيّد و ميّت، ولا يجيز الطوسي أن يكون "قيوم" على وزن "فعول" فيقول: "لأنه لو كان كذلك لكان قووما، فوصف الله تعالى بالحي القيوم يتضمن أنه يستحق العبادة من حيث أن هذه الصفة دلت على أنه القادر على ما يستحق به العبادة دون غيره، لأنه صفة قيوم صفة مبالغة لا تجوز الا لله على المعنيين معا من معنى الموجود أو القائم على عموم الخلق بالتدبير"[١].

٢. قوله تعالى: "ولا تؤتوا السفهاءَ أموالكم"[٢]

قال الطوسي: "اختلف أهل التأويل فيمن المراد بالسفهاء المذكورين في الآية، فقال ابن عباس، وسعيد بن جبير... انهم النساء والصبيان... وقال المعتز بن سليمان، عن أبيه قال: زعم حضرمي أن المراد به النساء خاصة، وروى ذلك عن مجاهد، والضحاك، وابن عمر".

ويعلق الطوسي على هذه الآراء بقوله: "والأولى حمل الآية على عمومها في المنع من إعطاء المال السفيه، سواء كان رجلا أو امرأة بالغا أو غير بالغ".

ويدعم الطوسي رأيه في حمل الآية على عمومها بدليل صرفي ويرد على حمل الآية على النساء خاصة فيقول: "فأما من حمل الآية على النساء خاصة، فقوله ليس بصحيح، لأن فعيلة لا يجمع فعلاء، وانما يجمع فعايل وفعيلات، كغريبة وغرايب وغريبات"[٣].

٣. قوله تعالى: "ولكنْ يؤاخذكُم بما عَقدتُم الأيمان"[٤].

قال: " قرأ "عاقدتم" بالألف ابن عامر، و"عقدتم" بلا ألف مع تخفيف القاف حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم. والباقون بالتشديد ومنع من القراءة بالتشديد الطبري، قال: لأنه لا يكون الا مع تكرير اليمين والمؤاخذة

---

١- التبيان- ١١٣/٣.

٢- النساء- ٥.

٣- التبيان- ٣٩٠/٢.

٤- المائدة- ٩٢.

تلزم من غير تكرير بلا خلاف" ويرد الطوسي على رأي الطبري بقوله: "وهذا ليس بصحيح لأن تعقيد اليمين أن يعقدها بقلبه ولفظه ولو عقد عليها في أحدهما دون الآخر لم يكن تعقيدا"، ويقوي الطوسي القراءة بالتشديد. وذلك لأنه يرجح فقهيا أنه إذا كرر اليمين على محلوف واحد فاذا حنث لم يلزمه إلاّ كفارة واحدة ويختلف الفقهاء في هذه المسألة في تكرر الكفارة بتكرر اليمين أم لا، ويدعم الطوسي رأيه هذا بدليل صرفي فيقول: "ان فعل يختص بالكثير كما أن الركبة تختص بالحال التي يكون عليها الركوب، وقالوا: عَقَدْت الحبل والعهد واليمين عَقْدا ألا ترى أنها تتلقى بما يتلقى به القسم"[١].

٤. قوله تعالى: "وحُرِّمَ عليكم صيدُ البرِّ ما دُمْتمُ حُرُما"[٢].

اختلف الفقهاء في هذه الآية هل أن لحم الصيد يحرم على المحرم إذا صاده غيره أم لا؟ فذهب بعضهم الى الحرمة وبعض آخر الى الاباحة، قال الطوسي: "وقوله: (وحُرِّمَ عليكمُ صيدُ البرِّ ما دمتَّم حرما) يقتضي ظاهرة تحريم الصيد في حال الاحرام وأكل ما صاده غيره، وبه قال علي عليه السلام وابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير وقال عمر وعثمان والحسن، لحم الصيد لا يحرم على المحرم إذا صاده غيره، ومنهم من فرق بين ما صِيد وهو محرِم وبين ما صِيد قبل إحرِامه. وعندنا لا فرق بينهما والكل محرّم" ثم يدعم الطوسي رأيه الفقهي هذا بدليل صرفي بقوله: "والصيد يعبر عن الاصطياد فيكون مصدرا ويعبر به عن المصيد، فيكون اسما. ويجب أن تحمل الآية على تحريم الجميع"[٣].

٥. قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائرَ الله"[٤].

أُختلف في معنى شعائر على أقوال فذهب عطاء وغيره أن معناه "لا تحلوا حرمات الله، ولا تعدوا حدوده، وحملوا الشعائر على المعالم. وأرادوا بذلك معالم حدود الله وأمره ونهيه، وفرائضه".

---

١- التبيان- ١١/٤.

٢- المائدة- ٩٩.

٣- التبيان- ٣٩/٤.

٤- المائدة- ٢.

وقال مجاهد: شعائر الله الصفا والمروة والهدي من البدن، وغيرها. كل هذا من شعائر الله. وذكر الطوسي قول الفراء قال: "وقال الفراء كانت عامة العرب لا ترى الصفا والمروة من الشعائر، ولا يطوفون بهما، فنهاهم الله عن ذلك وهو قول أبي جعفر عليه السلام..." ...وقال الجبائي الشعائر: العلامات المنصوبة للفرق بين الحل، والحرم، نهاهم الله أن يتجاوزوها إلى مكة بغير إحرام" ويذهب الزجاج إلى أن معناه: لا تحلوا الهدايا المشعرة. ويرجح الطوسي قول عطاء من هذه الأقوال ويدعم رأيه هذا من الناحية الصرفية فيقول: "وأقوى الأقوال قول عطاء من أن معناه، لا تحلو حرمات الله، ولا تضيعوا فرائضه، لأن الشعائر جمع شعيرة وهي على وزن فعيلة، واشتقاقها من قولهم: شعر فلان بهذا الأمر: إذا علم به، فالشعائر المعالم من ذلك، وإذا كان كذلك، وجب حمل الآية على عمومها، فيدخل فيه منسك الحج، وتحريم ما حرّم في الاحرام وتضييع ما نهى عن تضييعه واستحلال حرمات الله، وغير ذلك من حدوده وفرائضه وحلاله وحرامه، لأن كل ذلك من معالمه، فكان حمل الآية على العموم اولى"[١].

٦. قوله تعالى: "حُرّمت عليكم الميتة... والنطيحة"[٢].

اختلف النحويون في معنى "النطيحة" فذهب البصريون أنها بمعنى "الناطحة" وذهب الكوفيون أنها بمعنى "المنطوحة".

ويذكر الطوسي رأي البصريين والكوفيين ثم يرجح أن معناها المنطوحة على رأي الكوفيين. قال: "اختلف في ذلك فقال بعض البصريين: أثبت فيها الهاء أعني في النطيحة، لأنها جعلت كالاسم، مثل الطويلة والظريفة فوجه هذا تأويل النطيحة الى معنى الناطحة. ويكون المعنى حُرّمت عليكم الناطحة التي تموت من نطاحها. وقال بعض الكوفيين: إنما يحذف الهاء من فَعيلة بمعنى مَفْعولة إذا كانت صفة لاسم قد تقدمها، مثل كفٌ خضيب، وعين كحيل، فاما إذا حذف الكف والعين والاسم الذي يكون فقيل نعتا له واجتزوا بفعيل أثبتوا فيه

---

١- التبيان- ٤١٩/٣

٢- المائدة- ٣.

هاء التأنيث، ليعلم بثبوتها فيه أنها صفة للمؤنث دون المذكر فيقول: رأينا كحيلة وخضيبة وأكيلة السبع، فلذلك دخلت الهاء في النطيحة، لأنها صفة المؤنث".

والطوسي حين ترجيحه لرأي الكوفيين من الناحية الصرفية فانه يجمع بين رأي الكوفيين والبصريين من الناحية الفقهية فيقول: "(والنطيحة) بمعنى المنطوحة، فنقل من مفعول الى فعيل... والقول بأن النطيحة بمعنى المنطوحة هو قول أكثر المفسرين: ابن عباس، وأبو ميسرة والضحاك والسدى وقتادة، لأنهم أجمعوا على تحريم الناطحة والمنطوحة إذا ماتا"[1]. ثم يورد خلاف البصريين والكوفيين في اثبات هاء التأنيث لـ "فعيل".

١- التبيان- ٣/٤٣١.

# الخاتمة

# الخاتمــة

بعد هذا التطواف في ثنايا هذا البحث برزت بوضوح الجهود النحوية لأبي جعفر مجمد بن الحسن الطوسي حيث ساهمت هذه الجهود والنشاطات النحوية والصرفية في بناء جانب من جوانب شخصية هذا الامام الكبير وأسهمت في تزويد المكتبة النحوية بجهد متواضع في هذا المجال.

ويمكن تسليط الضوء على النتائج التي خرج بها هذا البحث وحصرها بالنقاط التالية:

في التمهيد ظهر أن المفسر والفقيه لا بد له من المام كاف باللغة العربية، إلاّ أن هذا الالمام أو هذا الاطلاع يختلف من شخص لآخر فبعض المفسرين الذين تضلعوا في علم النحو عندما ألفوا في التفسير طغى على تفاسيرهم الجانب النحوي، وقد أشار الطوسي الى بعض منهم في مقدمته كالفراء والأخفش والزجاج. بيد أن هذه النقطة وإن عدت من المؤاخذات في منظار المفسرين إلاّ أنها نقطة إيجابية في منظار النحويين، وبما أن الطوسي لم يكن نحويا فحسب بل هو إمام كبير في شتى علوم الشريعة والعربية. لذلك تمكن وبجدارة أن لا يطغى جانب من جوانب شخصيته العلمية على الآخر في أثناء تفسيره، فأعطى لكل علم من العلوم حقه ضمن دائرة التفسير فجاء تفسيره موسوعيا جامعا لشتى العلوم الإسلامية واللغوية بدون إسهاب.

في الفصل الأول من هذا البحث سايرت الطوسي تأريخيا منذ ولادته في طوس سنة ٣٨٥هـ ونشأته فيها حتى أكمل الرابعة عشرة من عمره فيدفع به طموحه لطلب العلم الى بغداد حاضرة العالم الإسلامي آنذاك فالتقى بعلمائها وتتلمذ على أيديهم وكانوا من الفريقين سنّة وشيعة فكانت ثقافته مزيجا من كلا المذهبين ولعل ذلك كان له أثر كبير في نقولات الطوسي في تفسيره. حيث اشتمل تفسيره على آراء وروايات كلا الفريقين، بل وآراء الفرق الأخرى كالمعتزلة والمجسّمة والقدرية وغيرهم. واتضح أيضا أن الفتن المذهبية التي حدثت في بغداد كانت سببا في هجرة الطوسي من بغداد الى النجف الأشرف حيث أسّس هناك جامعة كبرى من جامعات الفكر الإسلامي لا زالت قائمة حتى الآن.

ويبدو واضحا أيضا أن الطوسي كان شخصية علمية معروفة لدى كل الأوساط الرسمية والشعبية بدليل تكريمه من قبل الخليفة العباسي بكرسي الكلام الذي نصبه له والذي كان لا ينصب الا لمن تفوق على أقرانه.

ويبدو من خلال البحث أن شخصية الطوسي العلمية لم تكن منكمشة في إطار محدود بل امتد تأثيرها بحيث ظهر من تلامذته علماء كبار لهم مؤلفات وآثار قيمة في عالم الفكر كما يتبين من دراسة تلاميذه.

ووثّق البحث صحة نسبة كتب الطوسي إليه وخاصة كتاب التبيان وقد سلطتُ الضوء فيه على مصادر الطوسي في تفسيره، وأشرت الى كل فنّ منها مع لمحات مختصرة من واقع تلك الكتب ومقارنتها بالتبيان. ورجح البحث بأدلة بينة أن وفاة الطوسي كانت سنة ٤٦٠هـ ليس غير.

وفي الفصل الثاني سلطت الضوء على منهجية ثلاثة من نحوي القرن الخامس الهجري ممن عاصر الطوسي. وبينت طريقتهم في التاليف وموقفهم من الشواهد وهم: ابن برهان، ابن بابشاذ، والتبريزي، وعقدتُ مقارنة بين مواقف الثلاثة وانتمائهم المذهبي في النحو. واتضح من خلال دراسة موقفهم من الشواهد أن جميعهم يستشهد بالقرآن الكريم باعتباره أعلى نص عربي فصيح، بيد أن ابن بابشاذ تابع البصريين في تلحينهم لبعض القراءات ووصفهم لها بالوهن. في حين خالف ابن برهان في ذلك فبالرغم من كونه بصريا فانه يقدم السماع على القياس اذا تخالفا. أما التبريزي فوقف موقفا معتدلا.

أما موقفهم من الاستشهاد بالحديث الشريف فقد استشهد ابن بابشاذ والتبريزي به، وامتنع عن ذلك ابن برهان. وكلهم استشهدوا بكلام العرب من شعر ونثر. حيث أستشهد معهم بشعر عصر الاحتجاج الا أن التبريزي زاد على صاحبيه فأجاز الاحتجاج بشعر المحدثين كأبي تمام. وأكثر ابن برهان من الاحتجاج بأقوال وأمثال العرب.

وظهر من دراسة منهجية الطوسي في التأليف أنه قد خطى خطوة نحو الأمام في ظاهرة التنظيم والتبويب والتنسيق التي اتسم بها التأليف في عصره، وبدت على كتبه ومؤلفاته ظاهرة التخصص في مختلف العلوم. وظاهرة التنظيم تتجلى في التبيان بوضوح. ومقدمة الطوسي في تفسيره أكبر دليل على هذه الظاهرة.

كما أن الانتقادات التي وجهها لمؤلفات غيره لدليل بين على نضج هذه الظاهرة عنده ومؤشر واضح إلى عظم هذه الشخصية العلمية ومنهجيته في إيراد أقوال المفسرين واللغويين والنحاة دليل على دقة نقله وسعة اطلاعه وتضلعه في مختلف العلوم. كما اتّضح من خلال هذا البحث أن أسلوب الطوسي أسلوب تعليمي أثّرت

به ثقافته الواسعة وخاصة في اللغة فجعلته يحسن استخدام المترادفات وترابط الجمل وندرة الاعتراضية منها وكثرة الاستطرادات بدون إسهاب، وسهولة فهم مصطلحاته إلاّ ما ندر، وتبين أنه واضح العبارة سهل اللفظة.

وفي الفصل الثالث اتَّضح الاتجاه النحوي للطوسي، فاشتمل هذا الفصل على أمور ابتدأتها ببيان موقف الطوسي من الشواهد، فظهر من خلال الدراسة أن الطوسي يستشهد كثيرا بالقران الكريم ويقدمه على غيره ويضع النصوص أمام القواعد النحوية ويعلل ذلك بقوله: "لأن القراءة متبوعة يؤخذ بالمجمع عليه". فهو يقبل جميع القراءات ما عدا الشاذة منها ويندر رده على بعض القراءات المتواترة. أما القراءات الشاذة فاتضح أنه كثيرا ما يردها لمخالفتها للأصول النحوية، وأكثر شواهده النحوية من القراءات المتواترة. فاتجاهه اذن في الاستشهاد بالقراءات يخالف البصريين لأنه لا يرد على كثير من القراءات التي يرد عليها البصريون. ويخالف الكوفيين أيضا لأنه لا يأخذ بالشاذ منها ويرد عليها.

أما احتجاجه بالحديث الشريف فقد تبين أن الطوسي له موقفان من حيث الاستشهاد بالحديث: موقف عملي وآخر نظري، فهو من الناحية العملية قليل الاستشهاد بالحديث في النحو حيث بلغ ما استشهد به فيه ثلاثة أحاديث. أما استشهاده به في اللغة فكثير حيث بلغ عشرين حديثا. أما من الناحية النظرية فانه قد ناقش مسألة الاستشهاد بالحديث الشريف ورّدّ على منكري الاستشهاد به بشده. وخلصتُ من خلال ذلك بنتيجة وهي أن الطوسي هو أول من ناقش مسألة الاستشهاد بالحديث الشريف وأوردتُ بعض الملاحظات في هذا الشأن. ولفتُّ نظر الذين ذهبوا الى أن أبا حيان هو أول من ناقش هذه المسالة الى أن الطوسي قد سبقه بذلك.

واتضح من خلال البحث أن موقف الطوسي من الاستشهاد بكلام العرب من شعر ونثر يقارب موقف البصريين، حيث أن شواهده الشعرية منحصرة بشعراء الجاهليين وصدر الإسلام وعهد بني أمية، ولم يستشهد ولا ببيت واحد من شعر المحدثين والمولدين. وأنه كان يدقق برواية الشاهد ويورد ما اختلف فيه من الروايات. وتبين أيضا انه لا يقعّد على النادر أو ما قيل لضرورة شعرية. وهو في هذا الاتجاه يوافق البصريين الا أنه لا يذهب معهم بعيدا حيث أنه يقف أمام النصوص القرآنية كما أوضحت وقد استشهد الطوسي ببعض الأمثال والأقوال العربية في النحو واللغة.

وتبين من خلال دراسة موقف الطوسي من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين أن الطوسي له شخصية نحوية مستقلة عن الالتزام بمبادئ إحدى المدرستين، وأنه لا يمكن اعتباره بصريا لأنه خالف البصريين بكثير من المسائل وردّ عليهم، كما لا يمكن اعتباره كوفي الاتجاه لأنه خالف الكوفيين بمسائل أكثر مما خالف به البصريين إذن لا بد أن يكون له اتجاه آخر.

ولدى دراسة المصطلحات النحوية التي استعملها الطوسي تبين أنه يمزج بين مصطلحات البصريين والكوفيين وإن كان استعماله للمصطلحات البصرية أكثر من استعماله للكوفي منها. وقد قمت باحصائية لهذه المصطلحات وبينت نسبها خلال البحث.

أما موقفه من أدلة صناعة الاعراب فإنه يقدم السماع على غيره ولا يعدل عنه إلاّ بقرينة بينة ونادرا ما يردّ على السماع وهو هنا يخالف أصول البصريين في ردّهم على السماع إذا تعارض مع أقيستهم. وبالرغم من أخذه بالسماع فانّ له عناية بالغة بالقياس خاصة وهو المتضلع في علم الكلام وأصول الفقه لذا فقد أخذ بالقياس النحوي وعده نوعا من القياس العقلي. وقد رد بالقياس بعض القراءات كما تبين في الفصل الثالث في مبحث موقفه من أدلة الصناعة. وأخذ الطوسي بالاجماع بالفقه والقراءة والتفسير وأخذ به في النحو أيضا أما أخذه بدليل استصحاب الحال فانه متأخرٌ عن الأدلة المتقدمة. وظهر من خلال الدراسة اهتمام الطوسي بقضية العامل وظهرت له عناية منه في أكثر الأعاريب للآي الكريمة، ويشير الطوسي الى نوع العامل وفيما إذا كان معنويا أم لفظيا؟

وتبين أن الطوسي قد اهتم بالعلل النحوية وأولاها عناية كبيرة وقدعلل بمختلف العلل كالضرورة والخفة والأمن من اللبس والاتباع وكثرة الاستعمال والشبه والمشاكلة ... الخ.

ومن خلال دراسة اتجاهات الطوسي في كل مسألة من المسائل المتقدمة وربطها باتجاهه بالمسألة الأخرى تبين بوضوح أن الطوسي يتجه اتجاها بغداديا، وأنه لا يتحدد بأصول البصريين ولا بأصول الكوفيين وأن له شخصية مستقلة عن كلا الفريقين. ومزجه بين أصول الفريقين ومصطلحاتهما وموقفه من الشواهد كل ذلك يشير بوضوح الى أن الطوسي يتجه اتجاها بغداديا مع نزعة قليلة للبصريين.

وفي الفصل الرابع–الاتجاهات الصرفية– اتضح أن الطوسي يتابع البصريين في اشتقاق الفعل من المصدر. وأنه زاد في أوزان مصادر الفعل الثلاثي صيغة "فَعالِية" نحو "كَراهية" زيادة على ما أورده سيبويه من تلك الأوزان، وأنه في أثناء تفسيره للكلمات يقلّب الكلمة على مختلف وجوهها ويردها الى أصلها ويبين مشتقاتها ومختلف مصادرها مع الأمثلة والشواهد. والطوسي يقيس أحيانا ويعتمد على السماع أحيانا أخرى في المسائل الصرفية. وقد شذّذ بعض المسموع في اسمي الزمان والمكان مثل: المسجَد والمنبَت والمسقَط والمطلَع والمشرَق والمغرَب، وخالف في ذلك سيبويه الذي أرجعها الى القياس بحجة أنها لم يذهب بها مذهب الفعل بل جعلت مختصة في أزمنة وأمكنة معينة.

وقد أوضحتُ في هذا الفصل أنَّ الصفة المشبهة هي قسم من أقسام اسم الفاعل يراد بها ثبوت صفة الحدث الى المحدث وأنها لا تختص بالقضايا الصرفية وإنَّما بالمسائل النحوية. وانَّ التفريق بينهما وبين اسم الفاعل يقوم على أساس صرفي لا نحويا. وظهر أن الطوسي يضيف الى صيغتي التعجب "ما أفعله" و "أفعل به" صيغة أخرى وهي صيغة الاستفهام بنية التعجب طلبا للجواب نحو قوله تعالى: "وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله" (آل عمران ١٠١) وقد أشرت في هذا الفصل الى آراء الطوسي في جمع التكسير– وما خالف به الطوسي سيبويه من صيغ جموع التكسير صيغة "فُعْل" التي تأتي جمعا مطردا لـ"فَعْل" نحو كَتّ وكُتّ وتأتي على وزن (فعُل) الا أن الطوسي يفصل بين هاتين الصيغتين فيرى أنّ ما كان على وزن (فُعُل) من الجموع مثل كتُب ورُسُل قد استمر فيه الوجهان حتى جاء ذلك في المعتل الواوي نحو سَوُر.

ولا يجيز الطوسي ضم عين "فُعْل" الا في ضرورة الشعر. وشذّذ الطوسي ما جاء على (فَواعِل) من فاعِل المذكر العاقل نحو فارس وفوارس وناكس ونواكس.

ويرجع الطوسي كون (زبور) جمع مما يجمع بحذف الزيادة مستدلا على هذا الجمع بقياسه على التصغير.

ولا يجيز الطوسي الإمالة بالحروف وما جرى مجراها نحو (حتى) و (لكن) لأنها عنده بمنزلة بعض الكلمة. وقد أورد آراء في الابدال والاعلال والوقف. ولا يجيز إدغام الراء في اللام قياسا في نحو قوله تعالى:

"ويغفر لكم" (آل عمران ٣١) ويعلل هذا المنع بقوله: "لأن الراء مكسورة ولا يدغم الزائد في الناقص للاخلال به".

# المصادر


أ- المخطوطة:

١- ابن الحاجب وأثره في الدراسات الصرفية- رسالة ماجستير مقدمه من عبد القادر أبو سليم- جامعة القاهرة- كلية دار العلوم- سنة ١٩٧٠م.

٢- ابن خالويه وأثره في الدراسات الصرفية- رسالة ماجستير تقديم محمد أبو الفتوح شريف- جامعة القاهرة- كلية دار العلوم- ١٩٧٠م برقم ١٠٩٤.

٣- أبنية الصرف في كتاب سيبويه- رسالة ماجستير- تقديم خديجة الحديثي ١٩٦٩م- رسالة دكتوراه- كلية الآداب- قسم اللغة العربية برقم ٢١٩.

٤- الاشتقاق- رسالة دكتوراه- مقدمه من فؤاد ترزي- جامعة القاهرة- كلية الآداب- قسم اللغة العربية- سنة ١٩٦٦م برقم ٥١٤.

٥- التصريح- نسخة خطية بدار الكتب المصرية ع رقم ٦٧.

٦- الجامع لعلوم القرآن- الجزء الثاني عشر- من مصورات المكتبة الخالدية بالقدس الشريف- معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية- القاهرة.

٧- شرح اللمع لابن برهان- رسالة ماجستير- تقديم فائز فارس محمد- جامعة القاهرة- كلية الآداب- قسم اللغة العربية بتاريخ ١٩٧٤م برقم ١٢٦٣.

٨- شرح المقدمة النحوية لابن بابشاذ- رسالة دكتوراه تقديم محمد أبو الفتوح محمد شريف بتاريخ ١٩٧٤م- جامعة القاهرة- كلية دار العلوم برقم ١٥٦٤.

٩- القراءات وعللها لابن خالويه الحسين بن أحمد بن أبي عبد الله- نسخة مصورة عن مكتبة مراد ملا- معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية- القاهرة رقم ٥٢ قراءات.

١٠- المصطلحات النحوية ونشأتها وتطورها- رسالة ماجستير- تقديم سعيد أبو العزم إبراهيم- جامعة القاهرة- كلية دار العلوم ١٩٧٧م.

١١- معني القرآن للأخفش رسالة دكتوراه- تقديم فائز فارس محمد الحمد- جامعة القاهرة- كلية الآداب- قسم اللغة العربية.

١٢- معني القرآن للأخفش- نسخة مصورة عن مكتبة القدس الشريف- محفوظة بمكتبة مشهد بايران رقم(٥٢٠) تفسير- الرقم العمومي ١٥٢٢.

ب- المطبوعة:

١- الاستبصار فيما اختلف من الاخبار- الطوسي أبو جعفرمحمد بن الحسن- تحقيق حسن الموسوي الخرساني- دار الكتب الإسلامية- النجف ١٩٥٦م.

٢- الأشباه والنظائر- للسيوطي ت ٩١١هـ- تحقيق طه عبد الرؤوف- شركة الطباعة الفنية المتحده ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٣- الاشتقاق- لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد- تحقيق عبد السلام محمد هارون- نشر مؤسسة الخانجي- القاهرة ١٩٥٨م.

٤- الاشتقاق وأثره في النمو اللغوي- عبد الحميد محمد أبو سكين القاهرة ١٩٧٨م.

٥- اصلاح المنطق- لابن السكيت- تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون- الطبعة الثالثة- دار المعارف بمصر ١٩٧٠م.

٦- الأصمعيات- لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي- تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون- دار المعارف بمصر- الطبعة الرابعة ١٩٦٧م.

٧- أصول الاستنباط- الحيدري علي فقي- مطبعة الرابطة- بغداد- الطبعة الثانية ١٣٧٩هـ- ١٩٥٩م.

٨- أصول التفكير النحوي-د. علي أبو المكارم- منشورات الجامعة الليبية سنة ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

٩- أصول الفقه الجعفري- أبو زهرة- محمد- معهد الدراسات العربية ١٩٥٥م.

١٠- أصول اللغة- شوقي أمين

١١- أعيان الشيعة- العاملي- محسن الأمين- مطبعة الاتقان- دمشق سنة ١٩٤٦م.

١٢- الأعلام- الزركلي خير الدين- طبعة بيروت سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

١٣- الاغراب في جدول الاعراب- لأبي البركات الأنباري- تحقيق سعيد الافغاني- مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

١٤- الاقتراح في علم أصول النحو لجلال الدين السيوطي ت٩١١هـ- تحقيق د. أحمد محمد قاسم- الطبعة الأولى- مطبعة السعادة القاهرة ١٣٩٦هـ.

١٥- الأمالي للطوسي محمد بن الحسن- تقديم السيد محمد صادق بحر العلوم- مطبعة النعمان النجف ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

١٦- أمالي المرتضى المسماة غرر الفوائد ودرر القلائد تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٤م- القاهرة.

١٧- الامام الصادق- أبو زهرة- محمد- دار الثقافة العربية للطباعة- القاهرة- بدون تاريخ.

١٨- أمل الآمل- العاملي محمد بن الحسين الحر- تحقيق أحمد الحسيني- الطبعة الأولى- مطبعة الآداب- النجف ١٣٨٥هـ.

١٩- إنباه الرواه على أنباه النحاة للقفطي- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- طبعة دار الكتب ١٩٥٠م.

٢٠- الانصاف في مسائل الخلاف- لأبي البركات الأنباري ت ٥٧٧هـ- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد- الطبعة الرابعة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

٢١- البداية والنهاية لابن كثير الطبعة الأولى- مكتبة المعارف- مصر ١٣٧٦هـ.

٢٢- أبو البركات الأنباري ودراساته النحوية- د. فاضل للسامرائي ط١ بغداد سنة ١٣٩٥هـ.

٢٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر تحقيق أبي الفضل إبراهيم- الطبعة الأولى- مطبعة الحلبي- مصر سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

٢٤- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان جزء ٥- ترجمة د. رمضان عبد النواب- دار المعارف بمصر ١٩٧٥م- والطبعة الثالثة- ترجمة د. عبد الحليم النجار- مطابع دار المعارف- مصر.

٢٥- تاريخ الإسلام السياسي- د. حسن إبراهيم حسن- ح٣- ٤- القاهرة ١٩٦٧م.

٢٦- تاريخ الخلفاء للسيوطي- دار التراث بيروت ١٩٦٩م.

٢٧- تأريخ الطبري- تأريخ الرسل والملوك- لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف بمصر ١٩٦٠م.

٢٨- تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام- للسيد حسن الصدر- شركة النشر والطباعة المحدودة- بغداد ١٣٧٠هـ.

٢٩- شرح ما يقع التصحيف والتحريف للعسكري- تحقيق عبد العزيز أحمد- مطبعة الحلبي ١٣٨٣هـ.

٣٠- التعريفات- لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني- الدار التونسية للنشر ١٩٧١م.

٣١- تلخيص الشافي- للطوسي- تعليق حسين بحر العلوم- ط٢- النجف الأشرف ١٣٨٣هـ.

٣٢- الجامع لأحكام القرآن- لأبي عبيد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي- الطبعة الثانية- مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٥م.

٣٣- جمهرة اللغة لابن دريد- مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ١٩٤٥م- تحقيق كرينكو.

٣٤- الحدود- لعلي بن عيسى الرماني مطبوع ضمن _رسائل في النحو اللغة_ تحقيق د. مصطفى جواد- دار الجمهورية- بغداد- ١٩٦٩م.

٣٥- حياة الطوسي للطهراني- أغا يزدك- في أول تفسير التبيان للطوسي- طبعة النجف ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

٣٦- خزانة الأدب- للبغدادي- تحقيق عبد السلام هارون- دار الكاتب العربي للطباعة والنشر- ١٩٦٧/١٩٦٩م.

٣٧- الخصائص- لابن جني- أبي الفتح عثمان طبعة الهلال ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م.

٣٨- خطط الشام- للمقريزي- الجزء السادس- مطبعة النيل- بمصر ١٣٢٦.

٣٩- دائرة المعارف الإسلامية ترجمة عبد الحميد يونس وجماعة.

٤٠- دائرة معارف بطوس البستاني- بيروت- ١٨٨٧م.

٤١- الدراسات النحوية عند الزمخشري- د. فاضل صالح السامرائي- مطبعة الارشاد- بغداد- سنة ١٩٧١م.

٤٢- دولة آل سلجوق- عماد الدين محمد الأصفهاني- اختصار الفتح بن علي البنداري الأصفهاني- مطبعة الموسوعات مصر ١٩٠٠م.

٤٣- ديوان أبي الأسود الدؤلي تحقيق محمد حسن آل ياسين- مطبعة المعارف- بغداد ١٣٨٣هـ.

٤٤- ديوان الأخطل- تحقيق أنطوت الصالحي- بيروت ١٨٩١م.

٤٥- ديوان الحماسة لأبي تمام- علق عبد المنعم خفاجي- القاهرة- مكتبة محمد علي صبيح ١٩٥٥م.

٤٦- ديوان الخنساء- دار صادر- بيروت- ١٣٨٣هـ.

٤٧- ديوان الفرزدق- الصاوي- الطبعة الأولى- مصر ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م.

٤٨- ديوان الهذليين- دار الكتب ١٣٦٩هـ.

٤٩- ديوان امرئ القيس- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- المعارف ١٩٥٨م.

٥٠- ديوان جرير- الصاوي ١٣٥٣هـ- مصر.

٥١- ديوان حسان بن ثابت- تحقيق الدكتور سيد حنفي حسنين- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٥٢- ديوان ذي الرمة- تصحيح كارليل هنري هيس- طبعة كمبدرج ١٩١٩م.

٥٣- ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة أبي العباس ثعلب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م القاهرة.

٥٤- ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلم الشنتري- تحقيق درية الخطيب لطفي- مطبعة دار الكتب ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٥٥- ديوان عمرو بن معدبكرب- تحقيق هاشم الطعان- مطبعة الجمهورية- بغداد- ١٩٧٠م.

٥٦- ديوان عنترة- قدم له كرم البستاني- الطبعة الأولى- بيروت- ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.

٥٧- الذريعة الى تصانيف الشيعة- الطهراني- أغا بزرك- الجزء الثاني- مطبعة الغري- النجف سنة ١٣٥٥هـ.

٥٨- رجال الطوسي- تحقيق محمد صادق بحر العلوم- الطبعة الأولى- المطبعة الحيدرية- النجف الأشرف سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

٥٩- الرجال للنجاشي أبو العباس أحمد بن علي ت٤٥٠هـ، مطبعة مصطفوي بدون تاريخ.

٦٠- رحلة ابن جبير- لأبي الحسين محمد بن جبير الأندلسي- بيروت- دار صادر- ١٣٧٩هـ/ ١٩١٩م.

٦١- روضات الجنات- الجزء السادس- الخوانساري- ايران- قم سنة ١٣٩٠هـ- تحقيق أسد الله اسماعيليان.

٦٢- أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة- د. أحمد مكي الانصاري- نشر الرسائل الجامعية٦- القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٦٣- السيرة النبوية لابن هشام تحقيق وستنفلذ- جوتنجتي ١٨٥٩م.

٦٤- شذرات الذهب- لعبد الحي العماد الحنبلي- نشر مكتبة القدسي- القاهرة ١٣٥١هـ.

٦٥- شرح ابن عقيل ت٧٦٩هـ- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة الرابعة عشره- مطبعة السعادة مصر ١٣٨٤هـ.

٦٦- شرح اختيارات المفضل للخطيب التبريزي- تحقيق فخر الدين قباوه- دمشق ١٩٧١م.

٦٧- شرح الأشموني- مطبعة صبيح ١٣٤٤هـ.

٦٨- الجمل للزجاجي- تحقيق ابن أبي شنب- الطبعة الثانية- باريس ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

٦٩- شرح الشافية لرضي الدين الاستراباذي- تحقيق محمد نور الحسن وآخرون- أوفسيت دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٥هـ.

٧٠- شرح الكافية للرضي الاستراباذي- مصورة بالأوفسيت ببيروت- بدون تاريخ.

٧١- شرح المفصل لابن يعيش- إدارة الطباعة المنيرية- مصر.

٧٢- شرح المقدمة النحوية لابن بابشاد ت ٤٦٩هـ الجزء الأول- تحقيق خالد عبد الكريم- المطبعة العصرية- الكويت ١٩٧٩م.

٧٣- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب- لابن هشام الانصاري- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

٧٤- شرح عقائد الصدوق- الشيخ فضل الله الزنجاني -تبريز ١٣٧١هـ.

٧٥- الصاحبي لأبي الحسين أحمد بن فارس- تحقيق السيد أحمد صقر- مطبعة الحلبي- القاهرة ١٩٧٧.

٧٦- طبقات الشافعية الكبرى- لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي- الطبعة الأولى- مطبعة الحلبي- مصر ١٣٨٥هـ/ ١٩٢٨م.

٧٧- طبقات المفسرين- للسيوطي- الجزء الثاني- طبعة ليدن سنة ١٨٣٩م.

٧٨- طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف ١٩٧٣م.

٧٩- ظهر الإسلام- أحمد أمين- بيروت ١٩٦٩م.

٨٠- عقائد الامامية الانا عشرية للزنجاني- مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٨١- عقائد الامامية للمظفر الطبعة الثالثة مطبعة النعمان- النجف سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٨٢- أبو علي الفارسي- د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي- مطبعة نهضة- مصر ١٣٧٧هـ.

٨٣- الفهرست للطوسي الطبعة الثانية المطبعة الحيدرية- النجف ١٩٦١م.

٨٤- فوات الوفيات- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- مطبعة السعاده- مص سنة ١٩٥١م.

٨٥- الكامل في التأريخ- محمد بن محمد بن الأثير- القاهرة ١٢٩٠هـ.

٨٦- الكامل للمبرد- أبي العباس- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- مطبعة نهضة- مصر ١٩٥٦م.

٨٧- الكتاب لسيبويه- طبعة بولاق مصر ١٣١٦هـ. وكذا تحقيق عبد السلام هارون- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٨٥هـ/١٣٩٧هـ.

٨٨- كشف الظنون- مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة-تحقيق محمد شرف الدين بالتقايا.

٨٩- الكشكول- للعاملي محمد بن الحسين- تحقيق طاهر النداوي- مطبعة الحلبي- القاهرة سنة ١٩٦١م.

٩٠- الكنى والألقاب للقمي- الجزء الثاني- مطبعة الفرقان- صيدا ١٣٥٨هـ.

٩١- لسان لميزان- لابن حجر- الطبعة الأولى- حيدرآباد- الدكن ١٣٣١هـ.

٩٢- لمع الأدلة- لأبي البركات الانباري- تحقيق سعيد الأفغاني- دمشق ١٩٥٥م.

٩٣- مجاز القرآن- لأبي عبيدة- تحقيق فؤاد شزكين- مطبعة السعادة ١٩٥٤م.

٩٤- مجالس ثعلب- لأبي العباس ثعلب- تحقيق عبد السلام هارون- الطبعة الثانية ١٩٥٦م.

٩٥- مجمع البيان في تفسير القرآن- للشيخ الطبرسي- طبعة دار احياء التراث العربي- بيروت ١٣٧٩هـ.

٩٦- مجلة مجمع اللغة العربية- الجزء ١، ٢، ٣، ٤- القاهرة.

٩٧- المخصص- لابن سيده- المطبعة الأميرية- مصر١٣١٦_١٣٢١هـ.

٩٨- المدارس النحوية ومنهجها في دراسة اللغة والنحو- د. مهدي المخزومي- الطبعة الثانية- مطبعة الحلبي- القاهرة ١٩٥٨م.

٩٩- مدرسة الكوفة- د. مهدي المخزومي- الطبعة الثانية- القاهرة ١٩٥٨م.

١٠٠- مراتب النحويين- أبو الطيب- تحقيق أبي الفضل إبراهيم- الطبعة الثانية- القاهرة ١٩٥٥م.

١٠١- المراجعات- للامام السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي- النجف الاشرف- مطبعة النعمان.

١٠٢- المزهر- للسيوطي- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي- مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦١هـ.

١٠٣- مستدرك الوسائل- للميرزا حسين النوري- مطبعة دار الخلافة- طهران ١٣١٨هـ_١٣٢١هـ.

١٠٤- معالم العلماء- ابن شهر اشوب رشيد الدين السروبي ت٥٨٨هـ- عني بنشره علي اقبال- مطبعة فردين- طهران ١٣٥٣هـ.

١٠٥- معاني القرآن -للفراء- تحقيق محمد علي النجار- الدار العربية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م- تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

١٠٦- معاني القرآن واعرابه- للزجاج- شرق- تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي- نشر المكتبة العصرية بيروت . د. ت.

١٠٧- معجم الأدباء- لياقوت بن عبد الله الحموي- دار بيروت ودار صادر- بيروت سنة ١٣٧٦هـ_١٩٥٧م- وكذا طبعة القاهرة ١٩٠٦م.

١٠٨- معجم البلدان- دار بيروت ودار صادر للطباعة بيروت ١٣٥٧هـ_١٩٣٨م.

١٠٩- معجم شواهد العربية- عبد السلام هارون- الطبعة الأولى- مكتبة الخانجي- القاهرة ١٩٧٢م.

١١٠- مغني اللبيب- عبد الله بن هشام الانصاري ت٧٦١هـ- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- مطبعة المدني- القاهرة.

١١١- المفضليات- تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون- الطبعة الخامسة- دار المعارف بمصر.

١١٢- المقتضب- لابي العباس المبرد- تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة- طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة ١٣٨٥هـ_ ١٣٨٨هـ.

١١٣- المقرب- لعلي بن مؤمن المعروف بابن عصفور- تحقيق عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري- مطبعة العاني بغداد- ١٣٩١هـ/ ١٣٩٢هـ.

١١٤- مقدمة الانصاف- ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار عن الألمانية شركة الإعلانات ١٩٦٣م.

١١٥- المنتظم- لأبي الفرج بن الجوزي ت٥٩٧هـ- الطبعة الأولى- دائرة المعارف العثمانية- الهند ١٣٥٧هـ.

١١٦- المنصف- لأبي الفتح عثمان بن جني- تحقيق الأستاذ إبراهيم مصطفى- مطبعة الحلبي- الجزء الأول ١٣١٣هـ.

١١٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- لابن تغري بردي- طبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

١١٨- نحو القلوب- للامام عبد الكريم القشيري- تحقيق د. أحمد علم الدين الجندي- الدار العربية للكتاب- ليبيا تونس- ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

١١٩- نزهة الألباء في طبقات الأدباء- طبع جمعية احياء مآثر علوم العرب طبع مصر.

١٢٠- نشأة النحو- محمد طنطاوي- دار المعارف بمصر ١٩٧٣م.

١٢١- النشر في القراءات العشر- للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الجزري ت٨٣٣هـ- تصحيح علي محمد الضناع- مطبعة مصطفى محمد- القاهرة.

١٢٢- نظرات في اللغة والنحو- طه الراوي- منشورات المكتبة الأهلية- بيروت ١٩٦٢م.

١٢٣- هدية العارفين- أسماء المؤلفين وآثار المصنفين البغدادي إسماعيل باشا البابانى ت١٣٣٩هـ- مطبعة المعارف استنبول- أوفست طهران ١٩٦٧م.

١٢٤- همع الهوامع -لجلال الدين السيوطي- دار المعرفة- بيوت.

١٢٥- الوافي بالوفيات- صلاح الدين بن ايبك الصفدي ت٧٦٤هـ- اعتناء هلموت ريبر- مطبعة وزارة المعارف- استنبول ١٩٤٩م.

١٢٦- وفيات الأعيان- لأحمد بن محمد بن خلكان ت٦٨١هـ- الطبعة الأولى- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد- مطبعة السعادة ١٩٤٨م- وكذا تحقيق د. احسان عباس- بيروت ١٩٦٨م.

## Conclusion

The spread of Islam among the adjacent peoples and adherence of its individuals to it, has its effect in the weakness of the Arab intuition of the Arabs for mixing with others of the Islamic people's individuals other than the Arabian peoples no the one hand and the appearance of the necessity to learn the Arabic language with respect to the Moslem people other than the Arabs to perform their religioul duties on the other hand.

As a result of the Arabs öixing with others from the Islamic people the modulation appeared among the commonality and this öodulation entered the Holy Koran.

This confined those who are concerned with the Moslam matter to put down the rules and fixations to study the lougue in modulation on pronounciation. These were the start of attempts that continued afterwards in the several syntax textbooks.

As to the need of the Moslem people other than the Arabs to learning the Arabic language goes back to the aftampt of the individuals of these people to know their religious matters and the rudiöents of their creed and pervormance of their legislative duties in addition to the need of the specialists in the Jslamic legislative sciences to master this language. The theosophist needs the know ledge and to have the ability to safeguard the Arabic language so as to derive the legislative verdicts as to its indication and it is the Holy Koran and the legislative sonism and other sources of Islamic legislation.

These Moslams did not stand at this of learning the Arabic language and its practices to the need of it not only in the sphere.. of the Islamic studies, but also

transcended this point to ano their point represented in the syntax books that they have left behind. These soientists have become promiscuous, and have made the Arab in general and the syntax one in a private manner by filling it with books that have a study and publication öatter in the coming eras of which sebweh was one outher in ١٨٠ Hegira, El Kassaie ١٨٩ Hegire. Al Farra ٢٠٧ Hegira, Abu Ali the persian ٣٧٧ Hegire.

Al Tusi was one of these scientists who have been an adept in syntax, but he was not famous in the field of the syntax studies, and his books were not studies inaa manner that mates the syntax efforts that he carried cut to be prevalent and this thesis that we have in hand came to reveal some of these efforts.

Where sas the cause of selecting “Al Tibian” in particular a subject for this study towards an attempt to the study, a symposuim of the inter perters efforts symposuims in the syntax spheres? It has included inter pretation books that has envisaged syntax efforts thanks to it. It has abig effect in the syntax studies that continued a fferwaras.

The thesis has reviewed several matter, of which is the correction of “AL Tibian” to the “ Al tusi”. The thesis has dealt with the “AL Tusi” style in represented in the first part and the remaks to men tion side matter, the attempt to illicit and follow up and the many quotations particularly the poetical on of it.

The third part of the thesis has dealt with “AL Tusi” status among the visionists and the Kufeyeen. It came clear in the thesis that “AL Tusi” follows Baghdadyeen intuition in this syntax thesis, Besides the thesis has exposed “AL Tusi” status as to the evidence and the common rudiments of vision among the visionists and the kufists which is concerned with the visionists creed.

The last part of the thesis has exposed “AL Tusi” in Morpholagy views that the resercher was able to notice in the “AL Tibian”. And this part indicates that “AL Tusi” have special views in the assimilation.